المسرح الجديد

مجموعة تحتوي على ملخصات أشهر القصص المسرحية

الجديدة التي ظهرت في الآداب الاوربية

بقلم

محمود كامل

المحامي

عنيت بنشره

ادارة الهلال بمصر

سنة ١٩٣٢

مقدمة

هذا كتاب لست اغلو إذا قلت انه الاول من نوعه فى اللغة العربية، فهو عبارة عن ملخصات وافية لطائفة من أشهر القصص المسرحية التى ظهرت فى القرن الحالى. ولقد شعرت منذ عدة أعوام بالحاجة القصوى إلى وضع هـذا الـكتاب عندما لاحظت ان الـكتاب الافاضل الذين عمدوا إلى تلخيص القصص مسرحية كانت أو عادية قد اقتصروا على تلخيصها عن اللغة الفرنسية فقط وعن عدد محدود من الـكتاب المسرحيين الذين بذلوا جهـداً معيناً فى بدء النهضة المسرحية الاوربية ثم دالت دولتهم، وبذلك انحصرت فائدة القراء عنـدنا فى دائرة ضيقة مختنقة من دوائر التفكير الاوربى. ولذا عمـدت الى تلخيص هذه القصص ونشرها تباعا فى الصحف المختلفة وأخصها مجلات دار الهلال ــ غير متقيد بادب أمة معينة. أو بقصص كاتب معين. بل جعلت نصب عينى أن اقدم للقراء مجموعة تمثل الآداب المسرحية لأمم اوربا المختلفة. دون تفريق بين ابسن النرويجى وبينيرو الانجليزى وزوركى الايطالى وبرنشتين الفرنسى. ثم اننى حتى بالنسبة للادب المسرحى الفرنسى ــ وهو الجزء الغالب فى هذا الـكتاب ــ قد تعمدت أن أنوع بقدر الامكان فى تغذية القـارىء بنواح مختلفة متباينة عن (المدارس) الفنية التى ينتمى اليها أبطال المسرح الفرنسى. فبينما يجد القارىء قصصاً للونورمان الذى يسمو على الاعتبارات الشعبية ويقصر قصصه على تحليل فكرة نفسية منتزعة من أحدث نظريات (فرويد) فى علم النفس، ويجعل تلك القصص مسرحاً لعرض أروع الآراء الروحية التحليلية العميقة، اذا به يقرأ فى نفس الوقت قصصاً لبرنشتين الذى لاينسى النظارة وما يجب أن يتوفر فى القصة

مما يثير به الا كف ويدفعها الى التصفيق . ولباتاى الذى يدعو الى نوع جرىء من أنواع الفلسفة الحديثة عن طريق كشف غريزة المرأة وسبر غورها. ثم اذا به يرى الى جانب ذلك كله صورة مما وصل اليه المؤلفون الشبان كمارسيل بانيول وجان جيرودو وبول رينال الذين يبتكرون فى كل ناحية من نواحى المسرح ويخلقون شيئاً لم يكن للاوائل عهد به

ولقد اجتهدت أن أقدم لكل ملخص بمقدمة قصيرة موجزة عن حياة مؤلف القصة وادبه وقيمته فى امته . وعن الظروف التى احاطت بكتابة القصة وظهورها حتى يكون القارىء على إلمام نسبى بها

ولم يكن غرضى من وضع هذا الكتاب – فى الواقع – ان يكتفى به القراء ويغنيهم عن قراءة اصول تلك القطع الأدبية الخالدة فى حياة الامم الغربية . فلا يمكن أن يغنى الملخص الموجز عن الاصل المسهب . ولكننى كنت أرمى – بالعكس – الى اثارة رغبتهم فى الاستزادة من الاطلاع والتثقيف بعد قراءة هذه الملخصات ، خصوصاً وان قراءة الملخص فى بضع صفحات كقصة مرسلة سهلة ، ألذ وأشوق من قراءة الاصل المسرحى وما فيه من حشو يعمد اليه عادة مؤلفو المسرحيات . هذا من جهة ومن جهة أخرى كنت أعلم ان الشبان من القراء يتقنون غالباً لغة أجنبية واحدة . ولما كان تقدم المسرح الاوربى الجديد غير مقتصر على أمة معينة فقد عمدت الى التلخيص عن الفرنسيه والانجليزية وعما ترجم اليهما من آداب الامم الاخرى حتى تكون الفائدة أعم وأوفى

هذا هو الغرض الذى كنت أنشده ... فهل يعيننى الكتاب الجديد الذى أضعه اليوم بين ايدى القراء على تحقيق الغرض المنشود ؟

لست أدرى . . .

محمود كامل
المحامي

انما الحياة حلم

عن الكاتب الفرنسى لونورمان

مسرح جديد وأدب جديد ! ليس للنظارة ولا للقراء المصريين عهد به الى الآن . بل انه لايزال الى الآن يناضل فى عنف وقوة ليثبت قدمه فى أوربا ذاتها . فمؤلف هذه القصة التى ألخصها لك اليوم Le Temps est un songe هو الكاتب الفرنسى ه . ر . لونورمان H. R. Lenormand وهو من مؤلفى المسرح الشبان الذين ظهروا بعد الحرب العظمى الاخيرة وكان كل همهم ادخال روح جديدة فى المسرح الحديث . وقد ينقضى وقت طويل قبل ان يتمكن الجمهور المصرى من الاستمتاع بقصة من قصصه فهو لايعمد فيها الى طريقة مؤلفى العصر الذى سبق الحرب امثال برنشتين وميريه وفابر وغيرهم أى الى ادخال الحركة والعنف والافتعال فى ابراز المواقف الشعبية . هو لايعمد الى شيء من ذلك بل يريد أن يجعل المسرح أداة لتحليل فكرة نفسية تحليلا عميقاً غاية العمق . أو للترويج لقانون انسانى معين ترويجاً علميا هادئاً . والغريب فى فن الرجل أنه من أشد المؤمنين بالمسائل الروحية . وهو لذلك يعطى قصصه مسحة من الغموض والقلق والابهام . ويعنى العناية كلها بأن يجعل لها صلة بالشرق : بجاوه أو الهند أو افريقيا . حتى يتسنى له الدفاع عن فكرة القوم فى تناسخ الارواح وفى امكان احساس الفرد بما يمكن ان يقع له أو لاحد المتصلين به فى المستقبل . وهو مايظهر جلياً فى قصة اليوم «انما الحياة حلم»

كما ان هناك ظاهرة أخرى فى قصصه . ذلك ان شخصياته كلها تكاد تكون مريضة ، مريضة بنوع من القلق والشك والتبرم بالحياة . وهى لذلك تتعذب وتشقى لانها لاتفهم لهذه الحياة معنى أو هى تريد أن تفهم الحياة وتغلو فى هذه الارادة فلا تستطيع ، حتى لتفضل الانتحار عليها تفوز بمعرفة (الحقيقة) المنشودة عن طريق الموت . كما يفعل بطل القصة التى ألخصها لك . ولقد برع لونورمان فى رسم هذا النوع من الشخصيات رسماً تحليلياً دقيقا حتى قال عنه أحد النقاد إنه اقدر مؤلفى المسرح الفرنسى فى اكتشاف خبايا النفس البشرية واسرار العقل الباطن

وثمة شيء آخر يلاحظ على (صنعة) لونورمان المسرحية . ذلك أنه كغيره من المؤلفين الذين ظهروا بعد الحرب لايقسمون قصصهم فصولا كما يفعل الاقدمون ، بل يجعلونها (مناظر) قد تصل إلى عشرة أو خمسة عشر . وقد تقصر حتى لايتجاوز الواحد منها بضع دقائق . .

والآن فلا قدم لك القصة بعد أن اعطيتك فكرة موجزة عن مؤلفها والغريب أن هذه القصة كبعض قصصه الاخرى ظهرت فى جنيف قبل ان تظهر فى باريس ثم مثلت على مسرح الفنون فى ٢ ديسمبر سنة ١٩١٩ فأثارت تقدير النقاد واعجاب الجمهور



نحن فى قصر أسرة فان ايدين . فى عصر أحد أيام الخريف . وهو قصر قديم بمقاطعة أوترخت بهولندة . يملكه فان ايدين أحد كبار التجار الهولنديين الذين يشتغلون بالتجارة فى جاوه والهند ويقيمون معظم ايامهم فى تلك الانحاء الشرقية . نحن فى ذلك القصر القديم اذن وقد أخذت ابنة صاحب القصر وهى الآنسة ريمك « Rimke » تتحدث الى مدام بونك « Beunke» الخادمة التى تشرف على شؤون القصر فتفهم من حديثهما ان « نيكو Nico» شقيق ريمك

وابن رب الاسرة قد قدم من جاوة اخيراً . وتشعر من لهجة ريمك انها برمة بالحياة تـكاد تشمئز منها . فهي تذكر والدتها وتعتقد انها لطول تعودها على الغياب عنها لابد أن تكون قد نسيتها . وتحس بأنهـا لو كانت تتحمل عاطفة معينة لعجزت وناءت عن الحمل فقد أصبحت فتاة عجوزاً رغم أنها لم تتجاوز الخامسة والعشرين ، وأفضل لها أن تحب ببغاء أو سمكة حمراء من ان تحب آدميا فقد نفد هذا الحب البشرى ولم يعد له أثر فى قلبها ، وتخرج مدام بونك ثم تقبل الآنسـة « روميه Romée » شابة فى الثالثة والعشرين من عمرها طويلة القامة ممتلئة صحة وفتنة . وهى خطيبة نيكو . وتتحدث حديثاً غريباً الى ريمك . فقد شعرت أثناء قدومها ومرورها بجانب البركة الواقعة خارج القصر بانقباض فى نفسها وخيل لها ان الاشجار التى على شاطىء البركة الآخر قد اختفت وان هناك نوعا من السكون القاتل يسود المـكان . ثم رأت رجلا يغرق فى مياه البركة وقد اختفى رأسه بعد ثوان قليلة من رؤيتها له . وهى تقرر انه لم يكن يبعد عن الشاطىء بأ كثر من عشرة أمتار ومع ذلك فقد خيل لها أن مسافة بعيدة تفصله عنها وانه لا يمكن الوصول اليه . وتبدى ريمك دهشتها من تلك القصة الغريبة وتلاحظ ان روميه تذكر أن الاشجار والاشياء لم تكن على طبيعتها وهى لذلك تخشى ان تكون روميه هاذية . وان ذلك الرجل الغريق لم يكن موجوداً حقيقة وان الامر لايعدو ان يكون حلم يقظة . ولـكن روميه تؤكد أنها لم تكن حالمة وتذكر أنها لاحظت ان الحشائش النامية حول البركة قد قطعت ولـكن ريمك تجيبها مذهولة بان تلك الحشائش لم تقطع قط ، وتدهش روميه ثم تسأل عما اذا كانوا لم يضعوا فى البركة قاربا اخضر فتجيبها بالنفى وتذهبان الى النافذة فتجدان الحشائش على ماهى عليه وانه ليس هناك قارب ما . وتعود ريمك فتعلل ذلك بأن تلك الاشياء التى رأتها روميه ربما كانت قد حدثت فى الماضى . ولـكن روميه لاتعتقد فى الاشباح وتستدعيان مدام بونك وهى خادمة عند اصحاب

القصر الاولين وتسألها ريمك عما اذا كانت الحشائش قد قطعت فى ذلك العهد فتجيبها بان صاحب القصر السابق قد قطعها وتذكر أيضاً ان ابن سيدها السابق كاد يغرق فى البركة لولا انه كان قريباً من الشاطىء وسمعوا صياح استغاثته فانقذوه وكان ذلك منذ ثلاثين عاما

وتنقضى ثلاثة اشهر على ذلك واذا بنا فى صالون القصر القديم وقد خلا نيكو بخطيبته روميه . ونيكو هذا شاب فى الخامسة والعشرين من عمره . شاحب اللون ذو عينين قلقتين واعصاب ثائرة مضطربة . وهما يتحدثان ويذكران ريمك ويقول نيكو عنها انها لا تطيق جو الهند ولا الحياة فيها وهي تفضل الاقامة هنا بين الضباب والمطر مع انه يكره هذا كرها عظيما . وهو يبدى اشمئزازه من هذا الجو المظلم الحالك أثناء النهـار ويلتمس الضوء فلا يجده ، فاذا ابدت دهشتها من حديثه اجابها بأن اسرته حساسة بالنسبة لهذه الأمور المتعلقة بالجو والضوء ، و يذكر لها انه كان يوما على قمة جبل فى جزيرة سيلان وكان هناك ضباب وردى اللون يغطي الصخور ونزلت الشمس بضوئها الوهاج وفجأة سمع صوتاً لم يستطع تفسيره ولـكن خيل له انه صادر من الشمس وكان هادئاً ناعماً قوياً ثم سكت بعد بضع ثوان كما لو انه قد ادى دوره وانتهى ، كان ذلك الصوت كالحياة ذاتها ! اليست الحياة البشرية موسيقى مفروض فيها ان تقف عن العزف فجـأة رغم سابق انذار وبلا سبب معقول رغم روعة تلك الموسيقى ونقائها ؟ وهو يتم كلامه قائلا :

ـــ آه ! عندما سكت ذلك الصوت الجميـل فهمت حقاً سخافة قوانين الحياة . تلك السخافة الوحشية التى لا فائدة منها ؟

ويخرج نيكو ثم تقبل ريمك ومدام بونك فتذكر الاخيرة ان نيكو قد أمر بقطع الحشائش النامية حول البركة . فاذا خلت الفتاتان فروميه واجفة تقرر ان المكان يبدو لهـا بعد قطع الحشائش كما رأته منذ ثلاثة اشهر وهي تسأل ريمك

عما اذا كانت اخبرت شقيقها بما حدث لها هناك فتنفى ذلك . وعندئذ ترجو منها ان تتركها وحيدة معه فهي ترغب ان تسأله بضعة أسئلة ، فاذا خلت به فهما يتحدثان عن التنجيم والمنجمين وهو يذكر لها انه التقى مره فى مدراس بكاهن هندى ذكر له أشياء عجيبة عن مستقبله تحققت كلها بعدئذ . وهي تسأله عما إذا كان فى مكنة امرأة رأت مصيبة تهدد الشخص الذى تحبه ، ابنها مثلا ، ان تنقذه منها ؟ فيجيبها بأن ذلك مستحيل ، فاذا سألته عما يجب ان تفعل أجابها :

— لا شيء . . . تتعذب فى صمت . . الى ان تقع المصيبة

ثم يخرج نيكو وتعود ريمك وعندئذ تعترف لها روميه بأن ذلك الوجه الذى رأته يغرق فى الماء هو وجه نيكو. وهى توقن الآن بأن مارأته لاينصرف الى الماضى وانما يتعلق بالمستقبل !

فاذا انقضت فترة أخرى فنحن لانزال فى القصر وقد خلا نيكو بروميه وهو ينبئها قلقه وحزنه من الحياة فى ذلك القصر امام تلك المياه الراكدة الميتة وبين أولئك الجيران الذين يفتقرون إلى الحياة الحقة فهم والجدران سواء . وهو يغلو فى الشكوى من ذلك الالم المستحوذ عليه والذى ينغص عليه عيشه فاذا سألته عما به أجابها :

— انه الشك... الشك من كل شيء ... من الحياة . من الاشياء . من نفسى. عندما كنت طفلا كنت أتخيل أن كيانى لم يكن إلا خيالا ووهماً . لم أكن أجد أدلة كافية تقنعنى باننى احيى وأعيش ... وبعد ما كبرت قليلا لاحظت أثناء دراسة الفلك ان تقديرات علمائى عن حركات الكواكب لم تكن صحيحة الاعلى وجه التقريب . أى أن الشك والريبة فى صحتها كانا يتطرقان الى ذهنى دائما . وعلى ذلك بدأت أشك فى وجود تلك الكواكب ... وساءلت نفسى لم لاتكون نوعا من الزينة فى السماء أومن الاشياء الوهمية التى ينخدع بها النظر بدون أن يكون هناك ارتباط بين ذلك وبين ما يظنه الانسان عن بعدها ووزنها وحجمها . وقد

كاشفت أحد العلماء بهذه الفكرة فقال لي انه فهمها وانه لايراها سخيفة .. فى تلك السنة أردت أن أنتحر !

وقد وفق المؤلف فى هذا الموقف كل التوفيق وأجاد تصور الشخصيتين كل الاجادة . فلا تكاد روميه تسمع من حبيبها انه فكر فى الانتحار حتى يتبادر الى ذهنها ذلك المنظر الذى رأته منذ مدة فتسأله عما اذا كان أحد قد أنقذه وانتشله من الماء ! ولكنه يندهش من ذكر الماء إذ انه لم يرد على لسانه . وهو يخبرها بانه كان يريد الانتحار بواسطة شنق نفسه بحبل ولكن الحبل انقطع

ثم يتحدثان عن الحب فتشعر بان روميه تحبه ولكنه لايزال على قلقه واضطرابه حتى فيما يختص بهذه الناحية . فقد كان يعتقد انه سيجد الخلاص من آلامه فى خطيبته فخاب هذا الامل . فاذا خلت روميه بريمك فانت تفهم من حديث الثانية ان شقيقها قد اعتزم تأخير سفره مع زوجته الى الشرق وهما يذكران نيكو والشك الذى يقض مضجعه وينغص عيشه، وتقرر روميه انها كانت مصابة بذلك النوع من القلق ولكن الحب شفاها منه . وهى تحس بان المستقبل يخبىء لها فى ثنايا القدر صدمة ثقيلة تزلزل كيانها وهى لاتدرى لذلك سبباً ولكن ريمك تجيبها :

— ومع ذلك فانا لا أستطيع ان امنع نفسى من التفكير فى ان تفسير السر ينحصر فيك أنت

وتدهش الاخرى من ذلك ولكن ريمك تستمر قائلة :

— انك عند مارأيت ذلك الوجه فى البركة لم يكن هناك أى خطر يهدد أخى . لم يكن الامر كشفا عن سر الماضى أو المستقبل بل كان مجرد وهم وهذيان . . . ولكن منذ ذلك الوقت وانا افكر فيما اذا كان وهمك سوف يتحول الى حقيقة واقعة

وتفهم من هذا الحديث انها تعتقد بان للافكار عدوى كعدوى الامراض. فما حلمت به روميه يمكن ان يحلم به نيكو . وهي قد نقلت — بدون ان تعلم — تلك الفكرة اليه وهنا منشأ الخطر

ثم يعثران على خطاب اعتزم نيكو ارساله الى أحد تجار القوارب وفيه يخبره انه وقع اختياره على القارب الاخضر ويرجو ارساله فى ظرف اسبوع. وتذهل روميه من ذلك . اذ تذكر القارب الاخضر الذى رأته فى البركة ولم يكن له وجود إذ ذاك . وتطمئنها ريمك فلا داعي للخوف مادام لديهما علم بالخطر وفى استطاعتهما تفاديه . ولكن روميه تذكر انها ارتكبت خطأ فاحشاً منذ أيام عند ما تحدث اليها نيكو عن مرضه وعن رغبته السابقة فى الانتحار . فقد تصورت انها فهمت كل شيء وسألته عن انتشاله من الماء . وينتهى المنظر بهذا الحوار المدهش

ريمك — وبعد ؟

روميه — نظر إلى منذهلا . فلم يكن قد القى بنفسه فى الماء بل علق نفسه بحبل . (تبكى) أنت محقة . . انى انا التى أعطيته هذه الفكرة . . وانا التى سأفقده !..

☆☆☆

ويخلو نيكو يوما الى خادمه سعيد الذى احضره معه من جاوه وهو لا يزال يتحدث عن قلقه وحيرته ويذكر ان شقيقته تحبه وخطيبته تحبه ومع ذلك فهو منذ مدة لايستطيع ان يتحدث اليهما ، ثم يشخص إلى ماء البركة خارج القصر ويقول لخادمه وهو يشير إلى مجموعة الفراش التى تحوم حول الضوء :

— منذ اربع ساعات لم تكن حياة هذه الحشرات قد انتصفت . ومع ذلك فهى تشعر انها قضت على سطح الماء ثلاثين أو أربعين عاما من حياة البشر

وفى هذا المساء ــ بعد عشرة اعوام ــ ستموت تحت الحشائش . . . انما الحياة حلم ياسعيد . . .

وهو يذكر الموت فى غير اكتراث . وأنا أشعر برغبة اكيدة فى ان أترجم لك ماذكره المؤلف على لسانه إذ يقول :

ــ الموت ليس هو النوم ولا الحلم .. اننا نحلم الآن ... الاشجار والارض والبحار . هذا هو الحلم الذى لايفسر ، أما الموت فهو اليقظة وربما كان فيه الوصول الى تلك النقطة من الابدية حيث لاتصبح الحياة حلماً

ويشعر الخادم ان سيده شقى ويسأله : «ألا تحب شيئاً على هذه الارض ؟»

فيجيبه مفكراً : « أحب الماء »

وهو يذكر انه فى بادىء الامر لم يكن يحب الماء فى هذه الجهة ولكنه بعد أن اطال النظر اليه بدأ يحبه

وهو لا يدرى لم يذكره هذا الماء بروميه فسطحه دائم التأثر والغضب كروميه . واذا فوجئت روميه بشىء أزعجها فان إحدى وجنتيها ترتعش كصفحة الماء ...! وينتهى المنظر هكذا

نيكو ــ منذ وقت طويل كنت أعتقد ان روميه وحدها تستطيع ان تمنحنى الهدوء والثقة . أما الآن فأنا اسائل نفسى لم لاتكون الحقيقة فى قاع الماء ... فى أقصى القاع ... تحت الطمى ؟

سعيد (بصوت خافت) ــ إذا كانت الحقيقة تختبىء حيث تقول فليحيي الخيال ياسيدى !

فاذا كان المنظر الاخير فقد اخذت ريمك تتحدث إلى روميه فتفهم ان ريمك ونيكو مدعوان لحضور حفلة زواج فى بلدة أخرى . وتتفقان على ان ترسل روميه برقية بعد يومين تنبىء بان والدى نيكو قلقان وان والده مريض ويطلب عودة ابنه إلى جانبه بسرعة

ويقبل نيكو فاذا به على ما عهدناه برم بكل شيء . بالدعوة الموجهة اليه وبالناس الذين حوله ولـكن شقيقته تقبل مسرعة فقد حضرت العربة وتخرج معه بعد ان تودع روميه التي تخلو إلى الخادم وتتحدث اليه عما ألم بنيكو . فيخبرها انه يبحث عن السبيل الذى يسلكه فلا يهتدى اليه . وانه رأى فى الهندقديسين مثله لايروقهم شيء حتى ولانساؤهم وشقيقاتهم وأولادهم ولذا يرحلون بصحبة أحد اتباعهم لشحاذة قوتهم .. !

ويدق جرس التليفون واذا بسائق العربة يقول ان سيديه لم يسافرا لأن سيدته ريلك أغمى عليها فى المحطة وقد أسعفها الطبيب وحالتها ليست خطرة . وتخرج روميه وقد أخذت معهـا زجاجة (اتير) لتلحق بهما فى المحطة ولكنها لاتكاد تخرج حتى يقبل نيكو فتقدم له مدام بونك حساب المنزل إذ اخطأت فى بعض أرقامه ، واذا به يصحح لها ذلك الخطأ فيقول ان سبعة زائدة ثلاثة تساوى تسعة ، فاذا دهشت من ذلك وقالت انها تساوى عشرة أجابها :

ـــ ولم لا تكون تسعة او اثنى عشر !؟ وثم يذكر أشياء اخرى تثير دهشة الخادمة فتطلب اليه ان يستريح ، وعندئذ يصاب بنوبة ذهول ويريد الدخول الى غرفته ولكنه يتجه الى ناحية أخرى غير الناحية التى فيها الغرفة . ويرفع يده فى الهواء كما لو كان يربت على كتف شخص أمامه ثم يخرج

وتعود روميه وقد احضرت معها ريلك فى السيارة وتسأل عن نيكو فتجيبها مدام بونك : « لقد خرج الآن ... رأيته ينزل متجها الى ناحية البركة ... »

روميه ــ ناحية البركة . . . آه !

(تندفع الى النافذة ولا تـكاد تنظر الى الخارج حتى تتمايل كما لو كانت اصيبت برصاصة ثم تلطم وجهها فى هدوء)

ويهبط الستار اذ ذاك . وتفهم أنت أن نيكو قد اتجه الى البركة لينتحر

القلب المقسم

عن الكاتب الفرنسي لوسيان بينار

ستحدث عن كاتب غير معروف فى مصر .. ألا وهو الكاتب الفرنسى لوسيان بينار (Lucien Besnard) وهو من المؤلفين الذين يدعون الى التجديد فى المسرح الفرنسى الحديث ويعمدون إلى التحليل النفسى العميق فى قصصهم التى يغذون بها المسارح بل هو يغالى فى ذلك حتى يصل فى دقة تحليله لشتى العواطف والانفعالات المختلفةالتى تضطرم فى نفوس أشخاص قصصه إلى محاكاة نوع من التحليل العلمى الذى يعمد اليه أمثال فرويد ممن أسسوا علم النفس الحديث

والقصة التى نعتزم تلخيصها اليوم للقراء (القلب المقسم) Le Cœur Partagé هي من ذلك النوع . ولقد مثلت للمرة الاولى على مسرح (الكوميدى فرانسيز) فى ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٦ وقامت بدور البطلة فيها الفنانة الفرنسية المعروفة مارى تيريز بييرا التى حضرت الى مصر ومثلت فيها بعض قصصها . ولقد قوبلت (القلب المقسم) عند ظهورها بعاصفة من اعجاب النقاد واعتبروها فتحاً جديداً فى المسرح الحديث . فهى تحلل عاطفة غريبة من الانانية تجيش فى صدر أب يريد أن يستأثر بابنته دون زوجها . وعاطفة غيرة تضطرم فى صدر زوج يرى زوجته تفضل والدها عليه . . لأجل تحليل هذه العواطف الثلاث وضع لوسيان بينار قصته فجاءت قطعة مسرحية ممتلئة حياة ونشاطاً ومحبوكة

الاطراف فى صيغة مسرحية وصلت إلى حد الاتقان الجدير حقاً بالاعجاب والتقدير



نحن فى منزل جان لويس مارينيه أحد كبار أساتذة الطب المعروفين فى باريس وقد أخذ رب الدار يتحدث مع ابنته فريدريك فتعلم من حديثهما ان جان لويس منهمك فى القيام ببحوثه الطبية واعداد محاضراته وتصحيح مقالاته التى تنشرها له المجلات الطبية . وان ابنته فردريك تساعده فى تصحيح تلك المقالات . وتشعر أيضاً بأن ذلك الاستاذ الكبير الذى يبلغ من العمر الثامنة والاربعين يأخذ من اللهو فى الحياة بقسط وافر وان النساء يملن اليه ويتواعدن معه على اللقاء فى الخارج . وابنته تحس بذلك وتسأله ــ فى غيرة ظاهرة ــ عن علاقته بالدوقة ده مورتريه . وتذكره بذلك المؤتمر الذى انعقد فى واشنطن وحضره جان لويس حيث تعرف بسيدة تدعى مسز ونتون . وهو ينكر أن له علاقة بتينك السيدتين . فليس فى الامر اكثر من ان الاولى تساعده فى الحصول على الاصوات الكافية لفوزه بعضوية المجمع العلمى . وان الثانية قد أظهرت استعدادها هي وزوجها الذى يعد من اصحاب الملايين لاعانة البحوث الطبية التى يقوم بها فى فرنسا . ولكن فريدريك لاتقتنع بذلك . وتلح فى أنه قد احب مسز ونتون . وانها هي السيدة الوحيدة التى أحبها فى حياته

وتقبل مدام ده مورتريه وتشعر بمجرد مقابلتها لفريدريك ان هذه الاخيرة لا تحبها ولا تميل اليها قط ، وتنقم عليها إذ تدعو والدها لكى يشترك معها فى الغناء . . ويحضر بيير زوج فريدريك وهو الآخر طبيب من تلامذة جان لويس مغرم بالبحث العلمى وله بحوث منشورة . ويخلو الزوجان الشابان بجان لويس بعد نزول المدعوين ويدلى بيير بمشروع جديد . . . ذلك ان أحد الاطباء فى الريف قرأ بحوثه وأعجب بها وأنه عرض عليه العمل فى الريف مقابل أجر كبير ، وعلى أن يعطيه العدد الكافى من الاسرة والمعدات التى يقوم

بعمل بحوثه فيهـا وهو لذلك يفكر جدياً فى ان ينتقل الى الريف ما دام فى ذلك نجاحه ومجده وتحقيق آماله.ويبدى جان لويس اعتراضه على تلك الفكرة فهو لا يطيق البعد عن ابنته فريدريك التى تعود أن تكون دائماً بجانبه وتنضم فريدريك الى أبيها .. فهى لم تتعود أن تبعد عنه ... ولا عن باريس . . . وهى لا تتصور كيف تكون الحياة فى قرية من قرى الريف بعد أن تشبعت نفسها بالحياة الباريسية ، ويبدى بيير ما يفهم منه أنه متشبث برأيه . فاذا أراد النزول أظهرت فريدريك رغبتها فى أن تبقى تلك الليلة مع والدها ويلاحظ بيير انها لم تستأذنه فى ذلك ولكنها لا تنزل الا بعد أن يأمرها والدها بذلك

وينزل الزوجان ويخلو جان لويس الى كورداى جد فريدريك . وهنا حديث غاية فى المتعـة والروعة فهو يمهد لموضوع القصة كلها . . اذ يظهر جان لويس تشبثه بان تبقى فريدريك الى جانبه دائماً ويعارضه كورداى فى ذلك ويقرر له بأن الآباء دائما يربون أولادهم لـكى ينفصلوا عنهم ...

ولـكن جان لويس لا يقتنع بذلك بل يصر على رأيه . ويكفهر الجـو ويتساقط الثلج ويستأذن كورداى فى الخروج فيعرض عليه جان لويس استعداده فى أن يصحبه الى منزله سيراً على الاقدام وينتهى الفصل بهذا الحوار

كورداى ــ فى هذا الثلج المتساقط ؟

جان لويس ــ (يمسكه من ذراعه) أجل أجل.سيفيدنى السير مدة طويلة فى البرد (يخرجان)

☆☆☆

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى غرفة النوم بمنزل بيير وفريدريك وقد استلقت فريديك على السرير وخيم الظلام على معظم الغـرفة . وتشعر من حديث فريدريك مع الخادمة أن بيير يعمل فى غرفة مكتبه المجاورة وانه يعتزم السهر طويلا حتى لقدطلب أن يعد له فراش على أحد المقاعد . . وهو يطلب

ذلك للمرة الاولى . فاذا خرجت الخادمة أدارت فريدريك (التليفون) الموضوع على مائدة بجانب السرير . وتحادثت مع منزل والدها فاذا علمت انه قد خرج مع جدها فهى تخشى ان يصيبه برد وهي تطلب الى الخادم الذى يحادثها أن يخبر والدها بانها تحادثت بالتليفون . ويأتى بيير من غرفة المكتب وتدور بينهما مناقشة طويلة ممتعة تشتد حيناً وتهدأ حيناً آخر . . فهو يلوم عليها افراطها فى حب والدها وتهالكها فى إيثاره . وهي تعتب عليه انشغاله بعمله وعدم التفاته اليها . حتى وصل به ذلك الى التفكير فى تضحيتها وحرمانها من الحياة فى باريس لاجل الحصول على معمل فى الريف يقوم فيه بتجربة بحوثه وهو ينكر ذلك كل الانكار ويؤكد انه ان كان أهملها فى الماضى فقد حل حبه لها فى قلبه المحل الاول . وهو يذكرها بان والدها قد عكر صفو ذلك الحب غير مرة . أولها عند ما لحق بهما الى القاهرة حيث كانا يقضيان شهر العسل اذ لم يكد يصل حتى بدأت تتكلف فى مخاطبته وأخبرته إنها لا تجرؤ على أن تتبسط معه فى الحديث أمام والدها . وهي تعترف بحبها لوالدها ولكن هل فى هذا ما يعكر صفو حبهما ؟ فيجيبها بانه لا يعكره فحسب بل يمنع اتصالها واتحادهما

فريدريك ــ هذا جنون

بيير ــ أجل . يا فريدريك . ان والدك دائما بيننا

فريدريك (تجذبه نحوها فى رفق) ــ أتظن ؟

بيير ــ دائماً . دائماً

فريدريك (ترتمى بين ذراعيه) ــ الا فى هذه اللحظة ؟

وهنا يدق جرس التليفون . فاذا به جان لويس . فيثور بيير ويطلب منها ألا تجيب فالساعة الثالثة صباحاً

ولكنها تصر على أن تحادث والدها . ولا تكاد تنتهى من حديثها حتى يظهر تبدل فى أخلاقها وطريقة معاملتها لزوجها وهو يلحظ ذلك ويعلله بانه نتيجة

اتصالها بوالدها ، ويلح فى وجوب أن ترحل معه إلى حيث يذهب فهذه هي ارادته ، وهي ترفض وتنبهه إلى انه يجب ان يخجل من تلك الغيرة العجيبة التى يشعر بها نحو والدها . ولم يغار وكل مافى الامر انها تتبادل مع ذلك الوالد عاطفة طبيعية ؟ ويطلب منها أن تثبت له حبها بقبول السفر معه فتستمهله فترة للتفكير فى الامر ولـكنه يأبى ، فالتفكير فى عرفها معناه استشارة والدها ، وهو يعلم نتيجة تلك الاستشارة مقدماً . ويولي الادبار ويشرق النهار . . ويقبل الخادم ينبهه الى انه تحدث مع المحطة بالتليفون وانه وجد المـكتب مغلقاً وان القطار يتحرك فى الساعة السابعة وخمسين دقيقة !

إذن فقد اعتزم بيير السفر وأعد معداته . وتسأله فريدريك متى يعود الى باريس فيجيبها بأنه لن يعود . وتشتد المناقشة بينهما ويتحدثان عن الطلاق وينسب كل منهما مسؤولية ذلك الشقاء الى الآخر وينتهى بيير بأن يقول وهو متجه الى الباب :

بيير ــ ان المسؤول عن شقائنا هو مجرم واحد . . ذلك هو الرجل الذى أراد أن تحبينه اكثر منى .. هو أبوك ! (فى الخارج) الوداع يافردريك

فريدريك (يائسة) ــ أنت غبي ! غبي ! (تطفىء النور وترتمى بين الوسائد وينزل الستار بينما يسمع صوت بكائها وسط الظلام الحالك)



فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى منزل جان لويس وقد أخذت فريدريك تتحدث مع أخيها عن الاصوات التى ينتظر ان ينالها والدها فى انتخاب العضوية بالمجمع العلمى . وتفهم من حديثها انها هجرت زوجها ، وانها لا تزال متشبثة بحب والدها ، فهى تطلب اليه أن يملى عليها مقالاته وهي تدونها . وتتحدث إلى والدها عن أمر طلاقها من بيير فقد أفهمها محاميها ان هذا الطلاق ممكن بعد فترة معينة. وتحس من إجابة جان لويس انه غير مطمئن الى ذلك ويصرح بأنه لو كان واثقاً

من انها لاتزال تحب بيير لما تردد فى تضحية نفسه من أجلها . .

ويقبل كورادى جد فريدريك ويتحدثان أيضاً عن بيير فقد كان كورداى عنده فى الريف

وتقارن فريدريك بين أبيها وزوجها . فتفضل الاول ويحاول كورداى ان يثنيها عن ذلك فتأبى ولا تقبل منه أن ينتقد والدها ولا أن يتهمه بالأنانية !

ثم يدخل الخادم منبئاً بقدوم سيدة أميريكية تدعى مسز ونتون تريد أن ترى فريدريك شخصياً . فاذا دخلت فانت تفهم من حديثها ان لها علاقة بجان لويس ، وانها سألته عدة مرات أن يدعو ابنته فريدريك للنزهة معهما ولكنه اخفى ذلك عن ابنته . وان تلك السيدة الاميركية قد توفى زوجها فاصبحت أرملة وأنها اشترت قصراً فخماً فى روما ستذهب اليه مع جان لويس ومع فريدريك على ان تتخلف الاخيرة فى البلدة التى يقيمُ بها زوجها بيير . . وان جان لويس سيتزوج تلك السيدة .. وتفهم مسز ونتون ان جان لويس قد أخفى كل ذلك عن ابنته ولكنها كاميركية تأبى أن تتزوج من شخص إلا إذا كان حراً حرية مطلقة ليست له زوجة أو ابنة أو عائلة تقيده ، وهى لذلك تطلب الى فريدريك أن تعود إلى زوجها ، ولكن فريدريك ترفض ذلك فان الخلاف بينها وبين زوجها قد استحكم ولا يمكن ازالته ، وتسألها عن سبب ذلك الخلاف فتجيبها انه والدها الذى أراد أن يستأثر بها وجعل ائتلافها مع زوجها مستحيلا

ويدخل جان لويس الذى يدهش من وجود مسز ونتون . وتخبره هذه الاخيرة أنها معجبة بفريدريك وأنها ترجو أن تكون معهما عند تناول العشاء فى المطعم وتخرج فيخلو الأب بابنته . وهنا موقف رائع وفق فيه المؤلف التوفيق كله . ففريدريك تسأل والدها عما إذا كان عاشقاً لمسز ونتون فينكر فى بادىء الامر ، ولكنها تستمر فى مجابهته بالحقائق التى علمتها .. تتهمه بانه سوف

يتزوج تلك السيدة صاحبة الملايين وسينعم فى قصر من قصور روما ثم تسأله فى ثورة هائلة :

ـــ كل هذا لم . لك انت . . أما أنا ؟

ويعترف بانه يحب مسز ونتون ولكنه يحاول التخلص من المسؤولية . وهل يسأل هو عن القدر الذى أوقعها فى زوج أنانى ؟ وهى تدفع عن زوجها تلك التهمة بكل قوتها . فالانانية المطلقة الهائلة هى انانيته هو . ويذكرها بانه أبوها ولكنها تندفع فتقرر بانها فقدت بيير من أجله . وهو ينعى عليها رغبتها الشريرة فى أن تفصل بينه وبين من يحبها ، فتذكر بان هذا هو نفس ما فعله إذ فرق بينها وبين زوجها . ويتحدثان عن بيير فهو يذكرها بانها لم تكن تحبه وهى تجيب بانها حقيقة قبل الزواج لم تكن تحبه ولكنها بعد ذلك أحبته . وكل ما تتمناه الآن ان يحبها بيير كما تحبه هى .. وهي تذكر لوالدها انها هجرت بيير وكان قلبها مقسما بين عاطفتين عاطفة حبها لزوجها ، وحبها لابيها ، ولكن أنفتها تأبى عليها الآن بعد أن هجرها أبوها أن تعود الى زوجها ذليلة خاضعة

ويقبل كورداى الشيخ وتخرج فريدريك بنية ارتداء ثيابها لاجابة دعوة مسز ونتون ، ويخلو جان لويس الى حميه فيفهم منه ان بيير موجود فى باريس ويرجوه ان يذهب اليه ويخبره أن فريدريك تود ان تراه ، ويبدى كورداى خوفه من أن يشتد الزوجان الشابان فى كلامهما إذا التقيا ولكن جان لويس يلح فى وجوب ان يحضر بيير وسيذهب هو لارتداء ثيابه استعداداً للدعوة

كورداى ـــ آه انى خائف . انى خائف . فكرفى ان سعادة حفيدتى هي التى تعرض الآن للخطر

جان لويس (بينما يخرج كورداى يتجه إلى غرفته) ـــ ليست سعادتها هى فحسب !

✡ ✡ ✡

فاذا كان الفصل الرابع فنحن لانزال فى منزل جان وقد أقبل بيير وأخذ يتحدث إلى زوجته فريدريك التى تبدى سرورها الشديد برؤيته وهى لا تعلم كيف دبر أمر حضوره ويخبرها بانه علم بمسألة اعتزام ابيها الزواج من مسز ونتون . فاذا أبدت له رغبتها فى ان تعود حياتهما الى ماكانت عليه اجابها بانه كان يفضل أن تخونه وأن يعفو عن تلك الخيانة على أن تعود اليه بعد أن يهجرها والدها لارضاء شهوة فى نفسه . وهو لايعتقد مع ذلك أن والدها قد ملها نهائياً فسيعود فى يوم من الايام الى التشبث بان تبقى بجانبه . . . بمجرد علمه بانه ــ أى بيير ــ قد عاد اليها . . . ويدق جرس التليفون . .. فيقول :

ــ انه يدعوك . . . (بغضب) كما كان يدعوك فيما مضى فى كل ساعة من النهار والليل . . أتذكرين ؟

وترفع فريدريك سماعة التليفون فاذا به أحد أصدقاء بيير وهو الدكتور داريون الذى يخبره بيير بانه قادم بعد خمس دقائق

ويتضح أخيراً لبيير ان فريدريك لم تستدعه وان جدها كورداى قد خدعه اذ أفهمه انها هى التى أرسلته . ويقبل جان لويس فتسأله ابنته عما اذا كان هو الذى ارسل الى بيير يطلب اليه الحضور فيجيبها : « أجل . هو أنا » وتفهم بعد ذلك ان مسز ونتون قد عدلت عن فكرة الزواج بجان لويس وان السبب فى ذلك هو مارأته من اصرار فريدريك على عدم العودة الى زوجها إذ هى لا تطيق ان تتزوج برجل ابنته تعيش معه . ويتهم الاب ابنته بانها السبب فى ذلك ويطلب اليها ان تذهب الى مسز ونتون وتؤثر عليها لكي تعود الى قبوله زوجاً وهو موقن اليقين كله بانها هى وحدها التى تستطيع النجاح فى هذه المهمة . وهو يرجوها ويتوسل اليها ان تقبل فلا تجيب . وعندئذ يفسر بيير ذلك بانها تريد كعادتها ان تستبقى والدها ولكنها تنكر ذلك انكاراً تاماً . فهى معتزمة مغادرة البيت اذا لم يأخذها زوجها معه فلقد اجرم والدها فى حقها اذ

عبث بسعادتها . ويعترف جان لويس بانه من السخف ان يحب وان يتألم فى تلك السن ، ويشعر بيير بالعطف عليه مادام قد ضمن ان تكون فريدريك له وحده ، فهى تقبل السفر معه الى حيث يقيم وفى أى وقت يشاء ، ويخرج جان لويس ويرجو بيير منها ان تذهب الى مسز وتتون فترضى على أن يذهب هو معها وتنتهى القصة بهذا الحوار البديع

بيير (يتبعها الى المرآة التى تقف أمامها لارتداء قبعتها) . — من أى نوع تلك المرأة التى تدعى مسز وتتون ؟

فريدريك — آه ! امرأة طيبة جداً يا عزيزى (ملتفتة الى بيير . بلهجة تكاد تكون جلية) وأبى غير جدير بها

— فردريك . كم تكرهينه ؟

فريدريك — (تستعيد سرورها) ولكن لا يا بيير . اننى لا اكرهه (ترتمى بين ذراعيه) اننى أحبك

العرق الذهبي

عن الكاتب الايطالى جوجليلمو زوركى

أما فى هذه القصة فسأنتقل بالقارىء الى جو آخر يختلف اختلافاً تاماً عن الاجواء التى عشنا فيها الى الآن . فهى قصة لكاتب ايطالى . وأنا سعيداذأبدأ بقصة« العرق الذهبي » La Veine d'or كأنموذج للمسرح الايطالى الحديث.فؤلف هذه القصة وهوجوجليلموزوركى Guglielmo Zorki فى مقدمة ابطال القصة المسرحية الايطالية . وهو من اتباع العبقرى جابريل دانونزيو يميل مثله الى المواضيع العواطفية الرائعة والأسلوب الفخم الجميل ولكنه فى الوقت ذاته قد تأثر ــ كما تأثر الكثيرون من كتاب المسرح الايطالى فى العشرين سنة الاخيرة ــ بطريقة الكاتب الايطالى المعروف لويجى بيرانديلو Pirandello فى بحث حالات نفسية مختلفة . وأزمات معقدة فى صميم الحياة الانسانية

وقصة « العرق الذهبي » التى ألخصها لك اليوم هي مثال حى لطريقة البحث النفسى العلمى التحليلى الذى يجريه المؤلف على أبطال قصته . وقد مثلت هذه القصة نحو خمسمائة مرة فى ايطاليا ثم ترجمتها إلى الفرنسية مدام جان جاك برنار J. J. Bernard ومثلت للمرة الاولى على مسرح الاوديون فى اكتوبر سنة ١٩٢٩ ، فقابلها النقاد فى فرنسا بعاصفة من الاعجاب والتقدير . وحيوا بكل قلوبهم تلك الطريقة المبتكرة الحديثة فى التحليل النفسى الرائع . ولو أن بعضهم لم

ينس أن يقول إن هذه القصة تمت بصلة شبه إلى قصة الكاتب الفرنسى هنرى باتاى المسماة « الام كوليبرى » Maman Colibri

نحن فى قصر الكونتس اوزبرتى Usberti وهى سيدة فى السابعة والثلاثين من عمرها تسمى ماريا Maria جميلة فاتنة . جياشة بالعاطفة . يبدو عليها أنها ماتزال طفلة صغيرة . ولقد تزوجت هذه السيدة منذ عشرين عاماً وهى فى السابعة عشرة من عمرها لاتكاد تعرف عن الحياة شيئاً . ولكن زوجها هجرها بعد الزواج بخمسة أشهر ، وتركها تحمل بين احشائها جنيناً ، هو ابنها كونراد Conrad

وانت تعلم منذ بدء الفصل شيئاً كثيراً عن حياة هذه الاسرة . من حديث يدور بين زائرين قدما لرؤية ماريا . هما البانى Albani . أحد أساتذة الامراض النفسية والعقلية فى ايطاليا . وجوى مانفريدى Guy Manfridi . الشـاعر الشاب الذى لم يبلغ من العمر الرابعة والثلاثين ، ومع ذلك فقد ذاعت شهرته فى ايطاليا وفى الخارج ، وتهافت القراء على شراء كتبه وقصائده

ويقبل كونراد ابن صاحبة القصر فاذا به شاب فى العشرين من عمره . قوى البنية جميل . يتحدث الى جوى الشاعر فتفهم انه صديقه الحميم ، وانه تحدث الى والدته عنه فرغبت فى التعرف اليه بعد أن قرأت قصائده

ثم تقبل ماريا ، وتتحدث الى جوى عن كتابه الجديد الذى يعتزم اخراجه والذى قدم خصيصاً لزيارة بعض الاماكن الأثرية من أجله

ويدق جرس التليفون ويجيب كونراد فاذا بالمتحدث ابنة عمه الكونتس اميلى Amélie وإذا به يداعبها مداعبة طويلة ، ويدعوها للحضور الى القصر . وإذا بهذه الدعوة تقابل بشىء من الدهشة من جانب والدته إذ أن اميلى لم تتعود الحضور فى المساء

ويخلو جوى الى الإستاذ البانى ، فيخبره الاخير بأن الشاب كونراد قد تعلق

يحب ابنة عمه اميلي رغم انها تكبره بنحو عشرة أعوام ، وان هـذا الحب يعرضه للخطر ، إذ انه شاب لم يتجاوز العشرين من عمره وليست له أية دراية أو خبرة بالحياة فقد كان فى حضانة أمه منذ ولادته الى الآن

وتفهم من حديثهما أيضا أن ماريا قد كرست حياتها لولدها كونراد منذ هجرها زوجها بعد خمسة أشهر من زواجهما ليهرب مع عشيقته الروسية وان هذا الزوج يعيش الآن فى بتروجراد ، وأن ماريا قد تعزت بولدها عن هذا الهجر وظلت روحها حية قوية غير مكترثة لشيء وكأنها استعادت كيانها كفتاة بكر عذراء !

وتقبل اميلي وتتحدث الى كونراد حديثاً طويلا كله عاطفة وشعر وإحساس خفي مكنون . . وتكاد تشعر من خلال هذا الحديث ـ رغم ما أحاطه به المؤلف من غموض ـ ان هناك حباً متبادلا بين هذين الشخصين فهى تقدم له وروداً قطفتها من الحديقة وتدنى هـذه الورود من أنفه ليستنشق عبيرها . ثم تقول له :

ــ أعد لى هذه الوردة ذابلة . . . الا تريدها ؟ اذن فأنا أضعها هنا . (تضعها على المـائدة) ولكن احذر إذ هى مادامت هنا فستذبل بسرعة كما أقول لك

ثم تخرج ضاحكة

وتدخل ماريا فى تلك اللحظة وتفهم مايدور بينهما من مجرد النظر اليهما. ويدعوها كونراد للخروج معه الى الحديقة مع باقى الضيوف . ولكنها تعتذر وتسمح له بالذهاب وحده بعدأن تلاحظ القلق الذى يبدو على وجهه والخجل الذى يعتريه

وتدير ماريا رأسها الى الباب الذى خرج منه ابنها وبعد قليل تجلس على أحد المقاعد ويبدو عليها كأنها تحس بأن ابنها قد انتزع منها نهائياً. وتصل الى

سمعها ضحكات اميلي المرحة ، وتنقضي فترة صمت وسكون رهيب ثم يقبل جوى ويتحدث اليها فاذا به يلاحظ اميلي تغرى كونراد وتفتنه ، وإذا بماريا تقول له :

— ولكن على شرط الاتنتزعه منى تماماً

ثم يتحدثان عن الكتاب الجديد الذى يعتزم جوى اصداره ، فيسرد لها الشاعر الشاب كيف ان هذا الكتاب يدور حول شخصية (افروديت) الاغريقية تلك الشخصية القصصية التاريخية المعروفة وكيف انه ذهب لزيارة قبرها ، وكيف أن روعة حياتها تتلخص فى أنها تزوجت ثم تركها زوجها وانها ظلت تنتظره فى قبرها منذ اربعة عشر قرناً ! ولكن زوجها كان قد وجد امرأة أخرى ولا زالت (افروديت) تنتظر .. وحدها . . !

وتتأثر ماريا من هذا الحديث وتحنى رأسها إذ تذكر حالتها الخاصة ويستمر جوى فى حديثه وأخيراً ينتبه إلى أنه قد أثر فى ماريا تأثيراً قوياً فتقف الكلمات على شفتيه ، وتسمع من الخارج ضحكات عالية يبدو من خلالها صوت اميلي واضحاً

وتدخل اميلي وقد بدا عليها انها تأثرت من شرب الشمبانيا فتلعب مع كونراد وباقى المدعوين ويتعالى ضجيجهم وضحكهم

ثم تخلو ماريا إلى ابنها فيقترب منها ويشخص إلى عينيها فى حنان لاحد له. وتقبله فى جبينه وهى تطلب اليه ان يذهب إلى فراشه وأن يعتنى بغطائه لئلا يتعرض للبرد

وتخرج ماريا فيقترب كونراد من المائدة ويتناول الوردة التى كانت قد تركتها اميلي وينظر اليها ثم يلتفت إلى الباب الذى خرجت منه والدته ويضع الوردة ثانية ثم يخرج

☆☆☆

فاذا كان الفصل الثانى فنحن لانزال حيث كنا وقد اقبل الشتاء وانهمر الثلج فغطى الحديقة بطبقة بيضاء ، وقد سارت علاقة كونراد باميلى فى مجراها العادى ، ولـكن نشبت فى الوقت ذاته علاقة أخرى بين ماريا والشاعر جوى مانفريدى صديق ابنها . فهما يخرجان للنزهة وزيارة الاماكن الاثرية معاً ، وهما سعيدان بهذه الزيارات يقومان بها لجمع المعلومات اللازمة لـكتاب جوى الجديد وماريا تسرد فى اسهاب كيف أن الدليل كان يقودهما بين أروقة أحد المتاحف المظلمة ، وكيف انطفأ مصباح الدليل أثناء سيرهما فساد الظلام ، وكيف أنهـا اعتمدت على ذراع جوى وضغطت عليه من الخوف . وهي تلوم ابنها كونراد لانه لم يصحبهما فى تلك الزيارة ، وتستمر فى وصف شعورها والاثر القوى الذى تركته تلك الزيارة بصحبة جوى فى نفسها . ويستمع ابنها إلى ذلك ولـكن بغير اكتراث ولا اهتمام . وتسأله أمه بضعة أسئلة فيجيب فى تراخ وكانه غير مسرور من خروج والدته مع جوى . غير أنها تسأله عما اذا كان سيتناول الغداء معها أم لا فيجيبها أنه سيتناوله فى أحد المطاعم !

ويتحدث كونراد الى جوى فتشعر أن الاول قد بدأ يحمل فى نفسه ضغينة نحو صديقه . فهو يسخر منه ويتهكم عليه ويذكر له أنه يستطيع أن يلتمس وحى شعره وفنه فى أحد (الاسطبلات) فهناك يعمل الشعر !!

ثم يتدرج فى حديثه ويفهم جوى مايريد أن يقوله ، ولـكن بلهجة خفية مستورة غير واضحة ، فهو لايطيق أن تخرج والدته معه وأن تهزأ بذكرى والده

فاذا خرج كونراد فماريا تبكى إذ يتضح لها أن ابنهـا قد اشتبه فى علاقتها بجوى . وهي تبدى لجوى رغبتها فى ألا يطيل إقامته . فيقترح عليها أن يتظاهر بوصول رسالة برقية تستدعيه إلى بلدته وينتحل ذلك سبباً للسفر ويذكرها جوى بالايام السالفة التى بدأت فيهـا العاطفة المشتركة المتبادلة تتحرك فى صدريهما ويذكرها بالمصادفات العجيبة التى كانت تجعلهما يتقابلان ، وعلى غير موعد فى

أما كن معينة خارج المدينة . وهى تستوقفه وترجو منه ألا يستمر فى حديثه فيستميحها عذراً ثم يخرج

ويسود فى الغرفة ظلام لايضيئه الا انعكاس لمعان الثلج فى الحديقة. ويعود كونراد فتخبره ماريا أن مانفريدى كلفها أن تودعه فقد وصلته برقية من والدته تستدعيه الى تورين وأنه لن يعود مطلقاً بعد ذلك

وتظل ماريا صامتة وهى تقاوم عاطفة حادة عنيفة تضطرم فى صــدرها . وينتهى الفصل بهذا الموقف العجيب

كونراد ــ أماه ! . . (يقترب منها بسرعة ويسقط على الارض ثم يخفى وجهه بين ركبتى والدته ويقول اذ يبكى مضطربا) : أماه. . أماه . أنت قديسة ! . أماه . . أماه ! .

ماريا (فى أثناء صياحه المحزن تداعب رأسه وتمنعه من الكلام) ــ كلا . . كلا. . لاتتكلم . . لاتتكلم . .

* * *

فاذا كان الفصل الاخير فقد أقبل الربيع وانقضى نحو عام على ماتقدم . وعادت ماريا وابنها كونراد من رحلة طويلة قاما بها فى انحاء أوربا . ولكنك تلحظ على ماريا تغيراً كبيراً . فقد فقدت تلك الروح المرحة التى كانت تبدو بها ، وأصبحت دائمة العبوس والتفكير . لاتكاد تجد شهوة للطعام أو الشراب وتعانى مشقة هائلة فى الحصول ولو على قدر ضئيل من النوم

ويقبل الاستاذ البانى استاذ الامراض النفسية والعقلية . كما تقبل اميلى لتحية ماريا وابنها بمناسبة عودتهما . وتفهم من حديث اميلى مع كونراد ان الشاعر جوى مانفريدى قد حضر الى البلدة منذ شهرين ولكن أحداً لا يراه فهو موجود دائما فى احدى الكنائس ينقب على مستندات تفيده فى كتابه الجديد ، ولو أنها تعتقد ان هذا الكتاب لن يظهر مطلقاً . ! ويتحدث كونرادالى

الاستاذ الباني فيشكو له سوء حالة والدته . وكيف انه عرضها على أعاظم الاطباء في نابولي وميلان وباريس . ولكن الباني يجيبه قائلا :

ـــ انى أكرر لك ان الاطباء لايستطيعون أن يفهموا شيئاً من حالة والدتك ، لان والدتك ليست مريضة . لقد امتحنتها بكل دقة قبل سفرها ، ثم رأيتها مرة أخرى فى روما ، وأنا اراها الآن . إنها بصحة جيدة . قلبها قوى . وبالاختصار ليس فيها عضو ضعيف . . إذن . . اذن فيجب البحث عن سبب خارج عن جسمها . . هذا هو تشخيصى

ويدهش كونراد من هذه اللهجة ولكن الباني يتدرج فى حديثه فيشرح حالة والدته ، وكيف انها عند ماهجرها زوجها كانت شابة فى السابعة عشرة من عمرها . فلما رزقت به حصرت كل جهودها وغرائزها ومشاعرها فى حبه والعناية به وظلت شابة ناضجة حتى كبر وأصبح شابا . فلما لاحظت علاقته باميلى أخذت تفكر فى ان ابنها سينتزع منها وان لها هى الاخرى قلباً كانت أغلقته دون الناس أجمعين ولم يتسع الا لحب ابنها . شعرت هى الاخرى بان شبابها الذى اختزنته مدى عشرين عاماً قد تحرك وأخذ يطالب بحقه هو الآخر . . ! !

ويذهل كونراد لهذا التقرير الذى أدلى به الاستاذ الباني . ويرى فيه اهانة فيغضب ولكن الآخر يقول له :

ـــ انى رجل هرم وأستطيع أن أقول لشاب فى العشرين من عمره انه لا يوجد فى العالم مبدأ يمكنه ان يقاوم الحياة . يجب ان ننحنى أمام الحياة . ان فينا غرائز مقدسة لانعترف بها ونخجل منها ولكنها تقودنا الى فواجع لا حصر لها . .

ويصيح كونراد قائلا :

ـــ الباني ! الباني !

ثم يسقط على المقعد وهو يجهش بالبكاء

ويخرج البانى بعـد ان يطلب من كونراد أن يتشجع ولا ييأس ويعمد الشاب بعد قليل الى صورة والدته منذ عشرين عاماً وصورتها فى الشتاء الماضى ، ويرى انها كانت لا تزال محتفظة بمرحها وشبابها بل وطفولتها

ويستدعى الخادم ثم يعطيه رسالة يأمره بايصالها إلى جوى مانفريدى . وتقبل اميلى فتتحدث اليه حديثاً ممتلئاً بالعاطفة والنشوة والحب

ويحضر جوى ، فيقابله كونراد فى بادىء الامر مقابلة فاترة . ويتردد طويلا فى الافاضة اليه بسبب استدعائه . وأخيراً يفهمه بانه قد استدعاه لكى يساعده فى انقاذ والدته من المرض الذى انتابها بسبب انتزاعها منه . ويحنو جوى عليه ويبدى له كل حب واخلاص وينسى اساءته له ويطمئنه ويعده بانه سيحضر فى المساء . ثم يقول له :

ــ يبدو لى انك فى قرارة قلبك ، فى تلك الظلمات الحالكة حيث يختلط الخير بالشر وحيث لا يجسر الرجال على الهبوط خوفا من الالم ، يبدو لى انك استطعت أن تجرؤ على النظر الى تلك الظلمات ، وانك قد اكتشفت هناك جمالا جديداً . . . اكتشفت العرق الذهبى لقلبك ! ويمد كونراد يده إلى صـديقه فيتصافحان . ويخرج جوى على أن يعود فى المساء

ويخلو كونراد الى نفسه قليلا ثم تدخل ماريا فتقف اذ تلاحظ ان ابنها ينظر اليها بعينين غريبتين متغيرتين . فتضع الزهور التى معها على المائدة الصغيرة . وتنتهى القصة بهذا الموقف الشعرى الرائع

كونراد (بعد سكوت) ــ أماه . . (سكوت يجاهد فيه للمرة الاخيرة ويغمره شعور وديع هادىء) تذكرين . . فى السنة الماضية ؟ اذ كنا جالسين هنا (يشير إلى المقعد) قلت لى : ان مانفريدى قد سافر ولن يعود مطلقاً (ماريا تشعر ان قواها ستخونها فتستند إلى المائدة لكيلا تسقط . ولكنها

تحاول اخفاء ذلك لئلا يلحظ ابنها) كلا . . أتعلمين يا أماه . . . لقد عاد . . كان هنا منذ لحظة (ماريا تخفض رأسها . فقد فهمت انه يعلم كل ما كان بينها وبين مانفريدى وانه من العبث ان تنكر أو تخفى ذلك) لقد قلت له ان يحضر هذا المساء (ماريا تظل صامتةسا كنة خجلة وتنهمر الدموع من عينيها فينظر اليها كونراد فى حزن وحب ثم يقترب منها ويطوقها بذراعيه ويدنى وجهها من وجهه . ويبقى هكذا برهة وهو شاخص الى الامام . ثم يغمض عينيه ويهمس بصوت مرتعش يختلط فيه الحزن بالفرح والحنان) ــ آه ! . .

السن الحمراء

عن الكاتب الفرنسي لونورماند

والسن الحمراء La Dent Rouge هي قمة جبل من جبال الألب الشامخة التي تخترق فرنسا . وقد اتخذها المؤلف المسرحي الشاب هـ . ر . لونورمان H. R. Lenormand عنواناً لقصته التي الخصها لك . وهي كغيرها من قصص هذا الكاتب المجدد النابغة تحفة فنية نادرة أشعر بسرور شديد إذا قدمها الى القراء ، بل أنا أشد سروراً واغتباطاً لانى استطعت أن أعطى القراء فى مصر فكرة عن لونورمان بعد أن تعمدت مسارحنا ان تحرم جمهورها من فنه السامى . فقد لخصت لك من قبل قصة « أنما الحياة حلم » ولعلك رأيت فيها — للمرة الاولى — نوعاً جديداً رائعاً من الفن التحليلى العميق الهادىء الذى يقوم على دراسة نفسية علمية صحيحة لشخصيات القصة وهأنا ألخص قصة «السن الحمراء» . وفيها ينتصر لونورمان لفكرته العتيدة التي تقول أن للافكار عدوى كعدوى الامراض ، وانه قد يكفى أن يتمنى شخص فى أعماق نفسه موت شخص قريب اليه فيموت هذا الشخص بل ويكون موته على الشكل الذى تصوره الشخص الاول

ولقد تعمد لونورمان أن تقع حوادث قصته هذه كلها فى سفح جبل شامخ أو على قمة ذلك الجبل . بعيداً عن ضجة العالم ومظاهر مدنيته الحاضرة ثم أرسل ببطلة القصة وهى كلير Claire التى ولدت فى أميركا إلى ذلك الفسح الجبلى وجعلها

تندمج فی أسرة تایراز Tairraz التی لاتعرف عن العالم شیئاً وتسکن ذلك الجبل النائی ورتب علی ذلك الاندماج کوارث عدة نزلت بتلك الاسرة الریفیة المحافظة علی تقالیدها الموروثة . وأنت تشعر من سیاق القصة انها دعوة ضد المدنیة الحدیثة التی رمز لها بتلك الفتاة الامیرکیة المولد . وهذا لایستغرب علی لونورمان فهو شاعری النزعة. یحلم دائما ولا یتصور الحیاة إلا حلماً کبیراً یشمل العالم اجمع

وقد مثلت «السن الحمراء» للمرة الاولی علی مسرح الاودیون فی أکتوبر سنة ١٩٢٣ واشرف علی اخراجها الممثل الفرنسی المعروف جیمیه



نحن فی بیت جبلی تسکنه اسرة تایراز بجبال الالب وهی اسرة مکونة من جد وزوجة ابن تسمی جان Jeanne وقد توفی هذا الابن فی أثناء التسلق فی إحدی مغامراته الجبلیة وترك ولدین هما بییر Pierre وأمیه Amé . وتفهم من حدیثهم أن بییر قد خرج الی الجبل منذ ثلاثة أیام ولم یعد بعد ولکنهم مطمئنون علی مصیره فقد عرف فی تلك الانحاء بالمقدرة التامة علی تسلق أعلی القمم . وهم یتعرضون فی حدیثهم إلی ذکر الاجانب فنجد أنهم یشمئزون لتلك الذکری ولا یتصورون أولئك الاجانب الاشرار قط . وذلك بمناسبة قدوم شخص اسمه جوراس Joras أصله من تلك الجهات ولکنه رحل منذ مدة طویلة إلی أمیرکا وجمع هناك ثروة طائلة ثم عاد الی موطنه الاصلی ومعه ابنته کلیر واشتری أراضی واسعة فی سفح الجبل

وتقبل کلیر فی أثناء هذا الحدیث فاذا بها فتاة حدیثة النزعة . تخاف من الجبل ولکنها فی الوقت ذاته لاتتحسر علی ترکها للبلاد التی ولدت فیها وهی البرازیل

فاذا خلا جوراس الی ابنته کلیر فهو یحدثها عن رغبته فی تنسیق حدیقة واسعة فی تلك الجهات لانه لم یکافح ثلاثین عاماً إلا لیهنأ بعد ذلك . وهو لا

يتردد فى سبيل تنفيذ رغبته فى ان يرغم اسرة تايراز على ان تبيع له جزءاً من أملاكها فقد أصبح هو المالك المتصرف فى تلك الجهات . ويقبل أحد الرعاة فتسأله جان عن ابنها بيير . فيجيبها انه رأى رجلا على أعلى الجبل . وتشعر جان انه لابد ان يكون ابنها . وهي تهزأ بما يقوله الراعى إذ يبدى خوفه عليه من الشياطين ! فهى واثقة من أن ابنها أقوى وأقدر من غيره على التغلب على كل خطر . وهى تتحدث فى ذلك الى جده فتؤكد له أن بيير سيصل إلى ارتفاع لم يصله قبله أحد من أفراد الاسرة . وهنا تشعر بعقلية أولئك الناس وطريقة تفكيرهم العجيبة . فالجد يذكر ان أهل زمنه كانوا يعلمون ما لهم وما عليهم نحو الجبل . فكانوا لايتعدون فى ارتفاعهم علواً معيناً موقنين ان الجبل لايريد ان يشعر بقدم رجل تدوس قمته . ولا يجب اغضابه ! وهو يقرر أنه لم يكن يعرف الخوف فى شبابه ولكنه لم يكن يريد اغضاب الارواح التى فى أعلى الجبل فاذا عارضه الشاب (أميه) فى وجود الارواح أجاب انه رآها بنفسه

وهكذا يسير الحديث بين أفراد أسرة تايراز ، يدور كله حول الجبل والتفاخر بالوصول الى قمته العالية . فيذكر (اميه) انه عندما يطل من النافذة ليلا يرى القمم تشير اليه وكأنها تدعوه . فيجب عليه اطاعتها والذهاب اليها بل هو يتغزل فى القمة الحمراء التى تبدو بعيدة من خلال النافذة فيقول :

— اننى سأشرب من دمك الجميل .. وسيلذ لي ذلك كما لو كان نبيذاً .. !

ويقبل جوراس فيقابله الجد تايراز مقابلة جافة . فهو أجنبي يجب احتقاره ومادام قد غادر الجبل منذ ثلاثين عاماً فقد فقد صلة القرابة بهم . ولم يعد ابن العم جوراس كما كان قبلا . وهو يصيح فى وجهه :

— اننى لا أعرفك

فاذا طلب منه جوراس أن يحترمه أجابه :

— اننا لانحترم إلا من نعرفهم !

وتشترك جان فى الحـديث منضمة الى الجد تايراز . وتفهم من اجابة جوارس انه قد قدم إلى تلك الانحـاء ليزوج ابنته كلير من أحد أثرياء بلدة فالسورانش Valsorenche وليضمن لها بذلك سعادتها المستقبلة . فتجيبه جان إن ابنته لا تفكر فى فالسورانش وانما هى تحب ابنها بيير . فيثور جوراس لذلك الخبر ويعتبره اهانة لكرامته . فاذا خلا الى ابنته فهو يسألها عما اذا كانت حقاً تحب بيير فتعترف بذلك . ولا تعبأ باعتراضه . فالحب لا يعرف الثروة ولا الجاه وهى لاتريد ان تسكن المدن الـكبرى . فاذا انتهرها وعنفها . ثارت هى الاخرى وأجابته :

ــ انى أفضل ان أفقدك على أن أتخلى عنه !

فيقول لها انه ذاهب معها فى اليوم التالي الى فالسورانش وينتهى المنظر بهذا الحوار

جوراس ــ سأذهب لأبحث عن زوج لابنتى كما يروق لي ... وقبل ثلاثة أسابيع ستتزوجين

كلير تهز كتفيها ــ هذا ما سوف نراه ! (تدخل الى الحديقة يتبعها جوراس)

☆ ☆ ☆

فاذا كان المنظر الثانى فقد عاد بيير من رحلته الجبلية وأخذ يتحدث الى شقيقه (اميه) عن كلير فيثنى عليها ويبثه حبه لها . ويذكر انه يضحى قمة (السن الحمراء) فى سبيل قبلة منها . ولا يصغى الى نصيحة شقيقه وتحذيره له من أولئك الاجنبيات

ويخلو بيير الى كلير . وهنا حديث غرام ساذج برىء كنت أود أن اترجمه لك كله . وينتهى بان يسألها وهو يحملها بين ذراعيه :

ــ أين أذهب بك هكذا بين ذراعى ؟

فتجيبه :

ــ احملني بعيداً . خبئني حتى لايتمكن ابى من العثور على

وعندئذ يشير عليها ان يذهب بها الى الـكوخ الذى فى قمة (السن الحمراء). فلا يمكن لساقى ابيها الهرم ان تقويا على الصعود اليها . فاذا اعترضت على ذلك بان تلك القمة تعلو عن الارض اكثر من ثلاثة آلاف متر وطريقها وعر ردىء المسلك أجابها انه سيحملها على كتفيه واكد لها ان الحب الذى فى قلبه أقوى من السيل المنحدر والرعد القاصف ! فترضى . ويحضر لها جلد تيتل ويخبرها أن المثل السائر عندهم أن جلد التيتل يعطى القوة والجرأة . ويلف كلير بذلك الجلد المخضب باطنه بآثار الدم الاحمر وتضحك كلير وهى تلف نفسها بالجلد وتقول :

ــ ان جسمى كله يحمر من الدم !

فيجيبها :

ــ التفى ! التفى جيداً . . ! حتى يتسرب الى عروقك ويدخل فى قلبك . التفى جيداً !

☆ ☆ ☆

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى فندق جبلى من الفنادق التى تقوم فى أعلى جبال الألب على ارتفاع ثلاثة آلاف متر وقد اجتمع فيه عدد من الصيادين وهواة الصعود الى القمم العالية . ومن بينهم شخص يدعى فورتييه Fourtier رأس بعثة غرضها الوصول الى قمة (السن الحمراء) ومعها كافة المعدات العلمية الحديثة لتحقيق ذلك

فاذا خرج فورتييه وأعوانه أقبل اميه وأخذ يعنف بيير الذى نزل مع كلير فى ذلك الفندق . أخذ يعنفه ويلومه على انه ترك آماله القديمة فى الفوز بالقمة من أجل تلك الفتاة الاجنبية ويحاول بكل طاقته ان يحرضه على مصاحبته فى الصعود الى القمة فلا يفلح مطلقاً ، وعندئذ يخبره انه سيذهب بمفرده إذ ان

شرفه يأبى السماح لغريب عن الاسرة كفورتييه بالوصول اليها أولا وقبل أى فرد آخر

فاذا خرج اميه اقبلت كلير وطلبت الى بيير ألا يفكر بعد الآن فى (السن الحمراء) فالوصول اليها خطر وهى تخبره انها ظلت طول الليل تتخيل تلك الاحجار التى تتناثر من القمة العالية حتى ليخشى أن تكتسح الفندق !

وهى تطلب منه ان يتعهد لها بعدم الصعود اليها مطلقاً فيتعهد بذلك . مع ان ذلك الجبل كان قبل ان يعرفها حياته الوحيدة ويخبرها أنها لو طلبت منه ان يضع روحه فى فم الشيطان لما تردد ؟

ويسمع عن بعد صوت القافلة التى يرأسها فورتييه فى صعودها الى القمة

ثم يتحدثان عن حياتهما الزوجية المستقبلة فتدلي اليه برغبتها واستعدادها فى أن تعيش كما يعيش نساء أسرته . وانه سيرى كيف تعنى بالمواشي وكيف ستحمل الاثقال على رأسها . فيجيبها أنه يرغب فى أن يجعلها سيدة فى بيته كالعذراء فى الكنيسة إذ هى لا تستطيع ان تشتغل كما تشتغل نساء هذه الجهة

وتسأله عما اذا كان لم يقرأ شيئاً فيجيبها :

— وماذا أقرأ ؟ ليس عندى كتب

فتقول له :

— أما أنا فلدى مئات الكتب . لدى الكثير منها — ثم يقبل جوراس والد كلير ويطلب اليها أن تتبعه فترفض . وتنشب بينه وبين بيير مناقشة تحتد فتصل إلى حد التشاجر فيشتبكان فى ملحمة عنيفة تنتهى بان يتغلب بيير عليه . وعندئذ يقول له جوراس وهو يلهث إنه اذا كان يريد ان يأخذ ابنته بعد أن يجردها من كل ثروتها فانه يعطيها له ! فيجيبه بيير :

— انى آخذها

فيقف جوراس ويصارحه انها ابنة غسالة فى أحد فنادق البرازيل ! وتبكى كلير اذ ذاك قائلة :

ــ انك تكذب ! انك تكذب !

فيقول لها إنه كان يكذب طالما كانت هي ابنته أما الآن فهو يقول الحقيقة ثم يخرج بينما تسقط كلير منتحبة بين ذراعى بيير . وتسمع أغنية القافلة التى تصعد الجبل قادمة فى صوت خافت من ارتفاع بعيد . ويذهب بيير الى النافذة ويشخص برهة الى الجبل ولكن بكاء كلير يعيده اليها ليضمها الى صدره

☆☆☆

فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى كوخ أسرة تايرازو وقد أقبل الشتاء وعاشت كلير مع زوجها بيير فى هذا الكوخ وارتدت ملابس نساء الجبل. وأخذ (اميه) ينشد أغنية جبلية ويكررها. فاذا سألت كلير عن السبب فى ذلك اجابها بيير انه يقتل الوقت فى موسم الشتاء اما بالغناء أو الخمر . لأنه لايستطيع ان ينام طول الوقت، فتخبره ان غناءه يزعجها وعندئذ يطلب من شقيقه ان يكف عن الغناء . فاذا تأفف اميه من ذلك ذكرته بانه يكرهها منذ أقنعت بيير بالعدول عن فكرة الصعود الى السن الحمراء فيعترف بذلك ويخبرها بأنها منذ دخلت الى الاسرة اصبح بيير رجلا آخر . وانها مسئولة عن عدوله عن فكرة الوصول الى القمة وانه لايستطيع الصعود اليها وحده . ويخشى ان يصل فورتييه وأتباعه اليها قبله ويغرسون علمهم على رأسها

وتقبل جان أم بيير وتطلب الى كلير أن تشعل البيبة للجد تايزار فتفعل فى شيء من الامتعاض ، وتسخر منها جان لذلك كما تسخر من ابنهـا بيير إذ تراه يقرأ كتاباً . وتعود فتنهر كلير لانهـا لم تحضر الحساء للجد وتقسو فى إهانتها وتقول لها :

ــ إذا كنت لاتقوين على العمل فيمكنك العودة إلى أبيك !

وتتألم كلير من ذلك وتجيبها انها اشتغلت كما يجب . وأكثر مما يجب . ولم تعد تطيق ان تعامل كخادمة . ولا تعبأ جان بذلك وتسألها عما اشتغلته طول يومها فتجيبها كلير بأنها لم تشتغل مثلهم لانهم متعودون على الشقاء . . ولـكن هاقد قضت ثمانية ايام والثلج لا ينقطع عن السقوط حتى غطى الجدران وتجمع امام الباب والنوافذ وفوق القبة . وخيل اليها انها ستدفن هناك ولن تتمكن من الخروج لاستنشاق الهواء الطلق

ثم يقبل بعض الجيران ويأخذ الجميع فى الشراب . ويتحدث أحدهم عن خبر موت واحدة من البلدة . ويذكر انها لن تدفن فى المقبرة إذ ان الثلج قد كساها بطبقة بلغ ارتفاعها أربعة أمتار فاذا سألت كلير عما سيفعلون بها اذن ، أجابوها ان التقاليد تقضى بوضعها على قبة البيت فى فراش من الثلج ، وتبقى هكـذا حتى يقبل الربيع . وترتعد كلير لذلك ولـكنهم ينبهونها إلى أنه من الواجب احترام التقاليد

ويستمر الجميع فى أحاديث مختلفة ويقوم الجد تايزار ليرقص بعد ان يفرط فى الشراب فيترنح ويسقط ميتـاً . ويتجمع الموجودون حوله . وترتعد كلير ارتعاداً عصبياً وتقول جان :

ـــ لقد كان يفضل ان يموت فى الجبل كابيه وابنه وكل رجال الاسرة ومع ذلك فالموت هكذا خير من الموت تحت الاغطية

ثم تطلب الى الرجال الذين يقبلون أن يحضروا فى صباح اليوم التالي ليضعوا الميت على فراشه الثلجي فى قبة البيت

✡ ✡ ✡

فاذا خلت كلير الى بيير بعد ذلك بأيام فهى تسأله عن السبب فى عدم دفن جده فى المقبرة فيجيبها ان الثلج قد تراكم فوقها ولا بد من عشرين رجلا لـكى يقووا على حفر قبر له . فاذا أرشدته الى الطريقة التى يمكن بها الحصول على ذلك العدد أفهمها أن والدته وشقيقه لا يريدان تغيير العادة المتبعة فهناك عقيدة

سارية عندهم بأنه لو تغيرت العادة فلا بد من وقوع كارثة فى البيت.وهى تتهمه بانه هو نفسه يخشى من وقوع تلك الـكارثة وانه متأثر بتلك التقاليد خاضع لها فيعترف . ويذكر لها حادثة معينة دفن فيها ميت تحت الاحجار بدلا من وضعه فى قبة البيت فكانت النتيجة أن عاد شبحه الى أهل قريته يهددهم بالمصائب ولما أقبل الربيع احترقت القرية؟

ومع ذلك فهى لاتقتنع بذلك فكل شيء يطاق الا النوم والاكل والحياة تحت هذا الرعب ؟ وهى تصيح طالبة مغادرة البيت فلا يمكن أن تبقى تحت تلك القبة اللعينة ! وهى تتحداه قائلة انها ذاهبة الى فالسورانش حيث يقيم والدها . أو الى أى مكان آخر غير هذا الذى تطل عليه جثة الميت . وهو يذكرها بما قالته له قبلا من أنها ستحتمل كل شيء فى سبيل الحياة معه . فتعترف بانها اذا كانت أحبته فقد أخطأت فى تقدير شجاعتها وعندئذ يثور ويتهمها بانها قد غيرته وصيرته شخصاً آخر . ففقد الرغبة فى كل شيء . وأصبح لايطيق الحياة بدونها . واذا فقدها فسوف يتحطم ويقف قلبه و يموت ! وهو يصرح لها بأنه يفهم السر فى ذلك . فاذا قالت له وهى فى غاية التأثر بصوت منتحب :

ـــ انه الحب يابيير

أجابها :

ـــ كلا ! انه ليس حب رجل مسيحى لزوجته . انه السحر الذى يجذب الملعونين الي روحهم اللعينة !

ويجابهها بانها سحرته وأنه ليس وحده الذى يعتقد فى ذلك فان والدته وشقيقه يعلمان ذلك منذ مدة طويلة ، فاذا قالت له :

ـــ ومع ذلك فانت تعلم انى أحبك . لم اسيء اذن اليك ؟

أجابها فى اقتناع هادىء :

— ان الاساءة ترتكب لاجل الاساءة وأحيانا بدون أن يعلم المسيء السبب مادامت لديه القوة على الأذى

وتبكي كلير فيلاحظها بيير فى برود وقد ظهرت عليه امارات الشك فيها ثم تتجه الى الباب وتقول فى أثناء البكاء :

— ما دمت تعتقد انني أسيء اليك فدعني أذهب — ولكنه يصيح بها :

— كلا . انني أحجزك !

ثم يقفل الباب وتسأله عما اذا كان يريد أن يسجنها فيقول لها : « اجل »

— فى هذا القبر ؟ تحت هذه الجثة ؟

— أجل

وعندئذ تهدده باضرام النار فى الكوخ ، ويثور ثائره ويتناول عصا جده ويهوى بها على جسم كلير . وينتهى الفصل هكذا

كلير (تهرب الى اليسار) — آه ! كيف تجرؤ ! آه ! آه !

بيير (متابعاً ضربها) — سأسقطك إلى الارض كما أسقطت أباك! واذا كانت العصا لا تكفى لاخراج الشيطان من جسمك فسأخرجه بضرب النعال !



فاذا كان الفصل الاخير فقد خرج بيير ليحاول مرة أخرى الوصول الى (السن الحمراء) وأخذت كلير تجمع الحشائش من الجبل وتحملها على ظهرها. فاذا تحدثت الى فورتييه فهو يشك فى امكان وصول بيير الى القمة بمفرده. فقد وصل هو — أى فورتييه — الى ارتفاع أقل من القمة بمائة متر مع ان لديه معدات ليس مع بيير شيء منها

ثم يقبل أحد القسس وتسأله كلير عن أبيها فيخبرها انه يشترى الاراضى ويبيعها ويشرب . ولكن الهرم قد نال منه وهى تشرح له كيف عاد زوجها

الى السن الحمراء فقد لاحظت أن الحزن كاد يقتله عندما منعته من الخروج الى الجبل . فقالت له ذات يوم :

ــ بيير . انك تستطيع الرجوع اليه اذا كان فيه سعادتك

فما كاد يذوب الثلج حتى خرج مع شقيقه ومعهم الجبال ومنذ شهر وهما يناماں بين الاحجار . وهى تشكو الى القس تشكك أسرة تايراز فيها وعدم اطمئنانهم اليها . فقد حدث بعد موت الجد بأيام ان خضرت جان مع اميه فى أثناء نومها وأرادا ان يوخزا جسمها بابرة لكى يتبينا مكان الشيطان منه ! فاذا طلب إليها القس أن تعود الى أبيها مادامت الحياة هناك لاترضيها أجابته :

ــ انى لا أريد مغادرة البيت فانا أحب زوجى

وهو ينبهها الى انها تعيش هناك كخادمة فتقول له :

ــ ولم لا تكون ابنة الخادمة خادمة كأمها من قبل ؟

وهى تعترف انها أساءت الى بيير اساءة لاشك فيهاولكنهاهى نفسهالاتعرف ماهى الاساءة . فهم لا يكذبون عند ما يقولون ان لديها القدرة على الاذى فاذا سألها :

ــ أى قدرة يا ابنتى المسكينة ؟

أجابت :

ــ لست أدرى .. قدرة حزينة .. تجعل الشمس أقل وضوحا والعشب أقل اخضراراً وتسمم الحياة

وهى تعترف بانها يوم ضربها بيير تمنت فى أعماق نفسها موته ؟ وودت لو عاد الى الجبل وأسرت إلى نفسها قائلة : « اذهب . اذهب إذن ! . . ولتصبك كارثة اذهب »

وتعترف بانها لم تكن تستطيع إسكات ذلك الصوت الذى كان يتردد فى

صدرها وانها تخيلته يسير فوق الثلج ويهوى الى الحضيض وهى تقرر رأيا لم تثق منه . ذلك ان الشقاء يتمخض عن الشر والا ذى

ثم يقبل الراعى وينبىء أنه رأى بيير على القمة ذاتها . وتسر كلير لذلك . وتهلل جان فرحا وتقول انها كانت تعلم من قبل أن ابنها سيصل الى غرضه . وترفع قبضة يدها الى الجبل فى شماتة منتصرة وتقول :

ـــ ها قد أذللناك أيتها القمة العاتية ـ ويقبل الجيران عند سماعهم بالخبر ويرون وجوب تحية الشقيقين اللذين رفعا رأس الاسرة فيحيونها باطلاق الاعيرة النارية فى الهواء وينتظرون أن يجيب الشقيقان تلك التحية باطلاق أعيرة مثلها من أعلى القمة ولـكن أحداً لا يجيب !

ويقبل فورتنيه ويخلو الى كلير فاذا به يعتقد ان الفضل فى وصول زوجها الى القمة يرجع الى قوتها وقدرتها السحرية ويلومها على انها لم تهبه تلك القوة فقد كان مستعداً لدفع ماتريده من المال مادام فى ذلك تحقيق للغرض الاسمى . وهو يشير الى ان مثيلاتها من الساحرات لايتركن الناس بعد تحقيق أغراضهم بل يمتنهم ولذا فهو يترقب موت بيير . والا فلم لم يعد مادام الراعى قد رآه منذ مدة طويلة ؟

ويقبل أحد الصيادين ويحمل نبأ سقوط بيير من أعلى الجبل وموته. وتذهل كلير فى بادىء الامر ثم تجهش بالبكاء . ويقبل (اميه) وقد ظهرت عليه آثار الجروح . ويسرد كيف هوى شقيقه بعد أن عجز عن القفز كما فعل هو. وتثور جان فى وجه كلير وتتهمها بانها سممت عقله بسحرها وانها لذلك تستحق الموت ويقرها الموجودون على وجوب التمثيل بها وحرقها كما كانوا يفعلون قبلا بالسحرة ولـكن القس يتعرض لهم ويحمى كلير من عاقبة غضبهم . فيخرجون . وتخلو الفتاة الى القس وتسر له انها هى التى قتلت بيير فاذا قال لها ان جنونه هو الذى قاده الى الموت أجابته :

— من الذى سمم نفسه بالقلق وجسمه باللذة ؟ من الذى جعل روحه حائرة مضطربة ؟ وعضلاته ضعيفة متراخية ؟ من الذى هدم غريزته الجبلية ؟ ومن الذى أرسله الى (السن الحمراء) مرتاباً فى نفسه خائر العزيمة ؟ لولاى ياسيدى القس ما زلت قدم بيير .. وربما كنت أقدر مما اعترفت لك به . . اذ انى رغبت فى موته . ومن يدرى ماذا يمكن ان تفعله الرغبة المجردة ؟ وقد تخيلته يسقط ، ومن يعرف ماذا يمكن ان تقوى على فعله الفكرة المجردة ؟ لقد جرى الى الموت الذى حلمت به له ! انهم يقولون الحق فقد قتلت زوجى

وتنتهى القصة بهذا الحوار

كلير — انك تعتقد فى أمور أكثر خفاء وغموضاً مما أحدثك عنه

القس (ينظر اليها طويلا ثم يقول فى شىء من الرضوخ)

— أجل

لقد قتلت

عن الكاتب الفرنسي ليو بولد مارشان

قصة حديثة لكاتب مجدد من كتاب المسرح الفرنسي . . . فقصة « لقد قتلت » J'ai tué مثلت للمرة الأولى على مسرح انتوان فى ا كتوبر سنة ١٩٢٨ ومؤلفها ليوبولد مارشان Léopold Marchand من الكتاب الذين أظهرتهم النهضة الاخيرة فى المسرح الفرنسى . فقد كتب قبل ذلك قصته المعروفة « لم نعد بعد أطفالا » Nous ne sommes plus des enfants فلاقت نجاحاً كبيراً. إذ أبدى فيها المؤلف قدرة فى تحليل حالة نفسية عامة لبعض رجال العصر الحاضر، ثم كتب بعد ذلك هذه القصة « لقد قتلت » وظل مواظباً على مثله الفنى الاعلى من دراسة النفس البشرية دراسة علمية عميقة على ضوء ظرف عواطفى معين . فالقصة كلها تدور حول امرأة احبت ثم غارت فقتلت عشيقها وبرأها القضاء. فمعظم الناس يعتقدون أن قصة تلك المرأة تنتهى عند تلك البراءة. ولكن ليوبولد مارشان يخالفهم فى ذلك ويبتكر شيئاً جديداً إذ يرى أن العذاب الذى يمكن أن تلقاه تلك المرأة بعد البراءة قد يفوق عذاب السجن . وهو يوالى التطورات التى تطرأ على بطلة قصته بمهارة فنية نادرة

وثم شيء آخر جدد فيه المؤلف ولم يخضع للاصول المسرحية القديمة ، فلو أن برنشتين أو باتاى أو غيرهما من مؤلفى المسرح الفرنسى فى أوائل هذا القرن قد وفق الى موضوع هذه القصة لجعل منظر قتل المرأة لعشيقها يقع فى الفصل

الثانى أو الثالث على اعتبار انه عقدة القصة ومحورها . ولـكن ليوبولد مارشان لم يفعل ذلك ، بل جعل ذلك المنظر يقع وينتهى فى الفصل الاول، وقصر الفصلين التاليين على تحليل حياة المرأة بعد حكم البراءة

والواقع أن هذا المؤلف جدير بكل تقدير وإعجاب . ولقد جاءت فرقة فرنسية فى الشتاء الماضى الى القاهرة ومثلت « لقد قتلت » بين ما مثلته من القصص وشاهدتها فراقتنى وأثارت فى نشوة غريبة . وها أنا ألخصها لك راجياً الرجاء كله أن تقدم احدى الفرق المصرية على تقديم قصة من قصص هذا الـكاتب النابغة الى جمهورها . فحرام أن يظل هذا الجمهور المسكين محصوراً فى دائرة ضيقة من بعض المؤلفين الفرنسيين الذين اعتادت مسارحنا الترجمة عنهم . ولا تريد أن تبتعد عن تلك (العادة) ولو خطوة واحدة ..!



نحن فى ردهة أحد الفنادق الـكبرى بنيس ، ذلك المصيف البديع الواقع فى جنوبى فرنسا وقد اخذ الـكونت فرانسوا ده لارسان Francois de Larçan يتحدث الى ممثلة من ممثلات السينما الامريكيات تدعى ايلين Elen يبدو عليها كل ما يبدو على مثيلاتها الامريكيات من مظاهر الحرية المطلقة والخلق (الرياضى) المستهتر . وتفهم من حديثهما ان فرانسوا قد تعرف الى ايلين فى نيس وأن هناك علاقة بينهما قد انتهت الى اتفاقهما على السفر سوياً الى أمريكا ، ويدق جرس التليفون أثناء هذا الحديث واذا بشخص يرغب فى مقابلة فرانسوا ، ويقبل هذا الشخص بعد قليل فاذا بها السيدة اليز Elise قدمت من باريس لتتحدث الى فرانسوا فى أمر هام يتعلق بعشيقته بول Poule صديقتها الحميمة ، اذ أن فرانسوا قد ترك عشيقته بول فجأة بدون ان يخطرها وحضر الى نيس ، وقد ظلت بول ثلاثة اسابيع لا تعرف اين ذهب !

وتفهم بعد قليل ان بول تلك متزوجة وان فرانسوا أغراها فأحبته وأحبها . ولكنه لم يعد يحبها الآن . وقد بلغت منه القسوة أن أغلق دونها بابه ذات ليلة حتى أشفق عليها الخدم فاقتادوها الى سيارة . وهو يعترف بذلك الى اليز ويخبرها انه لن يعود الى باريس وأنه سيسافر الى مارسيليا ليرحل منها الى الخارج . ولكن اليز تفاجئه بأن عشيقته بول قد حضرت الى نيس معها وقبل ان يتمكن فرانسوا من عمل شيء تدخل بول ويخلو فرانسوا اليها فتعاتبه اولا عتاباً خفيفاً رقيقاً يدل على مبلغ تعلقها به وتتدرج الى سؤاله :

— قل لى اذن ... ولكن قل لى . . قل لى . . او اصرخ فى وجهى ! . . الا ترغب فى بعد .. اليس كذلك ؟ انتهى .. ألا تريدنى ؟

ويجيبها فرانسوا اجابة فاترة باردة لا تشفى غليلها ، وتدور بول فى الغرفة ويدق جرس التليفون فاذا بالمتكلم ايلين ؟ تطلب الى فرانسوا أن يسرع بالنزول فيعدها ان يكون عندها بعد خمس دقائق . وتكون بول إذ ذاك قد اصاخت بسمعها فتبينت أن المتكلم امرأة فتصيح به :

— انها امرأة تلك التى كانت تكلمك ! .. اعترف بذلك

فرانسوا — أجل !

بول — عشيقتك ؟

فرانسوا — اجل ! .. هل انت مسرورة ؟

بول (مختنقة) — انت .. انت .. تجرؤ .. ان ..

وتثور بول لذلك وتحاول ان تثأر لكرامتها المهدورة، فتؤكد له انه لا يجب أن يشمئز من هيئتها الحاضرة فعليها آثار التعب واعصابها متأثرة من الارق الطويل وتطلب اليه ان ينتظر حتى تستريح وتستجم وتستعيد قوتها وشبابها وفتنتها ! ولكنه لا يعبأ بذلك ويحاول الخروج فتمنعه وتهدده بأنها ستقتل نفسها وتجثو على ركبتيها وهي تقول له :

ــ احبك .. احبك .. احبك

ولــكنه يتخلص منها بوحشية ويفتح الباب ثم يخرج فتتبعهوهي تعدو ويظل الباب مفتوحاً فيسمع من الخارج صوت نضال ومشادة بينهما ، وأخيراً يدوى صوت طلق نارى ويسود صمت رهيب ... !

ويقبل الخدم وتعود بول إلى الغرفة وهي هادئة تماماً وتقول بصوت خافت :

ــ أنا . . . لقد قتلت عشيقى

☆☆☆

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى منزل بول بباريس وقد انقضت ســبعة شهور على ماحدث ، سجنت بول اثناءها على ذمة التحقيق فى حادثة قتل عشيقها فرانسوا

وأخذت الير تتحدث الى فالير Valair زوج بول . فتعرف أن هذا الزوج قد أدى شهادة أمام المحــكمة كانت كلها فى مصلحة بول . حتى إن الاستاذ اتيير Ithier المحامى صرح بأن تلك الشهادة هي السبب فى تبرئة بول . ويصرح فالير بأنه عندما رآها واقفة فى قفص الاتهام رق قلبه لها وتأثر تأثراً عميقاً .فقد اساء اليها اساءة بالغة وأهملها فى سبيل الجرى وراء عشيقاته ومغامراته . كماتعرف أيضاً ان بول قد افرج عنها بعد صدور حكم البراءة وأنها قادمة بالقطار وحدها الى باريس

وتقبل بول بعد قليل وتتحدث إلى زوجها حديثاً ودياً تخرج منه إلى ان ذينك الزوجين قد اساء كل منهما الى الآخر بذلك الزواج ، فالزوج رجل مستهتر داعر عابث لايكاد يصلح لحياة مستقرة منتظمة ، والزوجة تعلم عنه ذلك ، ويظهر أن فالير قد انتبه الى ذلك بعد حادثة بول فقام باجراآت الطلاق ، ولو أن هذا لم يمنعه ان يؤدى تلك الشهادة التى فى صالح زوجته . . . !

وبعد برهة يحضر الاستاذ سيرج اتيير المحامى الذى يشتغل فى مكتب نقيب المحامين بباريس والذى تولى الدفاع عن بول فى قضيتها . فاذا بسيرج رجل فى الثامنة والثلاثين من العمر . رقيق . حنون . مهذب . قد أظهر عطفاً زائداً نحو بول أثناء سجنها مدى سبعة شهور . فكان يرسل اليها بالكتب والمجلات والقصص فى السجن . وبول تذكر له هذا العطف فتصارحه بانه الصديق الوحيد الذى يمكنها أن تلتمس منه النصح وتثق به . وهو يخشى أن تكون مغالية فى ذلك . فقد ظلت مدة سجنها لاترى غيره . ولكنها الآن سترى الكثيرين ، ولذا يتاح لها أن تتبين نقائصه وعيوبه . . . وهى تجيبه بأنها تعرفه وقد درست أخلاقه وتحاول أن تثبت له ذلك فتذكر له انه متشائم يميل الى الاعتقاد فى الاوهام والخرافات وانه لاثقة له فى نفسه مطلقاً . وهو يرجومنها أن تسمح له بالخروج معها الى المسارح ودور السينما ، ولكنها تنبهه الى أنها لايجب أن تصاحب شاباً فى سنه . وتستشيره فى فكرة الرحيل عن باريس إذ هى خائفة فاذا سألها

سيرج ــ كيف ؟

بول ــ آه ! انى لا أقول هذا لشخص غيرك .. ولكن الحق انى خائفة . خائفة أولا من كل ماينتظرنى هنا . . . احتقار الناس أو فضولهم . . . الاصدقاء القدماء الذين سألتقى بهم فى الطريق فينظرون الى شذراً وينتقلون الى الافريز الآخر هرباً منى

سيرج (فى عتاب) ــ اتتكلمين عن نفسك ؟

بول ــ اعلم جيداً . . . كل هذا ليس بالأمر الخطير . . ولكن هناك شيئاً آخر . . هناك التليفون الصامت . . الباب المغلق . . الصمت (تلقى حول نفسها نظرة) هذه الغيبة التى أحس بها والتى لن أنساها ! مع الاسف

سيرج ــ لاتبالغى

بول — إننى أعيش فى عالم لايغتفر بسهولة أمثال تلك الجرائم الفاضحة

وهكذا تستمر المناقشة بين بول وسيرج على ذلك النمط المشوق البديع . فهى معتقدة وموقنة أنها مجرمة وقاتلة رغم حكم البراءة . وهو يظن أنها تفكر ذلك التفكير لأنها كانت تحب عشيقها القتيل ولازالت تحبه ! ولكنها تنكر ذلك وتؤكد له أن الحب يختفى فى ذلك الظل الهائل الذى يصحب الموت ! وانها لم تعد تفكر فى عشيقها الا بشعور من الرثاء نحوه والرعب من نفسها !

وهو لايصدق ذلك ويقول لها :

— اعترفى بالحقيقة وقولي ببساطة . . إن أشد ما اندم عليه فى كل مافعلته هو انه ليس موجوداً الآن لكى يعذبنى كما كان يعذبنى!

وتشعر هي انه يثور من أجلها فتسأله عما اذا كان يحبها فيجيب :

— انى احبك حتى الموت !

ثم تعود هى الى ذكر الحادثة التى ارتكبتها فتصرح بان هناك شيئاً ينغص عليها عيشها.ذلك انها تشعر بانها لم تعاقب على ما ارتكبته وهى تحس بأنهاسوف تتعذب من أجل ذلك وأنها لن تفلت من العقاب . اماسيرج فلا يزال مصراً على رأيه من انها تتأثر بذكرى ذلك الرجل لانه لم يفعل الا انه اساء اليها وعذبها .! وهو يبثها حبه وهيامه فترفض وتصرح بأنها لاتريد ان تحب بعد ذلك . ولاترغب فى ان تتعرف الى رجل آخر . . إلى رجل قط . . . ! ولكن سيرج يؤكد لها غرامه الشديد . وهي تسخر من ذلك وتصارحه بأن الكلمات التى يستعملها هي نفس الكلمات التى يستعملها كل الرجال فى تلك المواقف . وينتهى الفصل بسيرج وهو يقترب منها قائلا :

— انى لا اعرف إلا أن احبك . . . كحيوان . كلى لك .. ياحبيبتى ... كلى لك . . . انصتى لى ياحبيبتى . يجب ان تدعى الساعات التعسة تمر وتنقضى ويجب على الاخص ان تولينى ثقتك . . .

وبينما هو يتحدث عن غرامه فى حرارة وذلة وتؤدة يهبط الستار رويداً



فاذا كان الفصل الاخير فنحن فى فندق قروى صغير على شاطىء البحر بمقاطعة بريتانى وقد انقضى عامان على وقائع الفصل السابق . واقبلت بول مع سيرج إلى تلك الناحية لقضاء فترة من فصل الصيف ، وتعرف بعد قليل ان سيرج قد تعود الخروج مع سيدة تدعى آنيت Annette من المصطافات فى سيارته . وأن بول قد كلفته باحضار بعض أشياء من الصيدلية فلم يحضرها لانشغاله مع آنيت

فاذا خلت بول إلى سيرج فهما يتحدثان حديثاً عاديا . وهو يريد أن يقبلها فتمتنع بحجة أنها فى سن تخجل أن يراها أحد وهو يقبلها فيسخر منها

وتقبل إحدى الزائرات وتذكر حادثة اعتدت فيها امرأة على صديقها فقتلته . ويتحدث الحاضرون عن آرائهم فى تلك الحادثة

فيذكر البعض ان للمرأة الحق أحياناً فى أن تثأر لنفسها بالقتل . ولكن بول تهتاج إذ ذاك وتنكر بكل قوتها ذلك الحق ولا تقر أن هناك حالات تبيح ذلك الحق استثناء

وتخلو آنيت الى سيرج فتفهم ان ثمة علاقة بينهما . فهما يتقابلان فى الخارج وهو يعانقها ويقبلها . ولكنها فى الوقت ذاته فى دهشة من أمره . إذ انه احياناً بعد أن يقبلها يصيبه شبه ذهول ويفكر فى شيء آخر . . . وتعطيه عنوان منزلها بباريس فهى معتزمة العودة اليها . ويعدها بأنه سوف يتردد عليها هناك . ثم يتناول يدها ويقبلها بحنو ورقة . وتدخل بول إذ ذاك فتراها . ولا تكاد آنيت تخرج حتى تلتفت بول الى سيرج وتحدثه عنها . ويشعر انها تغار منها ويصارحها بذلك فتنكر ، وعندئذ يقول لها أشياء مبهمة غامضة عن الاوقات التى كان يقضيها

مع آنيت فى الغابة وعن عنوان منزلها فى باريس ورقم التليفون الخاص بها فتشتد الغيرة ببول وتقول له :

ــ آه يا سيرج . . . أذكر انك تبعث فى نفسى خيبة عميقة لو صح ما سردته على

ــ وماذا تفعلين ؟

بول ــ لا أعرف . . لا أعرف .. ولـكن كل شيء ينتهى

سيرج ــ ينتهى !

بول ــ أجل . . كل شيء بيننا ينتهى . .

ويسألها عما اذا كان يمكنها أن تعفو وتغتفر له تلك الزلة فترفض هذا العفو وعندئذ يسألها :

ــ ومع ذلك فكم مرة اغتفرت للآخر وعفوت عنه ؟

فتتراجع الى الخلف مذعورة وتقول :

ــ ماذا ؟ الآخر أيضاً .. الآخر دائماً !

ويذكرها بأنها كانت تفضل الآخر ويعرض عليها صور الخطابات التى كانت ترسلها اليه فصورها محفوظة فى «دوسيه» القضية ثم يقارنها بالخطابات التى أرسلتها اليه .. والفرق بينهما واسع !

وتؤكد له انها تحبه وأنه وفر لها الراحة والحياة الهانئة . ولـكنه يجيبها بأن هذه الامور لاتساوى شيئاً بجانب القلق الذى كانت تشعر به وهى مع الآخر وعندئذ تقول له فى ضحكة حزينة :

ــ لقد وصلت إلى تعذيبي . . . كما كان يعذبنى الآخر . . . وكنت على وشك أن تخوننى لـكى تمتحننى وترى موقفى من تلك الخيانة . اليس كذلك ؟ اذهب الآن . انت حر . لقد انتهى عملك . وانتهى جيداً . لقد خدعت . . . ان القضاء لم يبرئنى فها أنا اكفر الآن عن جريمتى

ثم تذكر له أن تلك الفتاة آنيت جديرة بأن تحبه . وتقول له إنها لم تعد تستطيع ان تحب ويتفقان على الافتراق . وتنتهى القصة بهذا الموقف الرائع

سيرج (وقد اخفى رأسه بين يديه يبكي) ـ ألم تحبينى ؟ . . .

بول (تقهر نفسها على الابتسام حتى النهاية) ـ سنلتقى مرة أخرى بكل تأكيد . . إن باريس صغيرة . . اذهب . فكم سأسر إذ أقول لك بعد بضعة أعوام: « صباح الخير ياسيرج . كيف حالك ؟ » . . . ابتسم معى فأنا سعيدة لأنك تفهمنى . . انتظر اقترب منى . ان « الكرافات » ليست منتظمة . . . هكذا . . . أنت جميل . . . وشاب . . . اذهب

سيرج ـ ولكنك لو فعلت ذلك ستؤلميننى !

بول ـ لاتفكر فى ذلك كثيراً

سيرج (يائساً) ـ هل أستطيع !

بول ـ شكراً

الماضي الملوث

عن الكاتب الانجليزى ارثر بينيرو

مؤلف هـذه القصة سير ارثر بينيرو Arthur W. Pinero فى مقدمة الـكتاب المسرحيين الذين بنوا المسرح الانجليزى الحديث ، فقد قدم الى ذلك المسرح عدداً هائلا من القصص ، ومع ذلك فهو لايزال بعيداً عن متناول اصحاب المسارح عندنا رغم ان من هم أقل منه شأناً فى انجلترا قد ترجمت قصصهم الى العربية وحظيت برضى الرأسمالية المسرحية فى مصر ، والسبب فى ذلك واحد لا يتغير . فهو من الـكتاب الذين تأثروا كل التأثر بروح العبقرى النرويجى هنريك ابسن الذى لخصت له فى هذا الـكتاب قصة (البطة المتوحشة) وابسن كما هو معلوم لايعنى بالجمهور ولايتملقه . ولا يهمه صفق أو ظل صامتاً .. فهو يكتب ليرضى مثله الأعلى . . وكفى !

ولقد اتخذت لقصة اليوم هذا العنوان الذى يراه القارىء . مع أن اسمها فى الانجليزية The Profligate ، أى الرجل الملوث . ولـكن هذا التصرف الذى اقدمت عليه فى ترجمة العنوان يتسق مع روح القصة والغرض الذى يرمي اليه المؤلف،فهو يتعرض هنا لموضوع اجتماعى كثير الوقوع فى الحياة الانسانية مهما اختلفت الازمان والشعوب . يتعرض للخيبة التى تشعر بها الزوجة الشابة البريئة التى تحب زوجها وتعبده وتعتقد انه مثال الرجولة والطهارة فى ماضيه

وحاضره ــ الخيبة التى تشعر بها اذا ماعلمت فجأة ماضيه الملوث الممتلىء بالدنس والاثم والفجور !

ولقد مثلت هذه القصة للمرة الأولى على مسرح جاريك Garrick Theatre بلندن فى ٢٤ ابريل سنة ١٨٨٩ فاحدثت ثورة عنيفة فى عالم المسرح . وقتلها النقاد فى لندن ومدن انجلترة الاخرى بحثاً ومناقشة وتمحيصاً . وقارنوا بين بنيرو وابسن النرويجى ودوماس وجورج اونيه الفرنسيين وانتقل الاهتمام بالقصة الى القارة الاوربية وترجمت الى اللغة الهولندية ومثلت فى امستردام ثم اقتبست للغة الالمانية ومثلت على مسرح ليسنج فى برلين . ودعى بنيرو لتلاوة قصته فى مجمع العلوم والآداب أمام جمع من العلماء والادباء والفنانين فحازت الاعجاب واستعيد كثير من فقراتها

(الماضى الملوث) اذن قطعة مسرحية خالدة قوية بروحها وفكرتها و (حبكتها) المسرحية . ومواقفها العنيفة . وهى ولا شك فخر المسرح الانجليزى الحديث



نحن فى مكتب اثنين من المحامين المعروفين فى لندن هما تشيل Cheal ومورى Murray . وقد أقبل أحد عملاء المكتب وهو اللورد دانجارس Lord Dangars وأخذ يتحدث الى هج مورى أصغر المحاميين الشريكين سناً فتفهم من حديثهما أن اللورد دانجارس كان متزوجا ثم طلق زوجته . وأنه رجل عابث مستهتر . له جولات معروفة مع النساء وتعلم من سياق الحديث ان رجلا اسمه دنستان رنشو Dunstan Renshaw سيتم زواجه فى ذلك اليوم بالذات ويبدى اللورد دانجارس دهشته من خبر زواج رنشو إذ هو أحد رفاق اللهو فى الأيام الماضية ويسأل عن العروس فيعلم أنها فتاة من بلدة هيلمستد تسمى ليسلى برودنل Leslie Brudenell يطنب المحامى هج مورى فى وصف

محاسنها ويذكر أنه رآها فى مدرسة هيلمستد فراقته وسحرته ويشبهها بالصور المقدسة التى لا يملك المرء ازاءها الا أن يهمس !

ثم يقبل دنستان رنشو ويتحدث الى مورى واللورد قليلا فى موضوع زواجه ويخرج مع اللورد ويخلو مورى الى زميله تشيل فيطلب اليه ان يعمل ما فى وسعه لمنع زواج رنشو من ليسلى فلا يجب مطاقاً تسليم تلك الفتاة الوديعة البريئة الى رجل كرنشو له ماض ملوث . ولكن تشيل لايوافق على ذلك ويرى ان رنشو لم يفعل أكثر مما فعله غيره . ولا يجب أن تحل عليه اللعنة الى الابد من أجل الهفوات التى ارتكبها فى الماضى ويقول :

تشيل — لقد ارتكب كل ذلك فى الماضى . والزواج هوالبداءة الحقيقية لحياة الرجل .

هج مورى — كلا ياسيدى انه نهاية تلك الحياة . فما بعد ذلك الا الجنة أو الجحيم

ويعلق تشيل على ذلك بأنه لا داعى للمناقشة مادامت ليسلى برودنل تحب رنشو ولكن مورى يرى أنه لا اهمية لذلك الحب . فلا شك ان فتاة صغيرة لا تزال فى المدرسة لابد أن تحب أول رجل تصادفه . وعندئذ يقول تشيل له :

— ولماذا لم تحبك مادامت تعرفك قبل رنشو ؟

وتقبل العروس ليسلى وتتحدث الى مورى فتشعر أنه لايطيق حضور حفلة الزفاف ويعتذر بأنه مشغول . وتعرف ان مورى كان يتردد على مدرسة هيلمستد التى تدرس فيها ليسلى وكان يعنى بشئون الفتاة كل العناية ويظهر نحوها منتهى العطف . وتخلو ليسلى الى مورى فتفهم من حديثها أنها تحب خطيبها رنشو بل وترى أنها غير جديرة به،فهو طيب الى الدرجة القصوى . وكثيراً ما كانت تبتهل الى الله أن يهبها من الطيبة والطهر مايجعلها جديرة به ، ويشترك فى الحديث وليفريد برودنيل Wilfrid شقيق ليسلى ويخبر مورى أنهما عند وصولها

الى محطة لندن أمس رأيا سيدة بائسة تصيح وتولول كأنها فى محنة هائلة ترجو رجلا يأخذ بيدها . وأنه نصح تلك السيدة بالتوجه الى مورى وأعطاها بطاقة توصية

ويخرج الجميع لاتمام اجراءات الزواج وتقبل المرأة التى تحدث عنها ولفريد فاذا بها شابة تدعى جانيت بريس Janet Pruce تسرد قصتها التى تتخلص فى أن رجلا قابلها وأغواها وسلبها اعزما تحرص عليه الفتاة العذراء . وأنها لاتعرف اسم ذلك الرجل الحقيقى إذ اتضح لها أن الاسم الذى ينتحله وهو لورنس كينوارد ليسل ليس اسمه الصحيح . لانها رأته يوماً يوقع خطاباً بالحرفين الاولين من اسمه د . ر . وهى تبحث عن ذلك الوحش البشرى الذى عبث بها وقضى على مستقبلها

ويشك مورى فى صاحب ذلك الاسم الذى حرفاه الاولان د . ر .ويخطر بباله دنستان رنشو . ويطلب إلى الفتاة أن ترسم له وجه ذلك الرجل الذى تبحث عنه . فتفعل . ولا يكاد مورى ينظر إلى الرسم حتى يشهق ويصيح : «رنشو !» ويفكر ثم يعتذر للفتاة بأنه لا يستطيع أن يأخذ على عاتقه عبء البحث عن ذلك الرجل ولكنها تتوسل اليه وتقول :

ـــ ابحث عنه . انه ليس بالقاتل الذى يسير متلصصاً فى الظلام فى اثناء الليل . إنه خادع للنساء فقط . والرجال لا يختفون لهذا السبب !

وتخرج الفتاة ثم يعود الذين كانوا قد ذهبوا إلى موثق العقود ، ويخلو مورى إلى دنستان رنشو فيتهمه بأنه قد أجرم فى حق تلك الفتاة الطاهرة باقدامه على الزواج منها رغم ماضيه الملوث . ويحاول رنشو أن يسكته فيلمح له أنه يعرف مبلغ عطفه السابق على زوجته ليسلى وعاطفته نحوها ويعود مورى فيؤكد له أن الجريمة التى ارتكبها فى ذلك اليوم سوف يحاسب عليها فى المستقبل حساباً عسيراً ثم يقول له :

ـــ انني أحذرك يامستر لورنس كينوارد

فيفهم رنشو من ذلك أن مورى قد علم قصته مع الفتاة جانيت بريس فيرجو منه أن يسكت

وتدخل ليسلى إذ ذاك تدعو زوجها إلى الاستعداد للرحيل ويخرج العروسان وقد تركا خلفهما هج مورى وحده يشخص اليهما

☆☆☆

فاذا كان الفصل الثانى فقد انقضى شهر على زواج ليسلى . وسافر الزوجان الى مدينة فلورنسا بايطاليا واستأجرا (فيلا) اثرية بعيدة كان يعيش فيها الرسام الخالد ميشيل انجيلو . يزورها السياح الذين يهبطون المدينة ليروا ماتركه الرسام على حيطانها . وتقبل سيدة انجليزية تدعى مسز ستونهى ومعها ابنتها ايرين Irene بغرض زيارة الفيلا . فتعرف أن ايرين كانت زميلة ليسلى فى مدرسة هيلمستد ولذا تقابلها بكل ترحاب وتقدم لها زوجها رنشو فتلاحظ عليه أنه يحترم ليسلى ويبدى لها كل عواطف الحنان والرقة . وتعرف أنه معتزم السفر إلى روما ليختار مسكنا له ولزوجته . ثم تراه يقبل ليسلى قبلات حارة قبل خروجه . فاذا خرج فليسلى تخبر صديقتها ايرين انها تعبد زوجها بل هى عبدة له . وتسهب فى وصف خلقه النبيل ومبلغ عنايته بها واخلاصه لها

وتعلم من حديث مسز ستونهى أن اللورد دانجارس قد خطب ابنتها ايرين. ويقبل ولفريد شقيق ليسلى ويدعو مسز ستونهى للخروج معه الى الحديقة . فاذا خلت ليسلى الى ايرين علمت أن زواج الأخيرة باللورد دانجاراس سيتم رغم ارادة ايرين . وبناء على رغبة والدتها فى مصاهرة زوج غنى . وهى تعلم أن اللورد كان سىء السير وأنه كان متزوجاً ثم طلق زوجته . وهنا تعارض ليسلى فى قبول ايرين بذلك الزواج . وهى تؤنبها وتحاول اقناعها بوجوب التزوج من شخص تحبه وليس له ماض ملوث . ولكن ايرين ترى أنها ستحظى بلقب وثروة .

وماذا يهم ماضى الزواج بالنسبةللمرأة التى تتزوجه ، ولـكن ليسلى تجيبها :

ـــ إن هذا المـاضى هو فخرها أو خزيها . هو الحلية تلبسها فوق جبينها أو الوحل الذى يلطخ أذيالها . ! أنه ضوءها أو ظلامها . حياتها أو موتها . . !

فلا تقتنع ايرين بذلك وتقول إن الفرق بينها وبين غيرها من النساء هو أن قصة اللورد دانجارس علنية يعرفها الجمهور بعد طلاقه بينما آثام أزواج بعض النساء ماتزال مخفية لم يكشف الستار عنها بعد . . !

ويعود دنستان رنشو ويتحدث إلى زوجته حديثاً يفعمه الحب والوفاء . ثم يدخل هج مورى بدون ان يشعرا به . ولا يكاد رنشو يراه حتى يرتعد . ولمـا تعلم ليسلى انه قادم لأمر مهم تغادر الغرفة . وعندئذ يحدثه مورى عن الجريمة التى ارتكبها باغرائه الفتاة جانيت بريس فيتوسل رنشو اليه أن يعينه ويساعده . ويقبل مورى ذلك لامن أجله . . بل من أجل الطفلة البريئة التى اتخذها زوجة . . وتحس من حديث رنشو انه أصبح يحب زوجته حباً مبرحاً لاغنى له عنه.وهو يرجو مورى أن يستدعى تلك الفتاة بمجرد عودته إلى لندن ويطلب اليها أن تسكت وهو سيفعل كل مافى وسعهلتعويض الضرر الذىأصابها.

وتصيح ليسلى من الحديقة تدعوزوجها وتنبهه إلىأن موعد القطار قد أزف. ثم يقبل ولفريد فيتركه رنشو مع مورى ليسليه . ولـكن مورى يبدى الرغبة فى أن يعود إلى انجلترا فى القطار الذى يقوم فى تلك الليلة . وتقبل ليسلى حاملة بعض الازهار من الحديقة ويرجو منها زوجها ان تحييه من النافذة وهو يبتعد بالعربة . ثم يخرج معها فيلتفت مورى إلى ولفريد ويسأله عما إذا كانت سعيدة . فيجيبه انها فى غاية السعادة . ثم يلحق برنشو . وتدخل الخادمة تنبىء بأن خادمة مسز ستونهى واقفة بالباب وقد أضناها التعب تلتمس بعض الماء . وانها تعانى الضعف والمرض . فيسمح لها بالدخول وبعد قليل تدخل تلك الخادمة فاذا بها جانيت بريس وهى تخبر ليسلى ان سيدتها مسز ستونهى أمرتها بالعودة

سيراً على الاقدام ولـكنها لاتقوى على السير لأنها مريضة . ثم تسقط فيتلقاها ولفريد بين ذراعيه وينتهي الفصل هكذا

ليسلى ــ آه ! العربة ! (تعدو إلى الشرفة وتنظر إلى الطريق الممتد) انها هناك ! (تنادى) دنستان . ارجع إلى ! ارجع إلى !

☆☆☆

فاذا كان الفصل الثالث فنحن لانزال فى تلك (الفيلا) بمدينة فلورنسا وقد جلس ولفريد بجانب فراش جانيت بريس يحنو عليها فى أثناء مرضها . وتعرف من حديث الجميع انهم يجهلون كل شيء عن تلك الفتاة اللهم إلا انها خادمة عند مسز ستونهى التى أساءت معاملتها ، وانها مادامت قد لجأت الى بيت ليسلى فمن الواجب العناية بها . وتقبل أيرين فتخبر ليسلى انها علمت ان اللورد دانجارس خطيبهـا صديق لزوجها ولكن ليسلى تأنف من ذلك وترى ان زوجها لابد ان يكون جاهلا لخلق اللورد الحقيقى والا لتجنبه !

ثم يدخل الخادم وينبيء سيدته ان سيده رنشو قد عاد من روما وانه سيحضر إلى المـنزل مع صديق له هو اللورد دانجارس وتعود ليسلى فتنصح صديقتها ألا تقبل هذا الرجل زوجاً . وتخبرها انها ستلجأ فى ذلك إلى أمها . ولـكن ايرين تجيبها بأن لاأمل فى منع ذلك الزواج عن طريق أمها . وعندئذ تقول ليسلى :

ــ إذن فسأواجه اللورد دانجارس نفسه

ويتحدث ولفريد إلى جانيت بريس فتشعر انه قد نشأت بين هـذين الشابين عاطفة حب متبادلة . ولـكن جانيت ترغب فى الرحيل فهى مخلوقة للشقاء . وهو يمانع فى ذلك وهى تلح فى وجوب الرحيل وترجو منه ان يشكر لشقيقته العناية الرحيمة التى أسبغتها عليها فى أثناء مرضها وانها ستذكر لها تلك المنة حتى الموت . ثم تعود ليسلى فتقول لها جانيت بصوت خافت :

— مسز رنشو ! انك لاتعرفين أية فتاة ساقطة شريرة تأوين تحت سقفك! انى لست جديرة بأن أكون فى بيتك !

ثم تخبرها فى شيء من التلميح بأنها كانت ضحية غواية وعبث.وتقبل طرف ثوب ليسلى وهى يقول :

— الوداع ياعزيزتى . الوداع آه . ياعزيزتى . ياعزيزتى

ولكن ليسلى تسبقها وتخبرها ان ضعفها ووحدتها يجعلانها تحس أن من واجبها ان تحميها . وهى وإن كانت تطلب اليها ألا تدخل بيتها مرة اخرى وأن تمتنع عن مقابلة شقيقها ولفريد إلا انها تعدهابأن تسدى اليهاخدمة وذلك بأن تجد لها عملا حسنا ، وتعطيها مبلغاً من المال ، ثم تخرج معها ، ولكنهما لا تكادان تهبطان سلم الحديقة حتى تصرخ جانيت صرخة رعب،اذ يقع بصرها على دنستان رنشو قادماً مع اللورد دانجارس ، وتطلب الى ليسلى ان تخبئها بعد ان تخبرها ان الرجل القادم هو الذى اغواها وكان يدعو نفسه لورنس كينوارد وتلح فى طلبها فهى لا تقوى على مواجهته ، وتخطيء ليسلى فى فهم كلام جانيت وتظن انها تقصد اللورد دانجارس فتخبرها انه خطيب ايرين

ثم تقبل مسز ستونهى فتطلب اليها ليسلى ان تحول بين زواج ابنتها باللورد دانجارس وتخبرها ان جانيت ضحية حية لذلك الرجل الذى تعد حياته فصلا فظيعاً من الاثم والرذيلة ، وتسقط جانيت إذ ذاك الى المقعد الكبير وتخفى وجهها فى الوسائد . ويدخل رنشو ويقدم اللورد الى زوجته ولكن ليسلى ترفض ان تقدم يدها الى يد اللورد الممدودة . وتقول :

— اذا كان اللورد دانجارس يريد إيضاحاً عن ذلك يادنستان فأنا اكتفى بأن اذكره بحياة هذه الفتاة الشقية التى يعرف قصتها — وتمد يدها الى جانيت ويوقفها

ولا يكاد دنستان يرى جانيت حتى يبدو عليه الرعب والفزع ، وتصلح جانيت الخطأ الذى وقعت فيه ليسلى وتفهمها ان الذى اغواها هو رنشو !

وتصيح جانيت بعد ان تتبين خطورة الـكارثة قائلة لليسلى :

ــ انى لا استحق ان اعيش ! اقتلينى . اقتلينى !

وتطلب مسز ستونهى الى ابنتها ايرين ان تعطى ذراعها الىاللورد دانجارس فتفعل ويخرجان معاً بعد أن تسبقهما مسز ستونهى وهى تهز كتفيها

ويخلو رنشوالى زوجته فيعترف لها بأنه مذنب ويرجو منها ألا تطالبه بتفاصيل حياته فقد كانت ملوثة بالاثم ، حتى عرفها فنسى كل شىء وأحبها بل وعبدها وتحاول ليسلى الخروج فيرجومنها ان تبقى اذ هولايستطيع الحياةبدونها،ويتوسل اليها ان ترحمه فهو نادم مستغفر . يجثو على قدميه ! ولـكنها تطلب اليه ان ينكر ما نسبته اليه الفتاة جانيت . وينتهى الفصل بهذا الحوار العجيب :

دنستان رنشو ــ لا أستطيع ان أنكر

ليسلى ــ اذاً أذهب !

(بعد برهة يخرج وعندئذ تسقط إلى الارض مغمى عليهـا ويسمع صوت المغنى الايطالى يدوى فى الخارج)



فاذا كان الفصل الاخير فنحن فى غرفة المحامى هج مورى الخاصة بلندن وقد جلس إلى البيانو يعزف قطعة محزنة وبجانبه ليسلى . فتفهم من حديثهما أن شقيقها ولفريد يبحث عن جانيت فلا يهتدى اليها وأن ليسلى قد كتبت إلى ناظرة مدرسة هيلمستد ترجو منها السماح لها بالعودة إلى المدرسة . إلى تلك الحياة الهادئة الطاهرة التى كانت تحياها قبل ستة أسابيع فقط !

ثم تقبل جانيت بريس وتخبر ليسلى أنها اعتزمت السفر إلى أستراليا وستبحر فى اليوم التالى،وهى تحاول تعزية ليسلى بكل مافى طاقتها فتخبرها بانها هى الى أغوت رنشو وليس هو الذى أغواها،وهى ترجومنها أن تعود إلى زوجها حتى لاتذهب إلى القبر عالمة أنها حطمت حياة امرأة بريئة . وتخبرها ليسلىأن شقيقها

يحبها ولذا تطلب اليها ان تسمح لها برؤيته قبل خروجها .فتسمح وتتقدم جانيت إلى ولفريد وهو نائم وتقبله ثم تخرج

ويخلو مورى بعــد ذلك الى ولفريد فيخبره ان رنشو قد أرسل اليه يستسمحه فى المجيء وأنه يرى من الصواب أن تعود ليسلى إلى زوجها . وهو يصارح ولفريد بانه يحب شقيقته وانه قد أحبها منذ رآها للمرة الأولى فى حديقة مدرسة هيلمستد . ولــكنه أحبها حباً عذرياً طاهراً ولم يرد ان يفسد طفولتها وسذاجتها وانتظر . . انتظر حتى يرى غيره يفعل ذلك .. وقد حدث . وهو يرجو أن تكون ليسلى قد تعلمت فلا تنظر بعد ذلك إلى الماضى

وتدخل ليسلى بعد ان تكون قد سمعت ما قاله مورى وتتبادل معهما الحديث وتقول انها لاترغب فى الوقت الحاضر أن ترى رنشو ثم تخرج مع شقيقها

ويدخل الخادم يقود دنستان رنشو ضعيفاً متهالــكا . ويتحدث الى مورى فيتوسل اليه أن يمهد له سبيل رؤية ليسلى.فهو يعلم أنه قادر على ذلك.ويرجو منه أن يخبره بمكانها فلا يجيبه مورى إلى ذلك ولو انه يطلب اليه الصبر ويطمئنه . وتشعر أن حالة رنشو فى منتهى الشقاء والتعاسة وأنه يحب ليسلى حباً مبرحاً قوياً ويرثى مورى نفسه له ويرى ان ليسلى لو رأته فى تلك الحالة لاشفقت عليه ورقت له.ويرجو منه رنشو ان يسمح له بقضاء الليل فى تلك الغرفة بدلا من الفندق إذ هو يريد أن تنظر اليه عين صديق فى الصباح . ويعود فيسأله :

ــ سوف لا تخبرنى أين هى ؟

فيجيبه :

ــ حتى أحصل على موافقتها

ولــكن مورى يطمئنه بانه سوف يراها لانه يعلم انها ستعفو عنه

ويبقى رنشو وحده فى الغرفة ويخرج زجاجة سم من جيبه . ويناجى نفسه ثم يناجى حياته وزوجته وسعادته الزائلة . ويسكب السم فى فمه . ويجول فى الغرفة

ويجلس ليكتب كلمة لموري ينبئه بانتحاره ولـكن سرعان ما يقع القلم من يده وتسقط رأسه إلى الامام ويقول هاتفاً :

ـــ ان الضوء ينطفيء . لا أستطيع رؤية شيء . . الضوء . . سأتم هـذه الـكلمة عندما استيقظ .. سأبقى .. (يجر نفسه إلى المقعد ويسقط عليه) ليسلى. زوجتى لقد اصطلحنا

(ليسلى تدخل بهدوء وتجثو بجانبه)

ليسلى ــ دنستان . انى هنا (يفتح عينيه ويرفع نفسه ويشخص اليها ثم يسقط رأسه إلى الخلف بينما يتجهم وجه ليسلى) دنستان . لقد عدت اليك . سأكون زوجتك لا قاضيك .. دعنا نبدأ من هذه اللحظة تلك الحياة الجديدة التى تكلمت عنها . دنستان! (ترى الورقة التى سقطت من يده وتقرأها) دنستان ! دنستان ! كلا ! كلا ! انظر إلي ! آه ! (تضمه بين ذراعيها) زوجى! زوجى ! زوجى !

ثم ينزل الستار !

حياة خفية

عن الكاتب الفرنسي لونورمان

وأنا مغرم بهذا الكاتب المجدد هـ . ر . لونورمان H. R. Lenormand وأحب أن يغرم به القراء معي . خصوصاً بعد ان أعطيتهم فكرة عنه إذ لخصت لهم في هذا الكتاب قصتيه « انما الحياة علم » و « السن الحمراء » ولقد سررت غاية السرور عندما زرت مكتبة معهد فن التمثيل فوجدت ادارة المعهد قد استحضرت للمكتبة ــ من بين ما استحضرت من الكتب ــ مجموعة وافيــة لقصص لونورمان . فلا شك ان دراسة قصص هذا المؤلف المسرحي النابغة توقظ في نفوس فنانينا الشبان احساسات جديدة وتيارات فياضة ليس لهم بها عهد من قبل . وأود ألا يقتصر جهد الحكومة وتقديرها لذلك الكاتب عند هذا الحد من تغذية المكاتب بقصصه التي تعتبر الآن في فرلسا ثروة فنية قيمة أضيفت إلى تاريخ المسرح الفرنسي ، أود ألا تقتصر الحكومة في تقديرها له عند هذا وأرجو أن أرى قصة له أو أكثر من بين قائمة القصص المسرحية التي تشرف الوزارة على ترجمتها أو تنصح للمسارح باخراجها . فمن العدل ان يساوى لونورمان ــ على الاقل ــ بهنرى برنشتين وبول هرفيو اللذين اختارت الوزارة بعض قصصهما في الأعوام الماضية

لنأمل ولننتظر . . أو لنقم نحن من جهتنا بالواجب نحو هذا الكاتب الموفق غاية التوفيق في تحقيق مثل فنية عليا ليس للمسرح عهد بها من قبل

وهذه القصة التى ألخصها لك « حياة خفية » Une Vie Secrète كغيرها من قصصه دعوة الى أحدث ماتمخض عنه علم النفس من آراء ونظريات. فأنت اذا قرأت احدى قصص لونورمان فكأنك تقرأ كتاباً شائقاً لذيذاً فى علم النفس . . وقصة « حياة خفية » تمتاز عن غيرها من قصصه بأن فيها تحليلا دقيقاً لشخصية الفنان . وبحثاً بديعاً رائعاً للنظرية التى تدعو الى وجوب أن يعيش الفنانون عيشة خليعة مستهترة عابثة . وخير لى ولك أن ألخص القصة ذاتها



نحن فى باريس عام ١٩١٠ ، وفى غرفة العمل الخاصة بالموسيقى الفرنسى الشاب ميشيل سارتير Michel Sarterre . وهو من نوابغ الموسيقيين الذين جددوا فى فن الموسيقى الحديثة وأدخلوا عليها روحاً لم تكن موجودة من قبل حتى لقب باسم « محرر الموسيقى الفرنسية » . وسارتير هذا قضى ردحاً من حياته فى اقطار الشرق النائية كالهند والهند الصينية وساح فى بحار مختلفة ثم عاد وأخرج للناس تلك القطع الفنية النادرة التى اثارت اعجاب النقاد والجمهور . وهو متزوج من فتاة تدعى تيريز Thérèse . وقد أقبلت على منزل سارتير سيدة ايطالية تدعى لافيسيلى La Vicelli كانت فيما مضى مغنية معروفة فى مسرح الاسكالا الكبير بميلان . فتفهم من حديثها مع تيريز زوجة سارتير انها قدمت لكى ترجو منه ان يعطيها توصية تمكنها من الالتحاق بعمل يليق بها

ويقبل أثناء ذلك رجل يدعى ماهيه Mahé هو الناشر الذى يطبع أدوار سارتير الموسيقية . وتشعر من حديثه انه رجل نفعى لاينظر إلا الى مصلحته الذاتية فهو يريد ان يفهم تيريز ان أدوار زوجها ليست رائجة وان الجمهور لايقبل عليها . وهى تفهم ذلك فتخبره ان زوجها لايقبل ان يبيع قطعته الاخيرة

إلا بثلاثة آلاف فرنك . ويذعر « ماهيه » لدى سماع ذلك . ولـكنه يطلب اليها قبل خروجه ألا تدع زوجها يبيع تلك القطعة الا بعد أن يمر عليه !

فاذا خلت لافيسيلى إلى تيريز فأنت تشعر من حديث المغنية الايطالية انها معتدة بفنها غاية الاعتداد . ومزهوة بنفسها فخور بماضيها غاية الفخر . وان هذا هو مصدر المها وشقائها . فهى تفضل الموت على أن تقبل وظيفة حقيرة لا تتفق مع قدرها الفنى . أو ان تقبل الغناء على أحد مسارح الارياف ! وهى الآن تبحث عن عمل فى روما فاذا لم توفق الى ذلك فليس أمامها الا الانتحار، وكرامتها تأبى عليها ان تبيع ثيابها المسرحية القيمة بثمن بخس ، كما تأبى عليها مجرد قبول الدعوة الى تناول الطعام عند أحد الاصدقاء !

وتقبل فى هذه الاثناء فتاة رفيعة فى الثامنة والعشرين من عمرها تدعى فيرا Vera تنتمى الى أصل روسى فتفهم من حديث تيريز أن هذه الفتاة كانت هى الاخرى تفكر فى الانتحار لتدهورها وادمانها على الخمر والمورفين . ولكن تيريز انقذتها من ذلك وآوتها فى بيتها حتى شفيت واطمأنت الى الحياة . وهى تعيش فى البيت حتى تجد لهـا عملا . وتلاحظ المغنية الايطالية على ذلك بقولها :

— ان لافيسيلى لاتقبل الاحسان . فاذا عجزت الفنانة عن أن تعيش من فنها فخير لها ان تختفى

فاذا اقبل سارتير أخبرته زوجته بالغرض الذى قدمت لافيسيلى من أجله فيمتعض فى بادىء الامر ويفهمها أن تلك المرأة بلغت الخامسة والاربعين وفقد صـوتها روعته المـاضية . ولـكن تيريز تلح عليه فى وجوب اعطائها التوصية التى تطلبها . فيجلس إلى المكتب ويكتب رسالة التوصية لمدير المسرح الذى تود الالتحاق به

وتخرج تيريز لارسال الخطاب ويخلو سارتير الى فيرا . فتشعر من حديث

الموسيقى الشاب انه برم بالحياة يتذمر منها . فهو رغم نجاح قطعته الاخيرة ذلك النجاح الباهر يرى انه كحيوان سجين فى قفص وقد احاط به الناس ليشاهدوه،وهو يذكر ان هناك شبه وحى أو الهام يوحى اليه ويلهمه بكل تلك الموسيقى التى يخرجها للناس ، فهو يكتب فقط ولكن هناك آخر يملى عليه . وهو يذكر عندئذ رحلته الى الشرق والاثر العميق الذى تركته فى روحه تلك الرحلة . وتجيبه « فيرا » انها وهى تستمع الى قطعه الموسيقية تشعر كأنها ترى غابة كثيفة ملأى بالاشجار الضخمة . وأن فى هذه الموسيقى عالماً كاملا من أوراق الشجر المتناثرة الميتة والازهار الفاسدة وأنها تتبينه يطوف وسط تلك الغابة يحترق من الظمأ الشديد !

وهى تذكر الايام السوداء التى مرت بها عند ما كانت تدمن الخمر والمورفين فيجيبها انها لايجب أن تندم على تلك الايام ..

فاذا قالت له انها وان كانت فى تلك الايام تحلم احلاماً جميلة . الا انها كانت مريضة وقد شفيت . اجابها :

— لابد انك كنت جميلة . بشعرك المتناثر المهمل وهيئتك الثملة الممزقة

فاذا خلا سارتير الى زوجته فهى تحدثه عن عطفها على لا فيسيلى . وهو لايشاركها هذا العطف على ذلك النوع من المجانين الذين يصبون الى أكثر مما تحتمل وتطيق طبيعتهم وكفاءتهم . لكنه يعطف على نوع آخر . على أولئك الذين تشتد أمزجتهم وعواطفهم إلى حد أن تختل قواهم العقلية . وهو يخالف زوجته فى اعجابها بتلك المغنية الايطالية لمجرد شرفها وطهرها ورقتها . فهى فى نظره فضائل صغيرة بالنسبة للفنانة . ويجب أن تكون فى خلق الفنانة أمور أكبر وأعظم من تلك الفضائل ، ولا مانع من أن يسع ذلك الخلق بعض الرذائل والشرور . . فاذا سألته عن سبب ذلك أجابها :

— فكرى فى الطريقة التى غنت بها فيرا أمس مساء ، واذكرى الحياة التى عاشتها فى السنوات الاخيرة

وهو يرمى بذلك إلى أن تلك الحياة العابثة المستهترة قد غذتها بجرثومة العظمة ، ويلاحظ على زوجته أنها تفضل لو أنه لم يكن عبقرياً ولم يجثم فى اعماقه شيطان الابتكار والخلق ، أى أنها توده زوجاً فقط . حيواناً يهب حياته لها وحدها !

وهي تنكر ذلك وتقول له إنها تود فيه شيئاً آخر . تود نفسه البشرية . ولكنه يجيبها أنه قد تخلص من تلك النفس البشرية عندما كان فى الهند . فلم تعد فيه مسائل العطف والندم ولم يحتفظ الا بنفسه الفنانة ؛ وهو يذكر أن ذلك التطور هو الذى يجعله يتكلم لغة جديدة ويبتكر أموراً جديدة فيجب لكى يخلق ويبتكر أن يتطهر من كل شيء

وبعد قليل يقبل رجل يدعى فانير Fanères وهو موسيقى هرم له علاقة قديمة بسارتير فاذا سأله عن سبب انقطاعه أجابه فانير :

— إن النصر يخيفنى ومنذ علمت أن النصر قد استوطن هنا فأنا اتردد فى صعود السلم

ويتحدث إلى زميله الشاب عن قطعته الاخيرة فيلاحظ عليها أنها عبارة عن حمى . عن رغبة حادة . عن نشوة ثملة . والفنان يجب أن يعبر عن شيء غير هذا . فاذا سأله سارتير عما يجب أن يعبر عنه اجابه :

— عن العواطف البشرية . عن العطف والحزن والحب . فكل الاعمال العظيمة تغذيها تلك العواطف

فيجيبه سارتير فى هدوء :

— واذا كنت قد فقدت تلك العواطف البشرية ؟

وتستمر المناقشة بينهما بعد ذلك . فيقرر فانير أن خلو الموسيقى من تلك

النزعة البشرية يجعلها لاتبكى الرجال . وعندئذ يجيبه سارتير أنه يحتقر الرجال ولا يعنى ببكائهم والتأثير فيهم. وهو حر حرية مطلقة لا يعبأ بأن يودع فى موسيقاه خلجات قلوب الرجال . تلك القلوب المستهترة القذرة بل هو يغنى حياة أخرى أوسع مدى . حياة الطبيعة !

وهو يشرح لزميله ماهي الطبيعة فيقول له إنهم فى أوربا لايستطيعون أن يفهموا الطبيعة على حقيقتها . وأنه لايكتب ليسر العائلات. ولايكتب لاحدقط . وهو يتألم عند مايرى الجمهور يصفق له . وهو يذكر أنه قوة عمياء تتصرف بلا ضابط لها وفق مشيئتها

وتتدخل تيريز فى المناقشة فتلوم زوجها على تلك الطريقة التى تعرضه للخطر وتذكر له أنها تتألم من أجله لانها تحبه . وتطلب اليه أن يعدل عن تلك الافكار الغريبة

وعندئذ يتهم سارتير زميله فانير بانه أثار زوجته عليه وأوحى اليها تلك الانتقادات التى توجها له . وهو يريد أن يراها كما كانت شاهدة عمياء لما يجريه أمامها . وأن تقر أحلامه وتوافق عليها دائماً . ثم يطلب إلى فانير ألا يحضر بعد الآن لرؤيتها مدى بضعة شهور . ويذكر أن تيريز ليست غبية وأنها تفهمه وتقبله كما هو !

ولكن فانير يعترض على ذلك فتيريز لاتفهم زوجها . وهو يخشى اليوم الذى تفهمه فيه . فاذا سأله سارتير :

— وهل تعرفنى أنت ؟

أجابه :

— منذ مدة طويلة

وأخبره أن الذى عرفه به وباخلاقه هو زميل له رافقه فى رحلته الى الشرق

ولـكن سارتير يرى أن فى الطبيعة البشرية أسراراً لايمكن الاهتداء اليها . ولا يمكن أن يكون فانير قد فهمه مادام هو نفسه لا يفهم نفسه !

وينتهى الفصل بهذا الحوار الهادىء :

فانير — ومع ذلك . .

سارتير (مشيراً إلى الباب الايمن الذى يفتح) — لاتتكلم !

فيرا (داخلة) — تفضلوا إلى المائدة

☆☆☆

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى منزل أعده سارتير لسكناه فى أحد أحياء باريس الغريبة العابثة . وقد تطورت حالة ذلك الموسيقي الشاب فهجر زوجته وانقاد إلى نوع من حياة اللهو والعبث والعربدة . فهو يستقبل فى ذلك المنزل أشكالا مختلفة من النساء يترددن عليه فى كل وقت . ولـكنه يقضى معظم وقته مع فيرا التى اقبلت وأخذت تحادثه فتلومه على نظرته لها . فهى تنقم على رأيه فى النساء إذ يعتقد أنهن لسن شخصيات حية حساسة . وانما أدوات من اللحم تشبه تلك التى تعلق فى حوانيت الجزارين ! فالنساء فى نظره عبارة عن قطيع من الماشية أو قبيلة من العبيد الارقاء ، وهى تنقم عليه أيضاً أنه لم يحبها ساعةواحدة وانها لم تكن لديه الا واحدة من آلاف الاشباح التى يبحث عنها ، وأنه يغريها على الشراب لـكى يراها ثملة . فاذا وثق انهافقدت الوعى شعر بسرور عظيم ، اذ يتلذذ برؤيتها تتدهور وتتحطم

ويكاد يعترف سارتير بذلك وبانها ناحية الترف والزخرف فى روحه فتصيح فى وجهه قائلة :

— أنت قاتل !

فيجيب :

— إن كثيرين من المبتكرين قتلة . ولا يمكن الابتكار والخلق بدون التحطيم والهدم فمن الموت تنشأ الحياة

ثم تتساءل عما اذا كان ممكنا ان يكون حبها له كفيلا بأن يجعله يبتكر أعمالا فنية . فهى تريد ان تحب وفى حاجة الى قلب ، ولكنه يجيبها انه لاقلب له . فتيأس وتخبره انها تود الرحيل بعيداً فهى تشعر أحياناًبيقين ان هناك شيئاً خفياً فى مكان بعيد يجب ان تراه . ولكنها لا تدرى أين هو

ثم يحرضها سارتير على شرب الخمر ويعمد الى البيانو يعزف عليه كما تعمد هى الى زجاجة الخمر تحتسيها . فاذا طلبت اليه أن يشرب اعتذر بحجة انه يعمل، وتستمر فيرا فى الشراب حتى تسقط على أحد المقاعد وتشخص الى سارتير فى حقد هائل وهو يعزف ويستوحى من حلمه ضروباً من الموسيقى ، وتثور فيرا فتهدده بأنها تريد القضاء عليه . ولكنه لا يعبأ بتهديدها . فتستمر فى ثورتها وتقول له انه سوف يأتى يوم يعجز فيه عن الكتابة والابتكار . وسوف يبكى إذ ذاك كطفل . الا أنه يهزأ بوعيدها ولايصدقه . فتعود الفتاة الى احتساء الخمر بشراهة

ثم تقبل تيريز زوجة سارتير فيطلب الى فيرا ان تغادر البيت ولكنها تأبى فقد عطفت عليها تيريز فيما مضى وانقذتها وها هو قدهوىبها الى أحط مما كانت عليه وهى تأمل ان تنقذها تيريز مرة أخرى . الا أنه ينبهها الى أنها ثملة وهو لايريد ان تصطدم بزوجته . فتخضع وتخرج مترنحة لاتكاد تتمالك نفسها

وتدخل تيريز وتفهم انها رأت فيرا وهى تعجب كيف كذب عليها زوجها عند ما أخبرها ان فيرا قد سافرت مع إحدى الفرق الرحالة . فاذا علمت منه أنها عادت الى الخمر والمورفين ثارت واتهمته بأنه يقودها الى الجنون وانه يقتلها

سارتير — من يدرى ؟

تيريز ــ آه . تستطيع ان تفخر بهذا النصر ! لقد ايقظت الرذيلة والاثم فى نفس طفلة مريضة واسأت استغلال قوتك ازاء مخلوقة محرومة من الارادة كما أنها تكاد تكون محرومة من العقل !

وتعلم بعد ذلك أن الذى أخبر تيريز بعنوان سارتير هو فانير فقد كتب اليها يقول انه يخشى على مستقبل زوجها الذى يحيا حياة خفية فظيعة . وان من واجبه اخطارها لأنها وحدها تستطيع إنقاذه . وتفهم من حديث سارتير انه يعلم بحب فانير لزوجته تيريز ، وتبكى تيريز لاصرار زوجها على تلك الحيـــاة العابثة المستهترة وتنبهه الى أن المستهتر المنغمس فى تلك الرذائل لايستطيع التفكير ولا الانتاج لانه يصبح عبداً عاجزاً عن العمل فيجيبها :

ـــ يقولون ذلك . . ولـــكن هذا لايجب ان يكون صحيحاً . انى لم أشتغل فيما مضى كما أشتغل الآ ن

ولـــكنها تنكر ذلك . تنكر العلاقة بين العبقرية والرذائل المخزية . فليست هناك صلة بين أنبل ناحية فى كياننا وبين أحط ناحية

وهو يذكر أن الذى أوحى اليه ابتكاراته الاولى هو حبهما . ولـــكنه لو اقتصر عليه لما استطاع أن يستمر فى الابتكار . وقانونه الذى يهتدى به هو الرغبة . فليس هناك حب بين الأرض والماء والبخار وانما هناك رغبة . رغبة أبدية فى اقتراب بعضها من بعض وفى التجاذب وتحطيم بعضها البعض

وتنتهى المناقشة بأن تذكر له وهى جاثيةعلى ركبتيها أنهاوجدت السر الذى يجعلها سعيدة ، وهو موجود فى صدره كما هو موجود فى صدر كل انسان فاذا سألها عنه وعن اسمه . أجابته :

ـــ اسمه النفس . الحب اللانهائى . لقد وجدت ما يمسح الخزى والخجل ويفتح باب الامل العظيم

وتستمر فى وصف ذلك الشيء وتؤكد له انه سيهتدى اليه مثلها ويقتنع بأن الحب وحده هو الحق ، وهو وحده الذى يبقى

تيريز ــ إذ ذاك ستبكى ! أجل ستبكى من السعادة والاطمئنان واليقين

سارتير (نافياً بقوة عظيمة) ــ أبداً . أتسمعين ؟ هذه الدموع لن أسكبها!



فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى دار سارتير الاولى وقد تطورت حالته فقادته حياة العبث والاستهتار الى ما تنبأ له به عارفوه وتبلد ذهنه فلم يعد ينتج أو يبتكر شيئاً من تلك التحف الفنية النادرة . وأخذت الصحف تتحدث عن ذلك التبلد وتتهمه بأنه أصبح عاجزاً عن الانتاج فقد مضى عليه عامان لم يخرج للناس فيهما شيئاً

ويقبل الناشر « ماهيه » يطلب الى سارتير أن يكتب له شيئاً لينشره فيجيبه انه ليس فى حاجة الى نقود . ويلح ماهيه ويحاول أن يقنعه بأن خير رد على تلك الحملات الموجهة له باتهامه بالعجز هو أن ينشر قطعاً موسيقية . ويجيب سارتير انه لم يوفق بعد الى قطعة تطمئن اليها نفسه ويرتاح لها ضميره فهو يحرق اليوم ما كتبه بالامس . ولا يوافق ماهيه على فكرة إحراق ما كتب فهو يرى وجوب أن يدع جانباً ما كتبه لكى يقبل الناشرون حتى بعد موته على نشر تلك المتروكات الفنية ! وهو ذاته ينشر قطعاً لشوبان لم تكن قد نشرت قبلا وتركها بعد موته ويعود فيطلب الى سارتير أن يكتب له قطعة للبيانو فيرفض قائلا :

ــ اننى لا اعمل تحت الطلب !

وهو يرى أن الفنان المجدد يفضل أن يموت ويفنى على أن يكرر ماسبق ان أنتجه . ويلاحظ الناشر على ذلك الجواب أنه ما اعتاد أن يجيب به كبار الفنانين غالباً.فهم مسلوبو الارادة يفقدون توازنهم.وبدلا من أن يشتغلوا يشربون ويعبثون

ويفقدون مواهبهم . والناشر يتعرض معهم للخطر . ولذا فخير مايجب أن يفعله الناشر هو ألا ينشر الاللمتوسطين الذين لم يصلوا الى درجة العبقرية . وينتهى بالقول :

ـ لو أننى قد اقتصرت على أن انشر للعباقرة لحل بى الخراب عاجلا ولحسن الحظ أن العبقرية نادرة !

ويقبل فانير ويخلو الى تيريز زوجة سارتير فيخبرها ان الطبيعة قد تغلبت على زوجها . والطبيعة لاتكترث فى تصرفها بالعباقرة أو الاغنياء . وهو يذكر الفتاة فيرا فيخبرها أن احد تلامذته رآها فى الشارع وأن هذا الصنف من النساء هو ألد عدو لكل رجل يحلم ويبتكر

ويعود سارتير فيخبرهم أنه يحس بجثة تحت جلده . . جثة الشيطان الذى كان يوحى اليه ويلهمه العمل . ويعترف أنه لم يعد قادراً على الابتكار وتتساءل تيريز عن سبب ذلك فيجيبها :

ـ الاتعلمين ؟ . . ولكنك أنت السبب ياصديقتى المسكينة

ويخبرها أنها حطمته اذ تدخلت فى تفاصيل حياته وناقشتها وتحدثت أمامه عنها . إنها بذلك هتكت سر طبيعته ! أى أنها لما لامته وانتقدته على طريقته فى التفكير والابتكار تركته عارياً مفضوحاً

وتفهم مايريد أن يقوله وتقول وهى تثور على نفسها :

ـ هل كنت عمياء ! غبية الى هذا الحد ! أما كان يجب ان افهم فى صمت ! لم تركتنى أتكلم ؟

ـ لم اكن أعلم ان كلماتك قاتلة

ـ وأنا كنت اعتقد اننى سأنقذك بتنويرك واطلاعك على حقيقة نفسك ! آه ما اقبح الحب وا كثر شروره !

وهو يكشف سر عجزه عن الابتكار . فقد كان فيما مضى يبتكر بدون أن (يعلم) ولكنه منذ (علم) لم يعد يبتكر . فقد قامت بين الطبيعة وبين نفسه مرآة يرى فيها نفسه بشكوكها وندمها وخوفها . وتجيبه بأنه اذا كان من الواجب لعبقريته ان يعود الى حياة العبث التى كان فيها فليعد وهى مستعدة للرحيل . ولكنه يرى أنه لا يمكنه الآن ان يعيش بدونها فهو يحب من حطمه ! وهى تعجب كيف أمكن أن يحطمه حنانها واخلاصها . فهل الحنان والاخلاص اخطر من الحقد وعدم الاكتراث ؟ فيجيبها :

— كلا . إن الكلمات وحدها أشد خطراً !

ويتدخل فانير فيخبره أنه فى الوقت الذى يتصور الرجل أنه انتهى وتحطم قد يصبح أعظم وأجل شأنا وأن حياته كفنان لم تنته بعد

وتقبل « فيرا » فتعلم أنها كانت فى مستشفى للمجاذيب ظلت فيه عاماً ونصف عام . ويسألها سارتير عما اذا كان الاطباء أخبروها عن سبب ذلك الجنون فتجيبه عما قاله الاطباء ويعترف سارتير بأنه هو الذى قادها الى الجنون فقد اراد أن يحطم عقلها لا عن لعب وقسوة كما كان يظن هو نفسه فيما مضى ، ولكنه فعل ذلك فى نشوة من القوة الثملة . فى نوع من الحب القاتل . وهذا لا يهم فالنتيجة انه هو الذى أفقدها العقل ! وهو يرى انه لو لم يرتكب تلك الجريمة لما حل به ذلك الشقاء الذى يعانيه بالعجز عن العمل والابتكار . فهو نوع من العقاب واللعنة

وتخبره فيرا انها منذ غادرت المستشفى شعرت بأن المرض سوف يعاودها . وان أحزانها زادت ، وعادت الى كره نفسها وكره الناس والعالم أجمع . وهى تود الانتحار ولكنها تجبن . وترجومنه ان يساعدها على ذلك . الا أنه يعتذر بأنه لو ان لديه نصف الشجاعة اللازمة لانتحر هو نفسه منذ مدة طويلة

فاذا خرجت فيرا وخلا سارتير الى تيريز وفانير اخبرها انه يجب عليه انقاذ تلك الفتاة

وتنقضى فترة . ثم يقول سارتير انه قد سمع اسمه تنادى به فيرا . سمعها تناديه مرتين وهو واثق من ذلك . ولا بد ان تـكون فى خطر . ويدخل الخادم ينبئهم ان فيرا قد أطلقت على نفسها رصاصة وهي تهبط السلم فانتحرت . ويذهل سارتير فى بادىء الامر ثم يبدى رغبته فى ان يتحدث الى روحها . فانها ستفهم لغته . ويطلب اليهم ان يدعوه وحيداً معها . ثم يدخل الى غرفةالمكتب ويغلق عليه الباب . وبعد قليل يبدأ فى العزف على البيانو . وتهمس تيريز انه يعزف لفيرا . فروحهـا بجانبه وتتعالى الموسيقى وتصبح أكثر وضوحاً ونقاء . وتقول تيريز إنها منذ عامين لم تسمعه يبتـكر مثل تلك الموسيقى البديعة . فقد نجا ، ويجيب فانير : « أجل . ان الموت قد بعث الحياة ! إنها دائماً نفس المعجزة »

وتبدى تيريز سرورها لانتصار زوجها وتطور الموسيقى التى يعزفها الى موسيقى حب وعاطفة وغرام فى قوة ووحى عنيف . ويخرج فانير بعد ان يودع تيريز ويذكرها بأن فيرا قد دفعت حياتها ثمناً لذلك . ويهبط الستار ولا يزال سارتير يعزف

الغيرة

عن الكاتب الفرنسي جان جاك برنار

ولا أكتمك قبل كل شيء انني اعتديت على عنوان القصة فجعلته « الغيرة » مع أنه في الأصل Le Feu qui reprend mal وشتان بين الاصل والترجمة العربية التي اخترتها والتي لم أجد مناصاً من الالتجاء اليها لأظهر للقارىء الموضوع الذي اراد المؤلف جان جاك برنار Jean Jacques Bernard ان يعالجه في قصته . فوفق فيه التوفيق كله

ثم أحب بعد ذلك أن أقول لك ان هذه القصة لها قصة هي الاخرى جديرة بان تعرفها . فؤلفها من الكتاب الشبان الذين يجددون في المسرح ولا يعنيهم كثيراً رضى أصحاب المسارح عن هذا التجديد أم غضبوا ولذلك كان نصيب هذه القصة التي ألخصها لك الرفض من جميع المسارح التي عرضت عليها رغم روعة القصة ودقتها وتوفيق المؤلف الشاب في كتابتها توفيقاً أجمع على الاعجاب به النقاد الذين شاهدوها بعدئذ. ولقد اضطر المؤلف ازاء ذلك الى ان يعطي قصته الى جماعة من الجماعات المسرحية التي تخرج امثال هذه القصص التي ترفضها المسارح تعنتاً وتعسفاً واسمها Le Cercle des Escholiers وهي جمعية تأسست في عام ١٨٨٦ واخرجت قصصاً عديدة . ومنذ ذلك الوقت اضطرت المسارح بعدها الى اخراجها معترفة بخطئها في رفضها اولا . ولقد مثلت هذه القصة التي الخصها للمرة الأولى بواسطة تلك الجماعة العتيدة في يونيو عام ١٩٢١ على مسرح

انطوان فقابلها النقاد — كما قلت لك — بكل تقدير واعجاب وسأقتصر على ترجمة رأى الناقد فرناند جريج فى مجلة «كوميديا» اذ قال عنها :

« انها دراسة للغيرة يندر ان اجد لها مثيلا فى غيرها من القصص المسرحية أو القصص العادية وهي صادقة التعبير الى حد انها تتخذ مكانها بجانب الاعمال الفنية (الـكلاسيك) . ويتسم فن جان برنار بطابع انسانى يميزه عن غيره . ولا أجد اجمل من ذلك الفن الذى اثبت ان صاحبه له ذوق عظيم . ان جان برنار قوة من القوات التى يعتد بها فى الوقت الحاضر »

☆☆☆

هو مسكن بسيط متواضع فى قرية صغيرة من قرى فرنسا صاحبه مدرس فى إحدى المدارس الابتدائية يدعى أندريه ميران André Mérin وقد ذهب إلى ساحة القتال ليؤدى واجبه فى الحرب العظمى . إذ نحن الآن فى نوفمبر عام ١٩١٨ وقد أخذت زوجته بلانش Blanche — وهى شابة تصغر زوجها بعشرة أعوام — تتحدث إلى صديقة لها تدعى جان Jeanne فتفهم من حديثهما ان بلانش قد انقضت عليها أعوام لم تر فيها زوجها اندريه ولم تسمع عنه شيئاً وانها عرفت أخيراً بعد اعلان الهدنة أن الاسرى قد فك عقالهم وأن أوبتهم إلى الوطن منتظرة من وقت إلى آخر ولو انها لاتدرى على وجه التحقيق ما إذا كان زوجها من بينهم أم لا . وهل مات أو انه على قيد الحياة ؟ وتحس من حديث بلانش انها تحب زوجها النائى الذى لاتعلم إذا كان الله سيرد غربته أم لا . ولكنك تعرف إلى جانب ذلك انها قد استضافت فى أثناء غيابه ضابطاً اميركياً ممن وفدوا على فرنسا للاشتراك مع الحلفاء. وقد فعلت ذلك بناء على رجاء عمدة القرية واحتذاء لغيرها من الاسرات الفرنسية التى آوت عدداً كبيراً من جنود الجيش الاميركى . وتلاحظ جان ان صديقتها تميل إلى ذلك الضابط الشاب ميلا خاصاً . ولـكن بلانش تنكر ذلك انكاراً تاما ولا تجد جان مناصاً من ان تخبرها بأن تجاربها

فى الحياة قد علمتها كيف تعرف ماتخفق به قلوب النساء . وهنا تعلم أن جان امرأة متزوجة هى الاخرى ولـكنها أحبت شخصاً آخر وخانت زوجها معه وتذكر بلانش ان ذلك الضابط الاميركى انما هو صديق مهذب ذكى - وانه قد فاتحها فى أمور عديدة وطلب اليها ان ترحل معه الى اميركاولـكنهافكرت فى زوجها اندريه وفى مبلغ الحزن الذى يستولى عليه عند ما يعود فلا يجدها فى البيت فرفضت ما عرضه عليها . وتتساءل جان إذ ذاك ساخرة عما حدا بصديقتها إلى التفكير فيما يمكن أن يحدث لو أنها رحلت مع الضابط إلى اميركا وتعلق على ذلك بقولها :

ـــ عند ما يعتزم المرء ألا يفعل شيئاً فانه لايفكر فيه بعد ذلك وينتهى الامر . ولـكنه إذا بدأ يتخيل مايمكن ان يحدث عند ما يفعله فان هذا يدل على انه ليس مطمئناً إلى انه محق فى عزمه الايفعله !

وتخرج بلانش بعد ذلك لقضاء أمر ويقبل الاب ميران والد اندريه وهو شيخ فى الخامسة والسبعين من عمره ولايكاد يتحدث الى جان حتى تعرف أن هناك خبراً قد وصل القرية عن عودة بعض اسرى الحرب إلى القرية . وهو كبير الامل فى ان يعود ابنه اندريه بعد ساعة

وتنقضى فترة تعود فيها بلانش ويخرج الأب ميران ثم لا يلبث ان يفتح الباب وقد تهلل وجهه فرحا وسروراً ويدخل ابنه اندريه وهو ممزق الثياب مغبر اللحية ، زرى المظهر ، وتسرع بلانش اليه فيتعانق الاثنان ويدوم عناقهما طويلا ويتحادثان حديثاً شائقاً لذيذاً حنونا كنت أود ان أترجمه لك ، ولـكنى اكتفى بأن أنقل جزءاً منه . فهى تنظر إلى ثيابه القذرة فيقول لها :

ـــ لاتلتفتى إلى هذه الثياب لقد أعطونى ثيابا اخرى امس مساء ولـكننى فضلت المجىء بهذه الثياب لانها هى التى سافرت بها . هذا فظيع ، لاتنظرى اليها

فتجيبه :

ــ انى أحبك مع ذلك

ــ لقد هرمت

ــ أجل . . . لا . لم تهرم

ــ أما أنت فلم تتغيرى تقريباً

ــ ولــكننى تعذبت كثيراً

ويتبادل الزوجان حديثهما على هذا النمط فيذكران الحرب وأهوالها . ويفكر اندريه فى غسل يديه ، وتحضر له بلانش اناء بهماء يضع فيه يديه طويلا وهو يستعذب العودة الى الجو المنزلي الهادىء الوديع . ثم يخرج يديه ويتجه الى أحد الادراج فيفتحه ويخرج منه منشفتين وهو يقول :

ــ ان منشفتى لا تزال بجانب منشفتك

وتسرع بلانش فتطلب اليه ان يعيدها الى مكانها وهي تقول :

بلانش ــ انها ليست منشفتك

اندريه ــ ولــكن . . .

بلانش ــ سأحكي لك .. لقد اضطررت ان اسكن ضابطاً امريكياً .. هيابنا الى المائدة (تخرج بسرعة)

اندريه (يقترب فى حركة آلية الى المائدة ويجلس ثم يتناول أدوات الطعام ولــكنه يعيدها ثانية ويقف وهو يفكر مضطرباً ويتمتم) :

ــ ضابط امريكى

☆☆☆

فاذا كان الفصل الثانى فقد انقضت بضعة أسابيع . استقر فيها اندريه تحت سقف بيته وأخذت تنشب بينه وبين زوجته مناقشات حادة تدور كلها حول

غيرة الزوج من ذلك الضابط الامريكى الذى كانت قد اضافته الزوجة فى البيت . فهو يتهمها بأن أموراً لابد أن تكون قد حدثت بينها وبينه . وبأنه لايصدق أنها ظلت تعاشره وحدها فى البيت دون ان تحدث تلك الامور ، وهي تنكر ذلك وتبكى ثم لاتتمالك نفسها فى المرة الاخيرة فتخرج الى الكنيسة مع أن هذا ليس من عادتها . ويقبل الاب ميران فيدلي اليه ابنه بالشكوك التى تساوره من سلوك زوجته فى اثناء غيابه فيفزع الاب لذلك ويؤكد لابنه ان زوجته كانت مثال المرأة الوفية المخلصة . ولكن اندريه لايطمئن الى ذلك ، فهو يعرف أن والده لم يكن يقيم معها فى البيت وانما كان يتردد عليها من وقت إلى آخر . ويغلو فى ذلك فيذكر لوالده ان مظاهر النساء تخدع وأنه عند ما كان فى الحرب علم من زميل له أن له عشيقة متزوجة فى القرية لايظن احد مطلقاً أنها تخون زوجها ومع ذلك فقد خانته وان هذه الزوجة الخائنة يعرفها هو ويعرفها والده ويغلنان فيها الطهر والعفاف

ويخرج الاب ثم تقبل جان صديقة بلانش فيصارحها أندريه بما يجول فى صدره وعندئذ تسرع بالدفاع عن صديقتها . وتؤكد له ان بلانش لو كانت تحمل فى صدرها سراً خاصاً لما استطاعت ان تقاوم طويلا ولافضت به اليه . وهنا يقول لها فجأة :

— جان ! اجيبينى وانظرى بعينيك إلى عينى

فتفعل ويطلب اليها مرة أخرى ان تؤكد طهر زوجته فتؤكده ، ويدور بينهما هذا الحديث :

اندريه — ولكن كيف استطيع ان اصدقك ؟

جان — ماذا تريد ان تقوله ؟

اندريه — هل تعلمين ان صديقك « لوبان » قد مات بين ذراعى ؟

فتفهم جان ما يقصد اليه . فلوبان هذا هو عشيقها الذى كانت تخون زوجها معه.وهنا تعلم أنت ان تلك الزوجة التى كان يحدث اندريه والده عنها انما هي جان نفسها وتعترف جان بتلك العلاقة التى كانت بينها وبين لوبان.ولـكنها تذكر أنها هفوة من هفوات الشباب . ويسألها أندريه عما تقول فى ان زوجها قد ظل يعيش معها سنوات طويلة ينظر إلى عينيها فيرى الطهر والوفاء كما يرى هو فى عيني زوجته مع انها كانت تحمل فى صدرها سراً رهيباً ؟ ولـكنها تجيبه بأنها قد أفضت إلى زوجها بذلك السر وتقول وهي تزن كلماتها :

ــ لا . لا . هل تظن انه يمكن للمرأة ان تكذب الى الابد وهي تعيش مع زوجها جنباً إلى جنب ؟ ان السر الذى يكتمه الفم تفضحه العينان . لم استطع . . . ومن غيرى يستطيع ؟

وتعود بلانش من الـكنيسة ويتلقاها أندريه فى حنان وحب . وينسى تلك الشكوك التى كانت تساوره الى لحظة قريبة ويدلي اليها بما دار بينه وبين جان ، وما علمه من عشيقها لوبان وهو يموت بين ذراعيه فى ساحةالقتال فتخبره بلانش بأن جان لاتحب زوجها كما تحبه هي . ويفتح لها ذراعيه فيتعانقان ولـكنه لايلبث أن يدفعها عنه ثم يقترب من المدفأة ويجلس على أحد المقاعد فتسأله :

ــ ماذا بك ؟

فيجيبها :

ــ ألم يكن يجلس هنا هو أيضاً ؟

ــ هو ! آه . . اسكت

ــ ألم تكونى تطلبين منه السكوت عند ما كان يتكلم عنى ! (يقف) أما كنتما ــ كما نحن الآن ــ اثنين فى هــذه الغرفة ؟ (يجيل بصره) آه . . ومع ذلك فان ظله يتبعني . انه لايزال هنا . حاضراً معنا . وكانه يعيش متقمصا جسدك

وهكذا تشتد الغيرة باندريه . ويطلب اليها ان تصارحه بأن ذلك الضابط

الاميركى كان نذلا ومجرماً وانه طلب منها أموراً رفضتها وأبتها عليه. ولكنها تجيبه بانه لم يكن نذلا ولا مجرماً

وتقبل جان اذ ذاك ويخرج اندريه. وتناولها جان رسالة اخذتها من ساعى البريد معنونة باسم بلانش. ولا تكاد الاخيرة تلقى نظرة على الرسالة حتى تعلم انها من ذلك الضابط الاميركى. وتعلن رغبتها فى ان تذهب وتعطى الرسالة لزوجها حتى يكون ذلك دليلا على وفائها. ولكنها تتردد فهى لاتعلم ماتحتوى عليه الرسالة. وتتساءل :

بلانش ــ جان.. جان.. ألا يحسن ان امزقها ؟

جان ــ ماذا اقول لك ؟

بلانش ــ لاادرى. هل اريه الرسالة. ماذا يظن.. (فجأة) لا

جان ــ احذرى

(ودون ان تجيب تنظر بلانش الى باب الغرفة ثم الى الرسالة وفجأة تفضها وتبدأ فى القراءة)

* * *

فاذا كان الفصل الاخير فقد اشتد النفور بين بلانش وزوجها. وانت تعرف ذلك ــ كما عرفت معظم حوادث القصة ــ من حديث يدور بين بلانش وصديقتها جان. بل ان هذا النفور قد وصل الى حد ان الزوجة قد بدأت تفكر فى هجر زوجها واللحاق بصديقها. فاذا لامتها جان على ذلك اجابتها بأنها كانت فى اثناء غياب زوجها فى الأسر تشعر بأن واجبها يقضى عليها بالوفاء له. ولكنه الآن وقد رجع لم يعد هو اندريه الذى كانت تعرفه من قبل. كما تعرف من هذا الحديث ان رسولا حضر امس من قبل ذلك الضابط الاميركى واتفق معها على الموعد الذى يمكن ان تلحق صديقها فيه.

ويقبل اندريه ويفاجىء زوجته بأن هناك عدة شهود رأوا عشيقها الاميركى

يمر فى الطريق الذى فيه البيت ولـكنها تنكر ذلك . فيؤكد لها انه قد شم رائحة الدخان الذى اعتاد الاميركيون ان يدخنوه وهو يصعد سلم البيت .ولاتجد بلانش مناصاً امام ذلك من ان تعترف له بأن رجلا اميركياً قد حضر اليهـا مرسلا من ذلك الضابط ، فيثور اندريه ويهجم عليها ويهم بضربها فتصارحه بأنها اعتزمت الرحيل لتلحق بعشيقها فى اميركا ويدهش الزوج لذلك غاية الدهشة. ويظن انها تهزل وتتهمها بالـكذب كما كذبت عليه طول الشهرين الماضيين ! . وتعود اذ ذاك فتذكر له انها لاتود الرحيل ويظل هو معتقداً انها خانته مع غيره فتقول له :

ـــ اقسم لك بأعوام الحب والهناء التى قضيناها معاً . وبكل ما كان عزيزاً علينا . وبذكرى والدى اللذين احببتهما ، أقسم بكل ذلك يا اندريه على انى لم أ كن عشيقته !

ويلين الزوج بعد ذلك . ويدور بين الاثنين حوار بديع فيه ثورة وعتاب ولوم وحنان . ويصارحها بأنه يستطيع أن يقهرها على البقاء ، فتعترف بأنه اقوى منها وانه يستطيع قهرها ولـكنها تتساءل عما تكون عليه حياتهما بعد ذلك ، وتذكر فى هذه اللحظة تلك الايام الماضية . ايام الحب والطيش والشباب ايام كان يقهرها بالقوة على اتيان امور تثير فى نفسها اليوم اعز الذكريات ! ؟

ويقترب منها اندريه وهو يقول :

ـــ اسكتى . . انى احبك

ويقبل الأب ميران ويكرر امام ابنه ما سبق انذكره عن شقاء بلانش مدى اربعة اعوام قضاها زوجها بعيداً عنها . ويتأثر الزوجان لذلك . وتقول بلانش انها لا تستطيع الرحيل الا بعد ان تستوثق من الطريقة التى سوف يعيش بها بعدها . وتنتهى القصة بهذا الحوار البديع :

بلانش ـــ هل سوف تبقى هنا وحيداً فى ليالي الشتاء التى لاتنتهى ؟

اندريه ــ اسكتى . اسكتى

بلانش ــ هل سوف تقضى أيام الاحد وحيداً بين هذا الأثاث الذى رآنا معاً متحدين فى حياة واحدة

اندريه (يحجب وجهه فى يديه) ــ اشفقى على !

بلانش (تتقدم اليه وقد ضمت يديها) ــ لقد جربت هذا . انه فظيع !

اندريه ــ بلانش ! . . بلانش !

بلانش (ساقطة على المقعد بجانبه امام نار المدفأة) ــ آه ! كيف تريدنى أن ارحل ؟

سيجفريد

عن الكاتب الفرنسي جان جيرودو

قصة فخمة رائعة ولا شك ! ولقد استهوانى فى الواقع إلى قراءتهـا اسم مؤلفها جان جيرودو Jean Giraudoux فهو من اعاظم كتاب فرنسا ، ان لم يكن من أعاظم كتاب العصر الحاضر . ولـكنه لم يكن إلى حين ظهور هذه القصة قد حاول الـكتابة للمسرح . بل كان كل انتاجه الادبى مقصوراً على اخراج قصص للقراء يقدم بها للجيل الادبى الجديد نوعاً حياً « أصيلا » من أنواع القصص الحديث . الا انه لم تـكد تظهر قصة سيجفريد Siegfried على مسرح « الشانز اليزيه » فى مايو سنة ١٩٢٨ حتى أيقن النقاد ان جيرودو لايقل روعة فى محاولته المسرحية الجديدة الموفقة عنه فى انتاجه القصصى الغابر . واعتبروا ظهور « سيجفريد » حدثاً فى تاريخ التطور المسرحى العالمى ، وأجمعوا على أنه منذ ان مثلت قصة «القديسةجان» التى كتبها المؤلف الانجليزى العبقرى برناردشو لم تعهد المسارح قصة تتعرض للناحية السياسية من علاقات الافراد والشعوب خيراً من هذه القصة التى ألخصها لك . ويكفيها فخراً أنها دعوة نبيلة حارة الى انكار الحروب ونسيان الفوارق الجنسية والتوفيق بين ذينك الشعبين العتيدين المانيا وفرنسا . وقد صاغ جان جيرودو تلك الدعوة الانسانية فى قالب قصصى كله روعة وابتكار وتجديد وشعر

☆ ☆ ☆

هو مكتب أعد كقاعة من قاعات الانتظار فى منزل المستشار سيجفريد أحد أقطاب الدولة الالمانية فى عام ١٩٢١ ومن كبار زعمائها فى البرلمان الذين يدعون الى بعض الآراء السامية المعتدلة ويرون اعطاء الولايات الالمانية حقها من حكم نفسها حكماً ذاتياً داخل الدولة الالمانية المتحدة . وهو يعيش فى هذا المنزل القائم فى مدينة « جوتا » مع صديقة المانية تدعى ايفا Eva . وأنت تفهم من حديث يدور بين ايفا وبين زعيم آخر من زعماء البرلمان الالمانى يدعى زيلتين Zelten أن الزعيم سيجفريد ليس له ماض معروف . وأنه قد وجد منذ ستة أعوام أثناء الحرب العظمى جريحا فى احدى المحطات القريبة من الحدود وقد أصيب بتلك النكبة التى أصيب بها الكثيرون من ضحايا الحرب وهى فقد الذاكرة. فلم يكن يعى شيئاً من ماضيه بل إنه لم يعد يذكر اسمه أو أسرته أو وطنه أو لغته . وقد عثرت به « ايفا » فعطفت عليه وتعهدته بعنايتها الى أن استطاع التحدث باللغة الالمانية فى مدى قصير . ثم لم يلبث بعد ذلك أن اندمج فى سلك الحياة العامة فنجح نجاحاً باهراً . واستطاع بقدرته وكفاءته أن يتغلب على خصومه السياسيين وأن يحظى بثقة الملايين من أفراد الشعب الالمانى كما تفهم من ذلك الحديث أن زيلتين هذا يعارض سيجفريد فى سياسته وأنه قد أبدى معارضته فى الجلسة الاخيرة عند الاقتراع على أحد القوانين التى طرحها سيجفريد. وأن أساس اختلافهما فى الرأى يرجع الى أن زيلتين يرى وجوب اتحاد المانيا اتحاداً وثيقاً تحت راية واحدة ولا يعترف بتلك الآراء الاشتراكية أو الجمهورية التى تجعل المانيا شبه شركة مساهمة !

ولا تكاد ايفا تخرج من القاعة حتى تعرف من حديث زيلتين الى الخادم أن هناك مؤامرة سياسية مدبرة لاسقاط سيجفريد . وأن زيلتين قد استدعى اثنين من الفرنسيين ، رجلا وامرأة سيظهران فى منزل سيجفريد باعتبار أنهما من

فرنسي كندا . وستدعي المرأة أنها مربية كندية حتى يخفى أمرها على الجميع

ثم تعلم بعد ذلك أمر ذينك الفرنسيين المتآمرين مع زيلتين على الايقاع بسيجفريد فاحدهما يدعى روبينو Robineau والاخرى تدعى جنفييف Geneviève . وتبدى الاخيرة خوفها من القدوم الى تلك البلدة الالمانية البعيدة عن باريس ، مدينتها ومسقط رأسها . وتذكر قصة غرامها الاول بأديب فرنسى كان يدعى جاك فورستيه Jacques Forestier وقد ذهب ليؤدى واجبه فى الحرب العظمى ثم لم تعد تعلم عنه شيئاً . اذ انقطعت أخباره وقد بكته بالدمع السخين ولاتزال تبكيه

ويقبل زيلتين ولا يكاد يرى صديقه القديم روبينو حتى يشتد بالاثنين التأثر فهما لم يلتقيا منذ أعلنت الحرب اذ اندمج كل منهما فى جيش أمته . وهما يتذاكران أيام السلم والحرب . ويقول روبينو لصديقه الالمانى انه قد حدث عدة مرات أثناء الهجوم فى المعارك أنه كان لايكاد يفكر فيه حتى يرفع سلاحه ويطلق النار فى الهواء !

وتعرف بعد ذلك السر فى دعوة زيلتين لصديقه الفرنسى وجنفييف فهو يدبر ثورة يريد أن يثيرها ضد سيجفريد وضد النظام الذى يدعو اليه . وهو يعلن الى روبينو ان هناك كاتباً فرنسياً يدعى جاك فورستيه كانت آراؤه تشابه آراء سيجفريد مشابهة تامة ! ويدهش روبينو لذلك ويخبر زيلتين بان ذلك الكاتب الفرنسى كان صديقاً حميماً لجنفييف ! ويجيب زيلتين بان سيجفريد قد وجد منذ ستة أعوام عارياً بين رهط من الجرحى وقد فقد ذاكرته ولغته وان صديقاً له كان يجاور سيجفريد فى المستشفى الذى نقل اليه يؤكد بأنه ليس المانياً . وانه رأى بجانبه ورقة تدل على أن اسمه جاك فورستيه ! وهو يطلب الى روبينو أن يدعو صديقته جنفييف ليدلي اليها بهذا النبأ العجيب . ولكن روبينو نبهه الى

انه من الخطر على ذلك النوع من فاقدى الذاكرة والوعى أن ينادوا باسمائهم فجأة فقد يكون هذا سبباً فى قتلهم . إذ يجب إعدادهم لتلقى ذلك تدريجياً

وتقبل جنفييف وتدرج زيلتين معها فى الحديث عن صديقها القديم جاك فورستيه ويخبرها بانه لم يمت وانما اختفى فقط . وينتهى الى مصارحتها بانه من الجائز أن يهبط الدرج ويظهر أمامها الآن !

ويسمع صوت سيجفريد من الخارج وهنا تقول الفتاة الفرنسية :

ــ ما هذا ؟ ماذا تريد أن تقول ؟ ولكن هذا صوت جاك ! (يسكت الصوت) من هو صاحب ذلك الصوت ؟

فيجيبها :

ــ صاحب المنزل . المستشار سيجفريد

وعندئذ تذهب جنفييف الى جهة الدرج وتصيح :

ــ جاك !

ثم تعود الى حيث وقف الرجلان وتستوضحهما الامر . فيخبرها روبينو بأن زيلتين يعتقد بان ذلك الزعيم سيجفريد الذى وجد فاقد الوعى بين الجرحى منذ أعوام انما هو فورستيه

ويقبل سيجفريد مرتديا ثياباً على النمط الالمانى ويحيى جنفييف على الطريقة الالمانية ويتفق معها على أن تلقنه اللغة الفرنسية ، ويطلب اليها أن تلقي عليه قطعة من القطع النثرية الادبية . فتبدأ جنفييف فى القاء قطعة تذكر فيها شيئاً عن فتاة كانت تصطحب صديقها الى قهوات باريس . وتتفنن فى وصف ذلك بلغة شعرية رائعة،وهي تشرح حياتها الغابرة مع جاك فورستيه . وينصت سيجفريد اليها وكأنه لايعى شيئاً ويقول لها انه يفهم الكلمات ولكنه لايفهم المعنى ! ويحييها ثم يهم بالانصراف على أن يلتقيا فى اليوم التالى . وينتهى الموقف هكذا :

جنفييف (مستمرة) — جاك

إيفا (تظهر على الدرج) — سيجفريد !

سيجفريد — انهم يدعوننى ! .

☆☆☆

فاذا خلت جنفييف الى سيجفريد فى اليوم التالى فهما يتحدثان فى بادىء الامر حديثاً عادياً عن كندا وعن الثياب وعن اللغة الفرنسية وعن الثلج الخفيف المتساقط . ثم تذكر له انه كان لها خطيب قتل فى الحرب وان حياتها قد وقفت منذ بدأت حياته هو ! ويقترب منها سيجفريد ويشخص اليها وهو يعتذر عن ذلك . ويذكر لها انه يكاد يستطيع ان يتخيل ماضيها وهى طفلة تلعب بالحبل ثم وهى فتاة تقرأ على ضوء المصباح ، ثم وهى على حافة نهر ، ثم وهي امرأة تصلى بجانب قبر خطيبها ! ويسألها عما اذا كان خطيبها يكره ألمانيا ؟ فتجيبه بأنه كان مسالماً فى آرائه وأنه كان يتنبأ بهزيمتها وكان يعد نفسه لكى يوليها عطفه وحبه بعد الهزيمة ! ويطلب اليها ان تصفه له فتصفه بنفس الصفات التى تنطبق عليه هو ذاته ! ويسألها عما اذا كانت تحمل صورته فتتردد قليلا وتجيبه بأن صورته معها . ولكن يسمع فى تلك اللحظة صوت جرس يدق فيخرج سيجفريد

وتعلم بعد ذلك ان قواد الجيش الموالين للزعيم سيجفريد يستدعونه للبحث معه فى أمر الثورة التى أثارها زيلتين ، إذ أعلن عليهم الحرب الاهلية

وتنقضى فترة ويعود سيجفريد الى جنفييف فيتحدث اليها حديثاً كله رقة وحنان وهو يطيل النظر اليها ويعجب للين يديها ويذكر لها انه يكاد يرى أنها تغيرت عما كانت عليه منذ برهة . ثم يتركها بعد حديث شعرى رائع كنت اود ان اترجمه لك ولكن من العبث تلخيصه

☆☆☆

ويتمكن انصار الزعيم الالمانى من اخماد الثورة والقبض على زيلتين وإيداعه السجن وتعرف أن المحاكمة العسكرية قد أسفرت عن ادانة الثائر والحكم عليه بالاعدام. ولكن سيجفريد يحضر الى السجن ويقابل خصمه السجين ويبدى رغبته فى العفو عنه والاكتفاء بنفيه. ويتطور الحديث بين ذينك الغريمين فيلمح زيلتين العاصى لسيجفريد انه وجدت معه أوراق تدل على انه كان جنديا فى جيش أجنبى. ولا يفهم سيجفريد ما يرمي اليه خصمه ويصيح الحاضرون بزيلتين ان يسكت ثم يخرجونه. ويتجهون الى زعيمهم فيسألونه عن القطعة التى يرى ان تعزفها الموسيقى وهي تتقدم الجيش أثناء دخوله المدينة فيجيبهم :

— سؤال غريب ... نشيدنا .. النشيد الالمانى الوطنى !

ولا يكاد يخلو سيجفريد الى صديقته إيفا حتى يسألها :

— هل أنا ألمانى يا إيفا ؟

— ماذا تقول ؟ ألمانى ؟ !

— هل أنا المانى يا إيفا ؟

— أستطيع ان أجيبك ومن صميم نفسى . أجل ياسيجفريد . انت ألمانى عظيم !

وعندئذ يسألها عما إذا كان المانيا عند ما عثرت عليه ملقى بين رهط من الجرحى فتجيبه بانه طلب اليها بالألمانية أن تقدم له جرعة من الماء . ولكنه لايقنع بذلك ، فقد كان كل الجنود الذين ذهبوا الى الحرب العظمى يعرفون اسم الماء فى لغة أعدائهم . ولا تتمالك ايفا بعد ذلك نفسها من أن تعترف أمامه بانها لم تستطع إذ ذاك لاهى ولا مدير المستشفى الذى نقل اليه أن يتبينا شخصيته ولا جنسيته

وتقبل جنفييف فتخبر سيجفريد أنها منذ رأته أمس ترغب فى معرفة الكثير

عن المانيا وعن تاريخها وحياتها وعن هذه المدينة التي تعيش فيها الآن . وانها فكرت في أن تتلقى على يديه اللغة الالمانية في مقابل تلقينه الفرنسية وانها تعتزم البقاء .

ويسمع إذ ذاك صوت النشيد الالماني فتقف جنفييف ويعجب سيجفريد لذلك فتجيبه بانها تحيي نشيد أمة الموسيقى

ويذكر لها بعد ذلك موجز الحديث الذي دار بينه وبين ايفا . ويتحسر غاية الحسرة لأنها أهملت عند ما عثرت عليه في البحث الدقيق عن جنسيته . ويعلن أنه يكرهها من أجل ذلك كرها شديداً !

ويدخل أحد الجنود ومعه قائمة باسماء الثوار الذين صدر الامر باعدامهم ويتبين سيجفريد من بينهم أسماء أشخاص من جنسيات مختلفة،ويفكر في ملافاة الامر بالعفو عنهم، ولكن الجندي يخبره بان الامر قد نفذ وسقطت جثثهم تحت وابل الرصاص . ويتبادر الى ذهن سيجفريد أنه ربما كان بذلك قد أمر باعدام شخص من بني وطنه ويتألم لذلك غاية الالم ، ولكن جنفييف لا تكاد تلحظ ألمه حتى تصيح به :

ـــ كلا . إنك لم تقتل أحداً من مواطنيك فأنت خطيي . أنت جاك فورستيه وأنت فرنسي

وتدخل ايفا إذ ذاك وتعرف ما حدث فتخبره بانها لو كانت تعلم أن القدر سيكشف عن جنسيته لما أعطته جنسيتها ، وتذكره بان الملايين من الالمانيين ينتظرونه في الخارج،ولكن جنفييف تتشبث به فتسألها ايفا عما إذا كانت له أسرة أو ذرية أو بيت أو أرض في فرنسا فتجيبها سلباً وتخبرها بانه لم يترك أحداً ينتظره في فرنسا ولكنه ترك شيئاً واحداً . . ترك كلباً أبيض . وتلتفت اليه ثم تقول له :

ـــ إن كلبك ينتظرك ياجاك

وتتطرق الى ذكر أشجار فرنسا وأنهارها وطيورها ثم تقول له :

ـــ إن كل شيء ينتظرك فى فرنسا ماعدا الرجال . أما هنافلا شيء يعرفك غير الرجال . . .

وتطلب اليه جنفييف أن يختار بين المانيا وفرنسا . وتعود «ايفا» فتذكره بالملايين الذين يصيحون فى الخارج ينتظرون كلمته فيطيعونه ويخضعون لهوتطلب اليه هى الاخرى أن يختار فيجيبها :

ـــ وهل للاعمى أن يختار ؟



فاذا كان الفصل الاخير فنحن فى محطة صغيرة من المحطات القائمة على حدود فرنسا والمانيا وقد أقبلت جنفييف وأخذت تتحدث إلى ناظر المحطة الفرنسى . وبعد قليل يقبل سيجفريد وقد لحق به زملاؤه وأنصاره من قواد الجيش الالمانى يحاولون أن يثنوه عن عزمه ويعودوا به إلى المانيا ولكنه يصر على وجوب الرحيل ويقول لهم :

ـــ إن منفاى هو وطنى !

فاذا يئس أولئك الانصار منه عادوا أدراجهم فى القطار الذاهب إلى قلب المانيا . ويبدأ سيجفريد فى التحدث الى موظف الحدود وعندئذ يلمح جنفييف ويدهش من انها تبعته. ويتحدثان حديثاً رائعاً ينتهى بأن يضمها الى صدره ضما قوياً . وتذكره بأمور حدثت يوم قبلها أول مرة باعتبارها مربية كندية فيذكرها، ويذكرها هو الآخر بالطريقة التى كانت تتبعها فى تلقينه اللغة الفرنسية . وتنبهه جنفييف الى أنها لم تدعه مطلقاً باسمه الالمانى وانها أقسمت ألا تنطق به قط وتنتهى القصة بهذا الحوار :

سيجفريد ــ لقد كنت مخطئة . انه اسم جميل . . والآن ؟

جنفييف ــ والآن .. اقترب

سيجفريد ــ هأنا

جنفييف ــ أتسمعنى ياجاك ؟

سيجفريد ــ إن جاك يسمعك

جنفييف ــ سيجفريد ! سيجفريد !

سيجفريد ــ لماذا تنطقين اسم سيجفريد ؟

جنفييف ــ سيجفريد ! انى أحبك !

الجبان

عن الكاتب الفرنسي لو نورمان

ولعلك اشتقت معي الى قراءة شيء لذلك المؤلف العبقرى النابغة ؟ ولعلك لا تضجر إذا قدمته اليك بين آونة واخرى فى هذا الكتاب فقد سبق أن لخصت له ثلاث قصص من قصصه الخالدة « إنما الحياة حلم » و « السن الحمراء » و « وحياة خفية » وها أنا الآن ألخص لك قصة « الجبان » Le Lâche وهي إحدى قصصه الرائعة ، ذلك لأنى أعتقد أن لونورمان H. A. Lenormand من الكتاب الذين يلذ للقارىء أن يصادقهم ويطلع على كل ما كتبوه وانتجوه ، فهو من أئمة المؤلفين الذين جددوا المسرح الفرنسى وقلبوا نظمه رأساً على عقب ، أو هو كما يسميه النقاد فى فرنسا رئيس (مدرسة) مسرحية جديدة . ذلك أن كل قصة من قصصه تدور حول حالة نفسية معينة (Cas psychologique) يحللها ويدرسها على ضوء علم النفس الحديث ، ولقد سبق أن قدمته لك فقلت انه لا يعنى فى أثناء هذا البحث بالقواعد التقليدية التى استعبد لها معظم مؤلفى المسرح الفرنسى،فلا يهمه أن تكون القصة ثلاثة فصول أو أربعة أو خمسة،ولا يعبأ بأن يجعل الفصل منظراً واحداً أو عدة مناظر،ولا يهتم بان يطلق على بعض أشخاص القصة أسماء من أسماء الاعلام أو يكتفى بتقديمهم الى الجمهور من غير أسماء فيكون وصفهم فى نسخة القصة الاصلية آنسة، طبيب ، استاذ وهو حريص مع ذلك غاية الحرص على أن يعطى القصة روح الجو الذى

حدثت فيه تماماً ، بل إنه فى هذه القصة بالذات قد اختـار لها احدى مدن الاستشفاء الفرنسية ووفق التوفيق كله فى وصفهـا لانه مرض فى عام ١٩١٥ وقضى مدة مافى تلك المنطقة ورأى عن كثب آلام النفس البشرية فى تلك الفترة من الحرب العظمى

ومثلت قصة « الجبان » للمرة الاولى فى ديسمبر سنة ١٩٢٥ على مسرح الفنون بباريس بعد أن سبق اخراجها قبل ذلك بمدة فى مونت كارلو ، وقابلها النقاد ــ كما اعتادوا أن يقابلوا كل قصص مؤلفها ــ بعبارات الاعجاب والتقدير، وكنت أود أن انقل اليك بعض ما كتبوه عنها ولـكننى أكتفى بان أترجم لك فقرة من مقال شارل ميريه رئيس جماعة المؤلفين المسرحيين اذ قال:

« كان يجب أن تتوفر عبقرية رجل مثل لونورمان لبحث هذا الموضوع ودراسته حتى النهاية، ولـكن مؤلف قصة «سيمون» موفق فى دراسته واكتشافاته ، وليس هناك شىء يغريه أكثر من سر النفس والقلب ، انه رجل الموضوع الجرىء »



نحن فى بلدة سيلفاس Selvas بسويسرا الشرقية عام ١٩١٥ . وفى احد الفنادق المرتفعة عن سطح الارض المعدة لمعالجة المرضى الذين يعانون آلام السل وغيره من الامراض المستعصية ، وقد اجتمع فى بهو الفنـدق بعض المرضى يتحدثون وحديثهم كله دائر عن درجة الحمى التى يعانيها كل منهم وعن طريقة العلاج التى يتبعها الاطباء معهم

وتلحظ من بينهم رجلا فرنسياً فى الثامنة والعشرين من عمره يدعى شارليه Charlier وآخر المانياً يدعى الاستاذ هيرتز Hirtz يبدو عليه أنه من العلماء الذين قصروا جهودهم على خدمة العلم والانسانية غير ناظرين الى أى اعتبار آخر ، كما أن من بينهم آنسة فرنسية مريضة هي الاخرى مثلهم ولـكنها

ثائرة على فرنسا . توقن أن وطنها عنيد لانه انهزم أمام جيوش المانيا ومع ذلك فلا يزال يكابر وينكر الحقيقة الواقعة ! وهي أيضاً ثائرة على طريقة العلاج فى الفندق تعتزم الانتقال الى مصحة أخرى قريبة يديرها شخص يدعى الطبيب ميوتا Muotta ، وهي لاتعبأ بما يقوله الحاضرون من أنه طبيب لاضمير له ، وأنه يوقع المرضى تحت تأثيره النفسي ، ويعودهم على تعاطى حقن المورفين والكوكايين لكى ينسوا آلامهم ويستسلموا لارادته ومشيئته فيبتز أموالهم .

ويقبل فى أثناء هذا الحديث شاب فرنسي يدعى جاك Jacques صناعته الرسم والتصوير مع زوجته تيريز Thérèse ويظهر لاول وهلة أن جاك قد حضر الى الفندق لمعالجة نفسه من مرض السل ، ولكنك تطلع بعد ذلك على الحقيقة إذا ما سمعت حديثه مع زوجته فهو من جنود الجيش الفرنسى الهاربين الذين جبنوا عن مواجهة الموت فى ساحة القتال ، ولقد أقبل الى ذلك الفندق وادعى المرض لكى تنطلى حيلته على السلطات الفرنسية ، وهو مسرور اذ استطاع أن يخدع الطبيب فاذا خشيت زوجته أن تأتى نتيجة تحليل البصاق بعكس ماظنه الطبيب أجابها بان ذلك التحليل ان هو الا إجراءات شكلية لا قيمة لها ، وان الطبيب يرى فى التحليل مايريد أن يراه ، لا ماهو أمامه . . !

وأنت تحس من حديث ذلك الرسام الفرنسى أنه يحب الحياة ويتعشقها ، فهو يتغنى بهذه الحياة وبمحاسنها وبهجتها أمام زوجته وهو يعترف بانه يضحى أعز ما يحرص عليه الرجال فى سبيل التمتع بدقائق من الحياة

وتخلو الآنسة الفرنسية الى شارلييه فتعرف من حديثهما أن تلك الآنسة مغرمة به وان شارلييه رجل عابث مستهتر يتعرف الى النساء ثم يتركهن بعد أن ينال بغيته منهن.وقد لحظت عليه انه بدأ يتودد الى تيريز زوجة جاك الرسام الفرنسى وهو لاينكر ذلك ولكنه يعدها بانه سوف لايفعل اكثر من ذلك

ثم يقبل الاستاذ هيرتز ويخبرها بان أميركا أعلنت الحرب على المانيا . وان

صيدلى المصحة قابله وأسر اليه أن ذلك الرسام الفرنسى ليس مريضاً فقد أثبت تحليل البصاق أنه خلو من أى ميكروب وانه يدعى ذلك للتخلص من الخدمة العسكرية . ويثنى الاستاذ على مقدرة جاك الفنية . ولـكن شارلية لايتمالك نفسه لدى سماعه ذلك فيقول :

ــ هذا لايمنع . . انه جبان

ثم تستلقى الآنسة الفرنسية على احد المقاعد وتستغرق فى النوم . ويعود جاك فى اثناء نومها ويدق بعصاه على الارض فتستيقظ وتخبره انها رأته خلال الحلم فى ساحة القتال فيسألها مهتما :

ــ هذا عجيب . وماذا فعلت ؟ أعطيت ظهرى للعدو ووليت الادبار !

فتسخر منه وتجيبه بانها رأته يلقى بنفسه الى وطيس المعركة . ويشعر جاك بتلك السخرية وتشرح هى ذلك فتدلى اليه بما سمعته من أن التحليل اثبت انه ليس مريضاً وانه هارب من الجيش وتحضر تيريز وتلحظ ان سحنة زوجهـا متغيرة ، وتصارحه بذلك فيعترف بان أعصابه متعبة مضناة وتنصحه بوجوب عرض نفسه على طبيب . وهو يبدى ألمه وحسرته من نظرة الناس اليه واحتقارهم الصامت له لهربه من الجيش ويذكر ما قالته له الآنسة الفرنسية ، ولـكنه يعود فيقرر بانه يتلذذ من ذلك العار الذى يغمره ويلوثه . . وان احتقار الناس له يبعث فى نفسه نشوة لاتقل عن نشوة الحب والفن ويدلل على ذلك بانه كان يشعر من قبل بانه مثقل بالدين نحو أولئك الذين ماتوا وجرحوا فى ساحة القتال وجبن عن اللحاق بهم . ولكنه الآن يحس بان دينه قد خف بعد أن علم الناس بالعار الذى ارتكبه واصبحوا يحتقرونه من اجله . ثم يقول :

ــ مادمت لم أف دينى بدمى كما فعل الآخرون فها أنا أفى واضحى شرفى بدلا عن دمى

ويعيش جاك بعد ذلك فى هذا الجو من القلق والحيرة ، فاذا بدأ بتحية شخص

ولم يجبه فسر ذلك بأنه يحتقره ويزدريه، وهو يخبر زوجته بعد أيام بأنه يحلم حلماً غريباً، يحلم بأن جندياً يتبعه وانه يريد ان يفهمه بأنه صديقه ولا يحب أن يقتله ولكنه لا يستطيع ويحاول الجرى فيتبعه الجندى ويضربه بسيفه فيخترق صدره، وان هذا الجندى القاتل ... فرنسي وهو يذكر أنه حلم ذلك الحلم مرتين قبل ذلك، ولكنه للمرة الاولى يحلم به في اليقظة، وتشعر زوجته بمبلغ الضيق الذى استولى على زوجها عند ما انتابه ذلك الحلم فتنصحه بان يعرض نفسه على طبيب ويتنفس هو تنفساً عميقاً بعد زوال الحلم، وينتهى الفصل هكذا

تيريز — أترى انه لم يكن شيئاً يذكر ؟

(يتنفس في عمق مرتين)

جاك — آه .. ما أجمل الجو ! ما أجمل الجو

☆☆☆

فاذا كان الفصل الثانى فنحن مازلنا فى ذلك الفندق السويسرى فوق قمة الجبل، وهو فصل طويل ذو مناظر متعددة، ولكنه يتعرض لتفصيلات مسهبة وأحاديث شتى لاداعى لان ألخصها لك . ويكفى ان تعلم بأن هناك حفلة تقام فى الفندق بمناسبة أحد الاعياد يشترك فيها المرضى وبعض الموسيقين والمدعون . ويتحدثون عن الحرب . فيذكر الاستاذ هيرتز أنه ليس ألمانياً ولا روسياً ولا فرنسياً وانما هو أوربى . . هو مواطن ينتمى الى (العالم) من غير اعتبار للجنسيات المختلفة . وهو لذلك لايتردد رغم كونه ألمانياً عن ان ينادى بسقوط ألمانيا ! ويضحك المدعوون ويمرحون.ويفرط جاك فى الشراب . ويختلط الجميع ويرقصون على نغمات الموسيقى وينتهز شارليبه فرصة خروج الموجودين فيختلى برجل غريب قدم مقنعاً يرتدى ثياباً خضراء . ولا يكادان يتبادلان بضع كلمات حتى تفهم ما كان خافياً عنك . فشارليبه هذا جاسوس فرنسى ادعى المرض لـكى يدخل الى ذلك الفندق السويسرى ويختلط بالاوساط المختلفة .

وهذا الرجل المقنع ذو الثياب الخضراء رئيس أحد مكاتب الجاسوسية الفرنسية قدم ليتناول من شارلييه تقريره . وهو يطلب اليه ان ينشط في عمله حتى يضاعفوا له الاجر ويسأله عن المصور الفرنسي وعما اذا كان يمكن الاستفادة منه بشيء ويبدى شارلييه رأيه فى جاك . فهو يرى أنه عبد أعصابه . ولكن الرئيس يشير عليه بأن يستفيد من جاك فى استطلاع سر الاستاذ هيرتز . ويرسم له الخطة التى يجب عليه انتهاجها من تهديد جاك بأنه معرض لاعادة الكشف عليه طبياً وإرساله بعد ذلك الى جبهة القتال . وأنه خير له ان يعمل هنا فى الهدوء . من أن يعود الى الجبهة !



فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى غرفة جاك بالفندق وقد اشتدت ازمته النفسية . وزادت اعصابه تعباً وضعفاً . وبدأ يعتقد انه مصاب بالسل . . فليس بعيداً على شخص وسط ذلك الجو المتلىء بالجراثيم أن تنتقل اليه العدوى وهو يشكو ألما فى ظهره وعظامه . ويتألم لان الخادمة حدثته عن شخص ايطالي هارب من الجيش بلهجة فيها اشمئزاز وازدراء . وهو يتطرق الى مصارحة زوجته بأنها هى نفسها قد بدأت تخجل من انتسابها اليه . فقد تعرفت فى الليلة الماضية بشخص أجنبى جلست معه الى مائدة منعزلة تتحدث طويلا ومع ذلك خجلت أن تقدم اليه زوجها . وهو يسألها عن موضوع ذلك الحديث فتجيبه أنه كان يحدثها عن الحرب ، وعندئذ يثور جاك ويقول لها إن ذلك الرجل لابد قد أسهب لها فى وصف بطولة المتحاربين وأوسمة الشرف التى نالوها .ومظاهر الشهامة والشجاعة التى ابدوها . فتعترف له بذلك،وبأن الرجل قد أخبرها عن رأيه فى الحرب . فهو يعتبرها نكبة ووبالا من الوجهة الفلسفية ، ولكنه لايجد من نفسه القوة على مخالفة المجموع . وهو يرى أنه اذا خالفه وامتنع عن اداء واجبه الحربى فان ضميره يمرض ويتردى . تعترف له بذلك وبأنها اقتنعت بما

قاله ذلك الرجل وهنا تشتد ثورة جاك ويتهمها بأنها هي التي جعلته يتخلف عن اداء واجبه نحو وطنه . فقد ظلت تحرضه وتستفزه ضد الحرب إلى أن جعلت منه مالم يكنه قط من قبل . . . جعلت منه جباناً ! وأنها سيطرت عليه واصبح عبداً لارادتها وافكارها وكلماتها . وانها أبعدته عن العالم ودفعت به الى وسط المرضى . . . وها هي نفسها بعد جلسة مع رجل غريب تفكر لحظة ثم تقول:« إنه على حق فيما قاله لها . . » كأن الامر يتعلق بثوب أو رداء ! !

وهي تجيبه بأنه قد نسي الحقيقة والواقع فقد كان على وشك الانتحار عندما أخذ الى الثكنة العسكرية . وأنها لما رأته في تلك الحالة اليائسة ثارت على الحرب ولعنتها . مع أنه لو قبل ورضى باداء واجبه كغيره من الرجال لرضيت وتركته كغيرها من النساء ثم تقول له :

— تقول انني جعلتك جباناً . هذا ليس بحق . فقد كنت دائماً جباناً . أنت تقضي حياتك في تخيل الاخطار . وها أنت هنا لانك تخاف من الموت . ان الخوف هو أساس كل تصرفاتك

ويفكر جاك قليلا ثم يجيب في هدوء كبير :

— هذا صحيح .. أنا لا أستطيع ان أتحمل مسئولية تصرفاتي أو عواطفي. يجب ان أضعها على كاهل شخص ما . فقد قدمت الى هنا لاتخلص من الحرب . لقد قلت حقاً . . وإذا كنت أحملك مسئولية جبني فذلك لانني لا أحتمل فكرة إنني جبان . . لماذا أنا جبان ؟ ربما كان هذا راجعاً إلى عهد طفولتي .. والداي رباني على الخوف من الحوادث والامراض (يقف ويبتسم) ها أنا أبحث أيضاً لكي أضع حملي على عاتق أشخاص آخرين . . لقد أحسنت جداً بمصارحتي بالحقيقة

وتخبره تيريز بعد ذلك أنها تحبه كما هو وكل ما ترجوه أن يبقى لها .

وهنا يذكر انه رأى ذلك الحلم الخاص بالجندى الذى يطعنه فى صدره بالسيف . رآه مرتين بعد المرة التى أخبرها بها

ثم يقبل شارلييه ويتحدث الى جاك فيفهمه أنه مطلع على سره . وان وزارة الحربية الفرنسية تبحث عنه وتعلم انه يدعى المرض للتخلص من الخدمة العسكرية وانها ستعرضه على طبيب للكشف عليه .ثم يهدده بانه إذا لم يطع أوامر الوزارة فستكون النتيجة مصادرة امواله المودعة فى فرنسا . والحكم عليه بالاعدام رمياً بالرصاص . ويخاف جاك لدى سماعه ذلك ولكن شارلييه يرسم له طريق النجاة ويطلب منه ان يساعده فى التجسس على الاستاذ هيرتز ويخبره انه رئيس الجاسوسية الالمانية . وان تغنيه بالسلام والوئام العالمى إن هو إلا حيلة خبيثة . ويتردد جاك فى قبول هذه المهمة فهو يأنف من أن يستغل ثقة الاستاذ هيرتز به لكى يسرقه . ولكن شارلييه لا يزال به حتى يقنعه أن الحرب لا تعرف المجاملات ولا المثل العليا . وأن المانيا تفعل كل شيء فى سبيل تحقيق غرضها . ويرسم لجاك الخطة التى يتبعها لسرقة مستندات هيرتز . وهي أن يدخل إلى غرفته ويتحدث اليه عن الحب والغنى . ويكون شارلييــه إذ ذاك قد استدعى الاستاذ هيرتز فى التليفون فيسرع جاك بسرقة التقارير السرية التى كتبها هيرتز .ويقبل جاك ذلك أخيراً .ويفضى اليه شارلييه بأسرار الجاسوسية الفرنسية وأسماء أعوانه وعناوينهم . ويحفظها جاك عن ظهر قلب إذ يعلم من رئيسه أن كتابة أسماء الاعوان أمر محظور



فاذا كان الفصل الاخير فنحن فى غرفة الاستاذ هيرتز وقد أخذ جاك يحادثه فى مواضيع مختلفة وهو ظاهر الاضطراب ينظر إلى الاوراق الزرقاء الموضوعة على مائدة الاستاذ الالمانى . ثم تقبل الخادمة تدعو الاستاذ للتحدث فى التليفون مع شخص يطلبه لامر مهم . ويدهش هيرتز لذلك ويخرج بعد أن يترك جاك

فى غرفته . ويسرع جاك الى سرقة بعض الاوراق . ولـكن سرعان ما يعود هيرتز وتفهم أنه لم يذهب الى التليفون وأنه رأى جاك يسرق الاوراق . ويعترف الشاب الفرنسى بأنه ليس جاسوساً وأنه يفعل ذلك للمرة الاولى وأنه مكلف من قبل شارلييه . ويهدده الالمانى بأنه سيبلغ البوليس للقبض عليه إن لم يساعده فى جمع المعلومات اللازمة لوضع كتاب يهتم بتأليفه عن السياسة السرية للدول العظمى وهو فى حاجة الى معرفة نظام الجاسوسية الفرنسية ! ويرفض جاك فى بادىء الامر ولـكن الآخر يهدده ويفهمه بأن مآله السجن . ويخاف جاك ويفكر فى الافضاء له بما يريد ولـكنه يخشى أن تعلم وزارة الحربية الفرنسية بذلك . ويطمئنه هيرتز فلن يعلم أحد بسره . . وعندئذ يعترف جاك بكل شىء ويفضى الى الالمانى بأسماء الاعوان وعناوينهم . وما يؤدونه من الخدمات . وهى المعلومات التى استقاها من شارلييه ويدونها هيرتز لديه

وتنقضى أيام ويعود جاك الى مزاولة عمله الفنى بنشاط . وكأن الخيانة التى ارتكبها قد أعادته الى مصافه بين الرجال وكأنه يعتقد أن ارتكابه تلك الخيانة قد أثبت أن لديه هو الآخر شجاعة معينة !

ويستفيد هيرتز من المعلومات التى أدلى بها اليه الرسام الفرنسى . ويبلغها الى السلطات المختصة فيقبض على الاعوان الذين يساعدون الجاسوسية الفرنسية ويتضح لشارلييه ورئيسه الذى رأيناه مقنعاً بثياب خضراء فى الفصل الثانى أن جاك غدر بهم وخانهم فيحضران للاقتصاص منـه ويتفقان على الطريقة التى يسلمانه بها الى السلطات الفرنسية لاعدامه . وهى أن يدعواه للخروج معهما فى سيارة . وبعد أن يزوراه فعلا ويدعواه للخروج يستأذن الرسام زوجته تيريز فتسمح له وهى توصيه أن يأخذ معطفـه خشية البرد . وترجو له نزهة بديعة سارة وتطلب اليه ألا يتأخر فى العودة . ويقبلهـا جاك مرة ومرتين .

فتضحك ويغادر الرجال الثلاثة المنزل فى طريقهم إلى النزهة وقد وضع الرئيس ذو الثيـــاب الخضراء يده على كتف الرسام الفرنسى وهم لا يزالون يتحدثون مرحين وقد أخذت تيريز تشخص اليهم وتنتهى القصة هكذا

تيريز (تحرك يدها مودعة) ــ لا تعد متأخراً .. لا تعد متأخراً ..

ثم يدق جرس أحد الفنادق من بعيد و يهبط الستار

طريق المرايا

عن الكاتب الفرنسى هنرى برنشتين

عجيب أمر هذا الكاتب معى ومعك ! فهو بلا شك أكثر مؤلفى المسرح الفرنسى حظاً لدى المترجمين والملخصين فى مصر . ولقد لخصت له عدداً كبيراً من القصص التى نشرت ، ولم أشأ أن أضعها فى هذا الكتاب لأنها ليست من « المسرح الجديد » فى شىء ! لخصت له كثيراً حتى كدت أعتقد أنه من الخير بعد ذلك تركه وعدم الرجوع الى شىء من قصصه . ذلك لان غرضى من هذه الملخصات هو — كما قلت فى مقدمة الكتاب — أن أعطى القراء فكرة عن كتاب المسرح الاوربى الحديث بقدر ما يسمح هذا الحيز ولعل فى تلخيص أربع أو خمس قصص لكاتب واحد ما يكفى لاعطاء تلك الفكرة ... لذلك كنت قد فكرت فى ألا أعود الى برنشتين . فهو كاتب له طريقة واحدة لا تكاد تتغير ، تنحصر فى تغذية المسارح بقصص عنيفة يدور معظمها ان لم يكن كلها حول المشاريع المالية والمصارف الكبرى والسندات والاسهم . وما يمكن أن يكون لهذه الامور المادية البحتة وتقلباتها فى البورصة من أثر فى عواطف الرجال والنساء وميولهم وفى اتجاه سير القصة وتصرفات الاشخاص الذين يحيون فيها

كانت تلك طريقة هنرى برنشتين منذ نشأ . ويمكننى أن أقرر هنا أن العدد العظيم الذى قدمه ذلك المؤلف الناجح الى الجمهور حتى ظهور قصته « طريق المرايا » La Galerie des Glaces كان ينتمى الى تلك الطريقة ولا

يحيد عنها الا بالقدر الذى يتلافى معه ملل الجمهور وسأمه

ولكن التطور الحديث فى المسرح الفرنسى لم يعد يقر بالافضلية لذلك النوع الشعبي من الفن المسرحى . بل ان هذا التطور كان منحصراً فى تضحية (الحبكة المسرحية) والمواقف العريضة المفتعلة فى سبيل العناية بتحليل الشخصيات تحليلا مبنياً على نظريات علم النفس الحديث . ولقد كان لنظريات العلامة « فرويد » النفسية أثر هام يشبه الانقلاب فى طريقة التأليف المسرحى فى فرنسا ولذا شعر برنشتين بأن فنه السابق يجب أن يتطور ويتخذ شكلا جديداً ، وعمد فعلا الى « فرويد » فاستوحى منه هذه القصة التى ألخصها لك

ولقد تسألنى ما الذى يعنيه برنشتين بهذا العنوان « طريق المرايا » . وأنا أعترف لك بأنى لا أعرف ماذا يعنى أو اننى أعرف ولا أجد الصلة قوية بين العنوان وموضوع القصة فلا أجد ما يدعونى الى أن أتعب نفسى واتعبك فى تفسيره !

ولبرنشتين سوابق فى اختيار عنوان لايتسق مع موضوع القصة . وهو معذور فى ذلك لكثرة ماكتب للمسرح وأنتج . . ولكن ما يعنينا أن هذه القصة إنما هى شيء جديد لايمت بأدنى صلة من الشبه الى ما سبق أن أخرجه مؤلفها المعروف . وهى دليل قاطع على أن التجديد فى المسرح الفرنسى قد انتصر آخر الامر . وأنه لامجال بعد اليوم لغير الأسس العامية (السيكلوجية) الثابتة



نحن فى منزل ليونيل فاسور Lionel Vasseur بباريس . وهو ناقد من كبار النقاد الفنيين فى فرنسا يبلغ من العمر السابعة والثلاثين يعيش مع زوجته آجنس Agnés التى تصغره بنحو أربعة أعوام . وأنت تفهم منذ بداءة الفصل

مبلغ الصداقة الحميمة التى بين ليونيل ومصور يتردد على منزله يدعى شارل بيرجيه Charles Bergé اشتهر برسومه التى اعتبرت تحفاً فنية فى بعض المعارض التى عرضت بها . . وبلحيته التى أبى ان يزيلها واحتفظ بها رغم ارادة العصر اوأنت تعرف من حديث ذينك الصديقين أن ليونيل له عشيقة تدعى جاكلين . وأنه متيم بها لا يستطيع عنها بعداً . وهو لايعبأ بزوجته وبما يمكن أن يكون لهذه العلاقة الآثمة من جرح لعزتها وكرامتها . بل هو يتلهف على إجابة دعوتها ويعتذر الى صديقه شارل عن اضطراره الى تركه . ثم يرجو منه أن يحل محله فى اصطحاب زوجته الى حيث تشاء

فاذا خلت آجنس الى شارل فهي تثنى على صورته الاخيرة التى اسماها « رأسى » وتعجب بما فى تلك الصورة من فتنة وشعر وهو يذ كرها بيوم معين صحبته فيه الى احدى النزهات . . . ويصف لها الثوب الابيض البديع الذى كانت ترتديه يومئذ . ويلمح الى انه استوحى صورته من ثوبها ونظرتها . . نظرتها الضائعة الممتلئة حنيناً وشوقاً

ويتطور الحديث بين ذينك الشخصين فتشعر بأن هناك عاطفة تمتد فتصل قلبيهما فى رفق ولين ! فهى تذ كر بأنها بدأت تطمئن الى الصداقة التى كانت تنكرها من قبل،فطالما تألمت من موقف زوجها ليونيل الذى فقدت الامل فيه ، وهي تسأله عمـــا اذا كان قد شعر بشيء من الحب نحوها ؟ وأنت تلحظ مبلغ اضطراب شارل أمام هذا الموقف الدقيق . فهو يريد أن يكون وفياً غاية الوفاء لصديقه ليونيل . وهو مع ذلك يحس ويوقن بأن آجنس مغبونة وانها اقرب الى روحه الفنية من أى شخص آخر

ويقبل ليونيل بعد أن يرتدى ثياب السهرة استعداداً للذهاب الى موعد عشيقته وعندئذ يطلب اليه شارل أن يسمح له بكلمة ولا يكاد يفعل حتى يفاجئه صديقه المصور بخبر غريب ، ذلك انه اعتزم الرحيل بعيداً عن باريس فهو يعتقد انه على

خلاف مع نفسه ! وانه لاسبيل لعلاجه إلا القيام برحلة والتماس الوحدة والهدوء ويدهش ليونيل من هذا العزم المفاجيء ولكن شارل يقول له :

ـــ ليونيل . ان آجنس تحبك . .

فاذا قال له ليونيل :

ـــ هذا خطأ

أجابه :

ـــ إنها تحبك دون ان تود الاعتراف بذلك .. تحبك من قلب ممتليء بالغضب!

ولا يكاد شارل يغادر البيت حتى تلتفت آجنس الى زوجها وتبدى له رغبتها في الطلاق فهى لاتطيق الحياة معه بعد مافعله بها . وهو يسخر من رغبتها ويذكر لها انها تحبه ، ولكنها تنكر ذلك وتقول :

ـــ انى لا احبك . انى احب شارل بيرجيه .

ويضحك ليونيل لدى سماعه هذا القول ضحكة مغتصبة ويذكر ان شارل هو الذى يحبها حباً قصصياً خالياً من الامل فى صمت وسكون ! وهى تعترف له بأنها تطلب الطلاق لكى تعيش مع شارل وتتزوجه وتبعث الهناء والسعادة الى نفسه الحزينة القلقة . ولا يستطيع أن يضبط عواطفه طويلا فيثور عند مايراها تتأهب للخروج وينبهها الى انها زوجته ولكنها تجيبه قائلة :

ـــ ان حياة المرأة قصيرة . . فكر فى مبلغ الازدراء والاهمال اللذين تنظر بهما الى امرأة فى الاربعين من عمرها ! انى لم يبق لي الا بضعة اعوام قليلة أتمتع فيها بالحياة ، حتى لو وفقتنى الظروف وتحقق أملى الذى لا اذكره الاوانا ارتعد .. ان ماضى حزين كالموت ولا اظن انك تعمد الى سلب ما بقى لي من الحياة وتحطيم فرصة السعادة الوحيدة المتاحة لي ؟ . . انك لست مجرماً . . !

وهو يعترف بذنوبه التى اقترفها ولكنه لايتصور كيف يمكن أن يعيش بدونها فتقول له :

ـــ انك تخشى أن تفقدنى ولــكنك لاترغب فى أن تبقينى !

ثم تذكره بمبلغ الشقاء الذى عانته فى حياتها معه . وكيف كانت تقضى ليالي بأ كملها تقف امام كل مرآة من مرايا المنزل لترى شحوبها وآثار التعب البادية عليها وهي تنتظر قدومه . وتنصت الى صوت المصعدبين الآونة والاخرى يحمل الجيران الى منازلهم وهي وحيدة .. تتألم وتتحسر .. !

ويحس ليونيل بذلك كله فيستغفرها ويطلب منها العفو والصفح ويؤكد لها أنه سيتغير تماماً ويعود كما كان فى تلك الايام الاولى السعيدة التى قضياها معاً . وينتهي الفصل وهو لايزال يقول :

ـــ قد يبدو أن مثل ذكرياتنا هذه تنسى وتزول الى الأبد .. ولــكن سرعان ما يتبين ان شيئاً منها لم ينس وانها باقية ! أ كرر لك أننى أجرمت فى حقك . إننى مجرم كبير ..

وبينما هو يجمع كلماته الضائعة تكون آجنس لاهية عنه تائهة فى شبه ذهول . ثم يبدأ الستار فى الهبوط



فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى منزل شارل وقد انتقلت اليه آجنس بعدان تركت زوجها ورفعت ضده دعوى الطلاق وتعلم انهما يعدان المعدات للقيام برحلة طويلة حول العالم تستغرق ستة أشهر . ويتحدث شارل إلى صديق طبيب تدعى فيكتور Victor فيذكر له أنه معتزم القيــام برسم صورة لآجنس ثم يخلو الى آجنس فيتناجيان حديثاً عن الحب والعاطفة . وهي ترمق كتاباً على مكتبه فتتناوله وتجد أنه ديوان من الشعر . ثم لاتلبث ان تقرأ قصيدة فيه . وتعجب غاية الاعجاب بهذا الجزء منها :

« واقصر على انا وحدى فكرك وعينيك حتى إذا ابتعدت عنى ظل قلبك ممتلئاً بروحى وشخصى »

وتكرر فى نشوة قوية هذا البيت :

« حتى إذا ابتعدت عنى ظل قلبك ممتلئاً بروحى وجسدى »

ويتعانقان ثم تخرج اجنس ولا يكاد شارل يشعر بنفسه وحيداً حتى تتقلص عضلات وجهه وتنطفىء ابتسامته ويبدو عليه القلق والخمول

وبعد قليل تقبل سيدة تدعى مادلين Madeleine تعرف بعدقليل أن شارل قد استدعاها وانها كانت فيما مضى عشيقته مدى ستة أعوام . وان القلق والثورة النفسية الحائرة قد دفعت به الى دعوتها لـكى تهديه وتشير عليه بما تراه .وهو يذكر لها حبه القوى لآجنس ولـكنه فى الوقت نفسه يرى انها لم تزل تحب زوجها ليونيل وان مجرد ذكراه تلهبها ! وهو يذكر أنها ضاقت ذرعا بسلوك زوجها وثارت مرة ثورة طائشة لم تتجاوز برهة موجزة وكانت النتيجة ان انفصلت عنه وبدأت حياتها معه هو ! . فاذا قالت له مادلين انها سمعت من أصدقاء آجنس انها تحب شارل وانها سعيـدة بحياتها معه . . أجابها انها تكذب على أولئك الاصدقاء كما تكذب على نفسها . تكذب بكل نفسها المجروحة وكرامتها المحطمة . وهو يشعر بأنه ليس بالرجل الذى ترغب فيه النساء . ويعترف بأنه ليس شابا وليس جميلا فاتناً مغريا كغيره . وهو يعتقد ان هذه الصفات كلها متوفرة فى ليونيل . فهو يستطيع أن يأسر المرأة بنظرة واحدة . .

وتفهم مادلين حقيقة الحالة النفسية التى يعانيها شارل . فتذكره بالسنة الاخيرة التى عاشاها معاً . وكيف انه كان يغار من زوجها الحالي الذى كان يتودد اليها إذ ذاك وهى لاتحبه . بل ترثى لحاله وتعطف عليه . وكيف ان شارل كان يكرر أمامها نفس الاقوال والـكلمات التى يكررها الآن وكيف كان يقول عنه كما يقول الآن عن ليونيل : « ان لديه كل المزايا التى حرمت أنا منهـا » . وتصارحه بأنه هو الذى نبهها الى مزايا زوجها الحالي . وهو الذى دفعها الى ذراعيه وهنا يطمئن شارل الى حديثها فيقول لها :

ـــ اقسمى لي . . اقسمى انى يمكن ان أحب كما أريد ان تحبنى هى

فتقسم له على ذلك وتؤكد له انه رجل كغيره من الرجال . وانه فنان معروف تتهافت النساء على التودد اليه . وانه يستطيع أن يلهب أولئك النساء حباً وعاطفة وغراما كما يفعل غيره

وتخرج مادلين وهى تكرر قولها له :

ـــ كن سعيداً ياشارل . كن سعيداً ..

فيعود شارل الى صورة اجنس يقبلها . ويعود الأمل فيملأ صدره . وتنبسط أساريره . ويمسك المرآة فينظر اليها ويصلح من هندامه . ويسكب زجاجة العطر على رأسه ، ويستدعى الخادمة فيأمرها أن تحضر الطعام له ولاجنس من أحد المطاعم الفاخرة . وألا تتورع عن أن تجزل العطاء لخدم المطعم . وأن تحضر معها باقة فيها عدد هائل من الازهار التى تحبها آجنس !

ويقبل ليونيل بعد قليل . ويخشى شارل فى بادىء الامر مغبة هذه المقابلة ولكنه لايلبث أن يرى ليونيل حزيناً يرجو منه أن يخبر آجنس بأنه ليس إلا رجلا مسكيناً لا يستحق أن تغضب منه وتحتد عليه . وهو يسأل شارل عما اذا كان يعلم شيئاً عن علاقة عشيقته جاكلين ببعض الشبان فيؤكد له شارل بأنه لايعلم شيئاً عن ذلك . ثم يعودان الى ذكر آجنس فيسأله شارل أن يصارحه عما اذا كان لم يحلم مرة بامكان طلاق آجنس وزواجها مرة أخرى منه هو . ويرجو منه أن يجيبه بكل صراحة . ويكاد ليونيل يعترف بأنه حقاً قد فكر فى ذلك الاحتمال . وعندئذ يطمئن شارل ويعزو الى ليونيل الفضل فى هنائه مادام قد فكر فيه قبله . ولكنه لايكاد يطمئن من هذه الناحية حتى يثور على ليونيل ويتهمه بأنه مجرد من كل كرامة وأنه لولا ذلك لما قدم اليه فى المنزل الذى فيه زوجته السابقة . ويعمد الى طرده من البيت فتدخل آجنس فى هذه اللحظة وتصرخ :

— شارل !

فاذا خلا شارل الى آجنس فهو يجابهها بأنه قد خدع نفسه وأنها لا يمكن أن تبادله الحب كما يشتهى . وهى تؤكد انها تحبه . ولكنه لا يصدق ذلك ويجثو على ركبتيه ويتوسل اليها ألا تشجعه على المضى فى تحطيم هنائها ومستقبلها بتوريطها فى علاقة حب لا تحس به . وهى تدهش من اصراره على اتهامها بأنها لا تحبه وتحاول اقناعه بعكس ذلك . ولما لا تفلح تبكى وتهم بالخروج فيستوقفها . وتتهمه هى بأنه لا يحبها فيقول لها :

— انى أحبك اكثر مما أحب نفسى !

فتقترب منه وتقول :

— انى أريد أن احتفظ بك .. اتفهم . لا استطيع أن افقدك انى أقبل كل ما تريد أن أحتمله وأعانيه . انى اقبلك حزيناً تساورك الشكوك

وتؤكد له بعد ذلك بكل قوتها أنها تحبه وتعبده وينتهى الفصل هكذا

آجنس — انى لك (يطيلان النظر الواحد الى الآخر) يا حبيبى

شارل — اذا كان حقاً انك تحبيننى هكذا ..

آجنس — تعال اذن ..

(يضع شارل على شفتى آجنس قبلات عديدة فتجذبه اليها بينما يهبط الستار)



فاذا كان الفصل الاخير فقد انقضى عام على ما حدث . وعاد شارل من رحلة قام بها مع آجنس حول العالم . وتفهم من حديث يدور بين آجنس والطبيب فيكتور أن شارل بعد عودته قد تغيرت أخلاقه وبدا عليه نوع من الخمول . فهو يتألم فى صمت ويشقى شقاء خفيا . وهى تعتقد أنه يعانى

مرضاً ما . ويقرها الطبيب على ذلك ويجيب توسلها بأن يعمل كل ما فى وسعه على انقاذ صديقه المصور

وتدخل الخادمة حاملة بعض الصحف التى لا يكاد شارل يطلع عليها حتى يذعر اذ يقرأ خبراً عن موت صديقه القديم ليونيل فاسور فى حادثة انقلاب سيارة . وتقابل آجنس الخبر فى تأثر هادىء متئد لم يكن منتظراً . فهى لا تصرخ ولا تولول بل تلقى بضع كلمات تعبر بها عن حزن عادى

ويخلو فيكتور الى شارل ويصارحه بما ذكرته له آجنس عن ألمه وشقائه فيعترف بذلك ولكنه يخبره بأنه شفى من ذلك الالم بعد ما رآه من موقف اجنس حيال الفاجعة التى اصابت ليونيل . فقد تلقت ذاك الخبر بهدوء لا يدع مجالا للتردد فى الحكم بأنها أصبحت لا تفكر إلا فى الحياة معه . وانه أصبح يوقن بذلك يقيناً ثابتاً الى الابد . لقد كانت هذه الفاجعة الاليمة سبباً فى اكتشاف حبها له

ويصارحه الطبيب بحقيقة حالته النفسية فهو مصاب بنوع من الشعور بالذلة والعجز . الشعور بالاشمئزاز من نفسه ! واذا كان قد أزال الشك من جهة حب آجنس له فلا يبعد أن يحل محله الشك فى الحب ذاته ! وهو يؤكد له أن هذا الشعور مرض يمكن مقاومته بالتماس العظمة والمجد واقناع نفسه بتلك العظمة وذلك المجد . ويكاد شارل يقتنع بذلك فهو يحس احياناً أنه فنان له قيمته . ولكنه يسأل الطبيب عن شيء .. ذلك أن خير اعماله الفنية قد انتجها وهو حزين مريض . فهو لا يستطيع أن يستوحى المرح والسرور شيئاً من عمله قط . فيجيبه بأن الشك الذى يشعر به اذا كان يعذبه من جهة فهو لا يقلل من قدره كفنان من جهة أخرى أى ان الشك يخلق ويبتكر ؟

وتكون آجنس قد أقبلت إذ ذاك فتؤكد له أنها ستحيى الى جانبه

وستعينه بكل ما فى وسعها من شجاعة ودعة وحنان على الانتاج والتفوق . وهى تذكره بذلك الحديث الذى دار بينهما يوماً على ظهر الباخرة اثناء رحلتهما اذ قال لها ان كلا منهما ليس الا عدة صور مختلفة لا نهاية لها ولكنها لم تفهم اذ ذاك ذلك الكلام الخيالى المضطرب ثم تقول :

ــ انظر الى .. انني تلك التي تراها عيناك فى هذه اللحظة .. عيناك الوديعتان اللتان تبعثان الثقة والطمأنينة . ولا استطيع أن اكون الا تلك .. صديقتك آجنس التى تضمها بين ذراعيك .. صديقتك ياحبيبي شارل . صديقتك الوفية طول الطريق .. رفيقتك الى الابد

شارل ــ احبك ..

اجنس ــ اتذكر ذلك الشعر الجميل

شارل ــ « حتى اذا ابتعدت عنى ظل قلبك » ولكننا لن نفترق ابداً

اجنس ــ لن نفترق أبداً برضانا . ولكن ياشارل .. « حتى اذا كنت الى جانبي ظل قلبك ممتلئاً بروحى وجسدى »

ووسط الحنان والحزن اللذين يسودان هذا الموقف يهبط الستار مؤذناً بانتهاء القصة !

البطة المتوحشة

عن الكاتب النرويجي هنريك ابسن

أتقدم الى ابسن وقلبي يضطرب ! فأنا أعلم أن قصص ابسن ليست من القصص العادية التي يجوز فيها التلخيص أو الترجمة المشوهة وانما هي (قطع سائدة) تحتوي عنصر الخلود ، ومن الاجرام ولا شك أن تقدم الى القراء في غير الصورة الرائعة التي تمخضت عنها عبقرية مؤلفها الفذ ، ومع ذلك فأنا أقرأ ابسن على الدوام واعب في فنه . وأشعر في أثناء هذه القراءة أن من الواجب على أن أتحدث الى القراء عما أقرأ وأن أوجز لهم في هذه الصفحات القليلة شيئاً من قصصه ولو تحملت في سبيل ذلك أمام ضميري مسئولية تلك الجريمة التي أشرت اليها

وقصة (البطة المتوحشة) Le Canard Sauvage التي ألخصها لك هي من قصص هنريك ابسن Henrik Ibsen التي تعبر تمام التعبير عن فنه وتفكيره . بل انه — كما يرى الكونت بروزور Comte Prozor الذي ترجمها الى الفرنسية كما ترجم غيرها من قصص ابسن — لا يوجد عمل من أعمال ابسن تظهر فيه خاصية عبقريته ومميزاتها بوضوح وجلاء كما تظهر في هذه القصة

ومن المستحيل أن أتحدث لك عن فن الرجل في هذه المقدمة الصغيرة — فقد وفيت الرجل حقه في كتابي (صيحات جديدة) الذي ظهر منذ عامين — ولكن يكفي أن اقول أن ابسن لم يكن ليكتفي بأن ينقل ! شخصيات قصصه من الحياة نقلا (حرفياً) وانما كان يستولد من خياله الخاص، من حلمه الشخصي ،

تلك النماذج الآدمية ، بل تلك الشخصيات الاكثر حيوية من الاحياء انفسهم وهنا تتجلى عبقرية المؤلف الفنان ، إذا أضاف من خياله الخاص أشياء الى الطبيعة

والعجيب ان تلك الشخصيات التى ابتدعها ابسن ، كلها فى الغالب شخصيات أقارب ينتمون الى أسرة واحدة . كما ترى فى القصة التى ألخصها لك اليوم . وهو يرسمهم بطريقة تمكنك من أن تميزهم وتشير اليهم حتى لو وضعوا بين آلاف من الناس غيرهم . أى ان الذى يرى رجال ابسن ونساءه مرة واحدة يتعرف عليهم ويتبينهم فى كل مكان ، ثم انه لم يكن يعنى بجمال الحادثة المسرحية ، فحوادث قصصه من نوع جاف . أى انه يقدم للنظارة صورة خشنة من الوقائع ويستر المعنى المقصود برموز مادية وشخصيات مجازية تظهر على المسرح كبطة مكسورة الجناح كما ترى فى هذه القصة . أو كبناء يقع من على (صقالة) كما فى قصة « رئيس البنائين »

وابسن يكفيه شيء تافه كهذا ليبرز من خلاله أعقد الآراء وأروع العواطف البشرية والآن فلأختصر هذا الطريق الوعر الذى لن ينتهى بى الى خاتمة ! ولألخص لك القصة ذاتها



نحن فى قصر أحد كبار أصحاب المصانع فى النرويج المدعو ورليه Werlé وقد أقيمت حفلة كبيرة احتفاء بعودة ابنه جريجوار Grégoire من السفر إذ كان فى ناحية نائية يشرف على ادارة مصانع والده ومناجمه . وتفهم من حديث خادمين أن سيدهما ورليه له علاقة بسيدة تدعى مدام سوربى Soerby هى إحدى المدعوات إلى القصر فى هذا المساء . ويتحدثان أيضاً عن رجل هرم يدعى ايكدال Ekdal يشتغل نساخاً فى مكتب صاحب القصر فتعلم انه كان ضابطاً فى الجيش ثم اشترك مع ورليه فى مشروع تجارى فشل فيه فلما ضاقت به الحال أعانه ورليه بأن جعله ينسخ بعض الاوراق فى مقابل أجر معلوم

ثم تعلم بعــد ذلك ان بين المدعوين شاباً يدعى هيلمر Hialmer يشتغل بالتصوير هو ابن ذلك الهرم المدعو ايكدال . فاذا خلا الى جريجوار ابن صاحب القصر فهما يذكران أيام صداقة قديمة كانت قائمة بينهما منذ الطفولة وهيامر يشكو الى صديقه القديم سوء حاله ، فقد نكب والده في ثروته وأصبح مديناً لوبرليه بمبالغ ضخمة واضطر هو الى هجر المدرسة والـكفاح ليعول والده . وهو يذكر لجريجوار شيئاً آخر لم يكن يعلمه . ذلك أنه تزوج فتاة تدعى جينا Gina كانت خادمة في قصر ويرليه عندما كانت زوجته أم جريجوار في مرض الموت

وتبدأ الحفلة ويختلط المدعوون وتتعالى ضحكاتهم .وبين هذا المرح الصاخب يفتح باب المـكتب ويخرج ايكدال الهرم والد هيلمر وقد بدا عليه الاضطراب فيرتجف ويرليه لدى رؤيته وتخرج منه رغماً منه صرخة خفيفة ويظهر الخجل على هيلمر . ويلحظ جريجوار ذلك فيطلب اليه ان يسمح له بزيارته في منزله ولـكن هيلمر يعتذر بان منزله لايليق به وانه مستعد للتحدث اليه في الخارج وتبدى مدام سوربى رغبتها في الاحسان إلى ايكدال الهرم بشيء فيحقق وكيل اشغال ويرليه رغبتها ويعطيه زجاجة كونيـاك . ثم يخـلو ويرليه إلى ابنه جريجوار فاذا بالابن يلوم أباه على تركه اسرة ايكدال في تلك الفاقة التى تعانيها ، ويتهمه بانه كان سبباً في نكبتها وإذا بالأب يدافع عن نفسه بان ايكدال قد شاركه في ذلك المشروع وانه عندما فشل وحققت الحـكومة في الامر حكم على ايكدال بالسجن وبرىء هو وليس له في ذلك ذنب ومع ذلك فهو يعهد اليه في نسخ بعض الاوراق ويدفع اجراً اكثر مما يساويه عمله . ولـكن جريجوار لايقتنع بذلك كله ويتطرق إلى موضوع آخر . ذلك هو زواج هيلمر ايكدال بالفتاة جينا التى كانت خادمة في القصر ، فهو يعجب كيف ان والده لم يرسل

اليه وهو فى السفر بتفاصيل هذا الزواج ، ويغلو فيتهم والده بانه كانت له علاقة آثمة بتلك الفتاة فى أثناء مرض والدته ، ويسأله هذا عمن أدلى اليه بذلك فيجيب بانها والدته نفسها التى أفضت اليه بسر تلك العلاقة . وتشتد المناقشة بينهما فيقرر ويرليه بأنه لاحاجة بهما إلى أن يظلا معاً فهو يطلب إلى ابنه ان يدير محل التجارة على أن يتفرغ هو إلى ادارة المعامل نظراً لان بصره قد ضعف وهو مصاب بهذا الضعف البصرى منذ مدة . ولـكن جريجوار يرفض ذلك. ويذكره بانه يريد التخلص منه ليتزوج مدام سوربى ولا ينكر الأب ذلك فهو شيخ وفى حاجة إلى شخص يظل الى جانبه ليعتني به ويستمر الابن فى اتهامه بانه لا يحترم ذكرى والدته التى تسبب فى موتها بتلك الجنايات التى كان يرتكبها مع أمثال جينا ويقرر ويرليه بانه أميل الى الاعتقاد بأن هناك فاصلا هائلا بينه وبين ابنه فيقره الاخير على ذلك ويعلن رغبته فى مغادرة المنزل فقد عثر أخيراً على غرض يرمي إلى تحقيقه فى الحياة . ثم يغادر المنزل فعلا

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى منزل هيلمر ايكدال المصور وقد اقبل رب البيت من الحفلة التى كان مدعواً اليها فى قصر ويرليه واخذت ابنته هدويج Hedwige — وهي فتاة فى الرابعة عشرة من عمرها — تتعلق بأبيها طالبة اليه أن يعطيها الهدية التى تنتظرها منه عند عودته إلى البيت . ويخرج هيلمر قائمة الطعام الذى تناوله فى الحفلة ويدفعها إلى ابنته فهي كل ما يستطيع أن يقدمه لها ! اذ يمكنها ان تقرأ مافيها وهو يشرح لها اصناف الطعام ! ويتحدثون إذ ذاك عن بصر هذه الفتاة هدويج فهو ضعيف رغم حداثة سنها والطبيب يأمر بألا تطيل القراءة لئلا يهدد هذا البصر بالعمى التام . .

وتجلس هذه الاسرة الصغيرة البائسة الى المائدة وتنقضى فترة ثم اذا بالباب يطرق وإذا بالقادم هو جريجوار ويرليه فقد غادر بيت أبيه نهائياً . وتشعر أنت من طريقة لقاء جينا لجريجوار انهـا وجلة خائفة ولـكنها تتجلد فتجيبه ، اذا

سألها عما اذا كانت تذكره ، بأنها تذكره جيداً . ويعود الجميع الى التحدث عن ذلك الضعف الذى ينتاب بصر هدويج فيذكر هلمر أبوها بأنه ربما كان وراثياً ويرتجف جريجوار لذكر كلمة (وراثى) . وتستمر (جينا) قائلة ان والدة هيلمر كان بصرها ضعيفاً . ثم يقبل ايكدال الهرم من غرفته ويدهش فى بادىء الامر لدى رؤية جريجوار ولكنه يطمئن عندما يعلم سبب قدومه وتشعر من حديث الرجل أن النكبة التى نزلت به زعزعت عقله وجعلته يعيش فى شبه حلم من الذكرى المضطربة . فقد كان فيما مضى من كبار الصيادين المهرة الذين يقضون وقتهم فى الغابات . وهو يسأل جريجوار عن أخبار تلك الغابات فيجيبه بأنها تغيرت بعض الشيء وقطعت أشجارها وعندئذ يخفض ايكدال صوته كأن الخوف تملكه ويقول :

— ان من الخطر ان تقطع تلك الاشجار . فلهذا عواقبه . ان الغابة تنتقم .

ثم تشعر من حركات ايكدال انه يريد ان يرى جريجوار شيئاً فى المنزل ولكن هيلمر يرغب فى تأجيل ذلك الى مرة أخرى فيلح الشيخ فى تنفيذ ارادته ويقود جريجوار الى مخزن الحبوب فاذا فيه دجاج وحمام وأرانب . ولكن يتضح بعد قليل ان الشيخ لم يكن يريد أن يريه ذلك بل كان يريد شيئاً آخر هو بطة من النوع المتوحش الذى يعيش فى بحيرات الغابات . واذا بك تعلم أن هذه البطة قد اصطادها ويرليه ثم ظلت عنده مدة وبعد ذلك أمر خادمه ان يقتلها ولكن ايكدال علم بالخبر فسعى حتى أخذها . وان الرصاص الذى نفذ الى جسمها قد أصاب جناحها فلم تعد تستطيع الطيران . ثم يتحدث جريجوار مع هيلمر عن الغرفة الخالية فى منزله ويعلن استعداده لاستئجارها فيقبل عن طيبة خاطر وتعترض زوجته جينا بأنها لاتليق بجريجوار فلا تنجح فى اعتراضها

ويخرج جريجوار ويخلو هيلمر إلى زوجته فيبدى دهشته من انها كانت تتمنى تأجير الغرفة الخالية فلما جاءها مستأجر لم تسر ، فتجيبه بأنها كانت ترجو ان

يكون مستأجرها شخصاً غير جريجوار خشية ان يظن أبوه أن زوجها هو السبب فى خروج ابنه من البيت . كما تخشى ان يقطع الاجر الذى يدفعه لايكدال الشيخ ، فلا يعبأ هيلمر بهذا الاعتراض وتثور فيه نعرة عزة وكرامة فيذكر لها انه يتمنى ان يحدث ذلك اذ إنه من المخجل المذل لرجل مثله ان يرى والده يشتغل كالحمار ، ويكون ايكدال اذ ذاك غارقاً فى نومه على المقعد فيلتفت له ويقول :

ــ أيها الاب الهرم المسكين ! انك تستطيع ان تعتمد على ابنك هيلمر فله كتفان عريضتان ، كتفان قويتان على أى حال . سيأتى يوم تستيقظ فيه . . (يلتفت الى جينا) لعلك لا تشكين فى ذلك ؟

جينا (تقف) ــ بكل تأكيد كلا . ولكن يجب قبل كل شىء ان نحاول وضعه فى الفراش

هيلمر ــ هيا (يحملان الشيخ فى حذر)

☆ ☆ ☆

فاذا كان الفصل الثالث فنحن لانزال حيث كنا فى الفصل السابق وقد استقر جريجوار فى المنزل وأصبح أحد أفراده . وأخذ يتحدث الى هدويج . فهو يسألها عن البطة المتوحشة وهي تجيبه بأن هذه البطة لها وحدها دون والدها ولكنها تسمح له بالدنو منها كلما أراد أن يعنى بها . وهى تسهب فى الكلام عن تلك البطة وعن طريقة حياتها فى الليل والنهار حتى يعلق جريجوار على ذلك بقوله :

ــ فهمت . ان البطة المتوحشة تحتل المكان الاول هنا

فتجيبه هدويج :

ــ بكل تأكيد

ثم تسمع صوت طلقات نارية ويقبل هيلمر فقد كان يصطاد بعض الارانب فى مخزن القمح . ويتحدث إلى جريجوار عن اكتشاف يريد الوصول اليه ثم

مهنة (الفوتوغرافيا) ويأبى أن يشرح له التفاصيل . ثم ينتقل إلى ذكر المسدس الذى كان يصطاد به الارانب فيذكر أنه لعب دوراً فى فاجعة اسرة ايكدال إذ أراد والده بعد أن حكم عليه بالسّجن أن ينتحر به فجبن ولم يستطع . وأنه بعد أن ماتت والدته رغب فى أن يتخلص من الحيـــاة فصوب فوهته الى صدره ولـكنه تغلب على نفسه واستمر حياً

ثم يقبل طبيب يدعى ريلنج Relling يسكن الدورالذىتحت هيلمرويجلس مع الجميع الى المائدة فيذكر جريجوار أن هواء المنزل ليس نقياً . وتؤكد جينا أنها تجدد هواء المنزل يومياً وعندئذ يقوم جريجوار من المائدة . ويقول :

ــ إن الرائحة المنتنة التى اتحدث عنها ليس فى مكنتكم أن تطهروا المنزل منها !

ويكاد يشعر الطبيب ريلنج وهو رجل مثقف ذكى أن جريجوار يرمى الى غرض بعيد قد يفضى تحقيقه الى قلب كيان هذه الأسرة الصغيرة فيقول له:

ــ انى أشك كثيراً فى أنك تحمل فى قرارة جيبك . . طلب تحقيق المثل الاعلى . .

ــ انى احتفظ بهذا هنا فى صدرى . .

وعندئذ يطلب اليه ريلنج فى حدة أن يحتفظ بهحيثشاء ولـكن على شرط الا يطالب به هناك مادام هو موجوداً ، فيرفض جريجوار ويصر على وجوب تحقيقه وتشتد المناقشة بينهما . حتى ليهدده ريلنج بأنه سوف يقذف به على السلم . .

ثم يسمع طرق على الباب فاذا به ورليه قدم يبحث عن ابنه . ويخرج الجميع ويتركونه مع جريجوار فيقول له :

ــ مادمت قد أقمت مع اسرة ايكدال فانى أميل إلى الاعتقاد بأنك ترسم خطة فيها اساءة لى

جريجوار — ان الخطة التي لدى هي أن أفتح عيني هيلمر ايكدال . فلابد ان يرى مركزه كما هو . . . هذا هو كل شيء

ويعود جريجوار فيرفض ما يعرضه عليه ابوه من العودة الى بيته . وعندئذ يخبره ابوه انه مادام قد اعتزم الزواج من مدام سوربى فهو يرغب فى أن يعطيه ما يخصه من ثروته . ولكن الابن يرفض هذا أيضاً . يرفض كل عرض يتقدم به والده . فقد تشبعت نفسه بأن هناك ظلماً وقع على اسرة ايكدال ، وأن من واجبه تحقيق العدل وتحقيق المثل الأعلى وسيظل ضميره قلقاً مضطرباً الى أن يفوز بذلك . .

ويخرج ويرليه بعد أن يودع ابنه يائساً . ويطلب جريجوار الى هيلمر أن يخرج معه فلديه حديث يريد أن يفضى به اليه . ثم يسبقه الى الخارج . وعندئذ تطلب جينا الى زوجها الا يتبعه . وينضم اليها الطبيب ريلنج فى ذلك فهو يرى أن جريجوار معتوه مجنون . وتذكر جينا أن والدته كانت تنتابها أمثال هذه الازمات النفسية التى تهز كيانها كله . ولكن هيلمر لايقتنع بكل ذلك ويتبع صديقه الى الخارج . ويخلو ريلنج الى جينا فيخبرها أن جريجوار ليس أكثر جنوناً من باقى الاحياء وانما هو مصاب بمرض فى جسمه وهو يسمى هذا المرض (حمى تحقيق العدل) وهى حمى حادة . ولكنها غير قابلة للعدوى

فاذا خرج الطبيب فالفصل ينتهى بهذا الحوار

جينا (مضطربة تدور فى الغرفة) — آه ! ان جريجوار ويرليه كان على الدوام نذير شؤم

هدويج (تشخص اليها فى انتباه . واقفة بجانب المائدة) — كل هذا فى غاية الغرابة

☆ ☆ ☆

فاذا كان الفصل الرابع فقد عاد هيلمر متأخراً عن موعده وظهرت عليه

أمارات قلق واضطراب . فهو لايطيق أن يتحدث اليه أحد عن شيء . لايطيق أن تتحدث اليه جينا عن شئون المنزل أو العمل الذى يقتات منه وهو التصوير ، ولا يطيق ان تحدثه هدويج عن البطة المتوحشة ، بل هو يثور فى وجهها ويبدى رغبته فى ان يقطع عنق تلك البطة . ويعلل ذلك بأنه لا يحتمل أن يرى تحت سقف بيته كائناً قادماً من منزل ويرليه

ثم يطلب الى ابنته ان تخرج و يخلو الى زوجته فيجابهها بالحقيقة الهائلة التى عرفها من جريجوار . يسألها عما اذا كانت بينها وبين ويرليه علاقة عندما كانت فى منزله فتعترف بعد قليل بأن ويرليه قد أغراها ونال منها كل ما يريد . فيسألها ولم أخفت عنه ذلك فتجيبه بانها كانت تحبه وتريد ألا تهدم هناءها بنفسها . وعندئذ يثور هيلمر . قائلا :

ـــ هاهى أم ابنتى هدويج ! إن كل ما يحيطنى . . . (يخبط المائدة بيده) كل منزلى ادين به الى ذلك الرجل

ثم يستمر فى ثورته فيعجب كيف عاشت معه تلك المدة الطويلة وهى تكذب عليه دون ان يؤنبها ضميرها . وتظلم الدنيا فى وجهه ويشتد تشاؤمه . فهو يائس من اتمام ذلك الاكتشاف الذى كان يعلق عليه مستقبله . وهو يتهم زوجته بان ماضيها هو الذى قضى على الاكتشاف وقتله

ثم يقبل جريجوار ويعلم أن هيلمر قد كاشف زوجته بالأمر ، وهو يعجب كيف تغير صديقه هذا التغير . فقد كان يظن أنه بعد ان تتجلى الحقيقة ويتبدد الكذب تقوم حياتهما الزوجية على أساس ثابت من الصدق والحق . وهو يدعو هيلمر الى ان يستمر فى حياته على هذا الاساس الجديد وان يعفو عن زوجته فليس هناك فى العالم خير من العفو عن المخطئة

وتدخل جينا وتظهر ألمها لجريجوار فقد كان يستطيع أن يتركها تمر فى طريقها دون أن يتعرض لهنائها

أما الطبيب ريلنج فيكاد يشعر بما حدث فى البيت عندما يراهم على تلك الحالة المضطربة فيسأل جريجوار عن الداعى الى قدومه فيجيبه :

ـــ انى أريد ان اوجد رابطة زوجية صحيحة

وعندئذ يرجوهم ان يفعلوا ما يشاءون بأنفسهم على ألا يتعرضوا لهدويج الصغيرة فقد يقع الشقاء على رأسها هي . ثم تقبل مدام سوربى فاذا هى تعلن اعتزامها الرحيل مع خطيبها ويرليه . واذا بها تذكر انها كانت لها علاقة بالطبيب ريلنج فيما مضى فيسألها عما اذا كانت اعترفت لوالده بذلك فتجيبه بانها أطلعت والده على كل شيء يختص بماضيها قبل الزواج . وتبدى مدام سوربى لهيلمر ان لحسابه مبلغاً من المال فى مكتب ويرليه ولكنه يرفض الذهاب لتسلمه بل ويطلب اليها ان تخطر خطيبها انه سوف يدفع كل ديون والده وبفائدة خمسة فى المائة

فاذا خرجت هذه المرأة فهيلمر يغار من ويرليه الذى سوف يتزوج على أساس من الصراحة والصدق ويرى فى ذلك الرابطة الزوجية الصحيحة! ولكنه يعود فيشعر ان أصبع القدر تنظم العالم . فان ويرليه سوف يفقد بصره عما قريب ، سوف يعمى كما أعماه من قبل . وجعله يتزوج حينا غشاً وخديعة

ثم تدخل هدويج وفى يدها مظروف فاذا فتح فهو خطاب من ويرليه . ويطلب هيلمر من هدويج ان تقرأه . فتقترب الفتاة من النور وتقرأ . وتتمتم فى صوت خافت :

ـــ هاتان العينان . آه هاتان العينان ! ثم هذا الخطاب

وتشعر من ذلك انه بدأ يشك فى بنوة هدويج له . وتعلم ان ويرليه قد كتب الى هدويج بأن جدها لم تعد به حاجة لان يتعب نفسه فى الذهاب الى المكتب بل عليه ان يتوجه فى أول كل شهر ليقبض مرتبه . على ان تنتقل هذه الهبة الى هدويج بعد وفاة جدها. ويزيد شك هيلمر فى تلك اللحظة اذ يرى كيف يعنى ويرليه

بأن يوفر المال لهدويج فيعمد الى تمزيق الخطاب . بعد أن تخرج الفتاة . ثم يسأل جينا :

ـــ ستجيبيني . هل هدويج ابنتي و . . . ؟

جينا (تنظر اليه فى برود) ـ لا أعلم

هيامر ـ لا تعلمين ؟

جينا ـ كيف تريدنى أن أعلم ؟ امرأة مثلى ... ؟

هيلمر ـ فى هذه الحالة ليس لى ان استمر على العيش فى هذا البيت

ثم يأخذ قبعته وهو يصيح بانه لم يبق أباً لاحد . وتدخل هدويج على هذا الصياح فيدفعها بعيداً عنه ويخرج

فاذا خلت الفتاة إلى امها فهي ترغب فى معرفة سبب هـذا التغير الذى طرأ على أبيها . فتجيبها بانها لاتزال صغيرة . وتشك فى انها ربما لم تكن ابنته ثم تقول :

ـــ ومع ذلك فهو يستطيع ان يحبنى . بل ويحبنى اكثر مما لو كنت ابنته . لقد تلقينا البطة المتوحشة هدية ايضا ومع ذلك فانا احبها كثيراً

ويقترب جريجوار منها وقد خطرت له فكرة يستعيد بها هيلمر إلى اسرته. فيطلب الى هدويج ان تضحى تلك البطة . ذلك الشيء العزيز لديها عن طيب خاطر من اجل ابيها . فقد ينفع ذلك فى تحقيق ماتريد وتبدى الفتاة استعدادها لذلك وتتقدم الى جدها ايكدال العجوز فترجو منه ان يقتل البطة مادام فى ذلك رضاء ابيها

☆ ☆ ☆

فاذا كان الفصل الاخير فنحن لا نزال فى منزل هيلمر . و إن كان هو غائبا عنه وقد اخذت جينا وهدويج تتحدثان إلى ريلنج الذى ذهب اليـه هيلمر

ونام عنده . وهما يستفهمان عن حالة هيلمر فيخبرهما أنه مستلق على المقعد لا ينطق حرفا واحداً

ثم يقبل جريجوار فيبدى له الطبيب ان حالته معقدة فهو مريض بالرغبة فى كشف الحقيقة وتحقيق العدل . كما أن هيلمر مريض . ولقد كان دائماً يعالجه بايهامه بأشياء لاحقيقة لها . من ذلك انه أفهمه أنه عبقرى . ثم يقبل هيلمر أشعث الشعر متعب العينين . وتحاول هدويج التعلق به فيدفعها بعيداً و يطلب إلى جينا ان تبعدها فهو لم يحضر الا ليرحل اذ اعتزم الخروج من المنزل مع والده العجوز ثم يبدأ فى جمع ثيابه ورسائله وأمتعته . وتساعده جينا على ذلك . ويدور فى المنزل لجمع أشيائه فيظهر الامتعاض كلما رأى هدويج فى طريقه . وتخطر للفتاة فجأة فكرة البطة المتوحشة التى حدثها عنها جريجوار فتعمد إلى الرف وتأخذ المسدس وتنفذ الى مخزن الحبوب ثم تغلق بابه عليها . وتحضر جينا شيئاً من الطعام له وترجومنه أن يتناول قليلا منه فيفعل . و يتحدث عن اكتشافه القديم فيذكر ان ريلنج قد خدعه عندما أفهمه انه عبقرى وانه يستطيع اكتشاف شىء لم يهتد اليه أحد من قبل . ثم يقبل جريجوار ويتحدث اليه هيلمر عن هدويج فاذا به يرى انها السبب فى ظلام الحياة أمام بصره . فهو يشك فى نسبتها له . ويشك فى انها شعرت يوماً ما بحب له . وعندئذ يجيبه جريجوار بأنها ربما استطاعت ان تثبت له هذا الحب بالدليل المقنع . ولكن هيلمر لا يدرى مايمكن أن يكون عليه هذا (الدليل) بل هو يميل الى الاعتقاد بأنها تفضل الغير عليه . ولو سألها يوماً : « هدو يج . هل تقبلين ان تضحى حياتك من أجلى؟ » فلن تقبل ذلك . وهنا يسمع صوت طلقة نارية فى مخزن الحبوب . ويصيح جريجوار فرحاً: « هيلمر ! » ثم يخبره بأن هذا هو (الدليل) الذى حدثه عنه . فقد أرادت هدو يج أن تضحى من أجله أعز شىء لديها وهي البطة المتوحشة لـكى تفوز بحبه وعندئذ يسرى الفرح فى جسمه و يشعر بأن حياة جديدة تقبل عليه .

ويظهر الاب ايكدال على باب غرفته فيدهش الجميع اذ كانوا يظنون انه هو الذى أطلق النار على البطة ، ويسرع هيلمر الى مخزن الحبوب ثم يصيح فقد رأى هدويج ملقاة على الارض بعد ان أصابتها الرصاصة ويتمتم ايكدال بصوت خافت مذهول :

ــ ان الغابة تنتقم !

ويظهر الهلع على وجه هيلمر وهو ممدد بجانب هدويج يرجو من الله لها الحياة

ولكن ريلنج يقرر بعد أن يراها ان الرصاصة نفذت من صدرها ولا امل فى حياتها وتبكى جينا ويطلب هيلمر الى الطبيب ان يحييها دقيقة واحدة لكى يقول لها انه لم يمتنع يوماً عن حبها . ويندم على انه دفعها بعيداً عنه بينماهى تموت من أجله ! ثم ينظر الى السماء وينطق بضع كلمات تدل على ثورة كافرة فتقول له جينا :

ــ لاتقل مثل هذه الكلمات الفظيعة اذ يبدو لي أنه لاحق لنا فى ان نحتفظ بها عندنا ثم تطلب جينا ان تنقل الفتاة الى غرفتها الصغيرة وترجو زوجها ان يساعدها فيفعل ويقول لها إذ يحملها

هيلمر ــ آه ! جينا ! جينا ! اتستطيعين ان تحمليها ؟

جينا ــ ها نحن نتعاون فى حملها . انى اعتقد الآن انها لكلينا

القبر تحت قوس النصر

مأساة مسرحية عن الحرب العظمى ـ للكاتب الفرنسى بول رينال

مأساة رائعة تتكون من ثلاثة فصول .. وثلاثة أشخاص.. ؟ كتبها المؤلف الفرنسى الشاب بول رينال Paul Raynal وسماها « القبر تحت قوس النصر » Le Tombeau sous l'Arc de Triompheوظهرت على مسرح الكوميدى فرانسيز للمرة الاولى فى أول فبراير سنة ١٩٢٤ . . فأحدثت ضجة هائلة فى فرنسا ، وثارت ضدها زوبعة مخيفة من السخط اثارها نفر من الذين لم يتقدموا الى حمل السلاح والدفاع عن ارض الوطن فى ابان الحرب العظمى..ثم تمخضت تلك الزوبعة عن لاشىء . . فقد تقدم النقادالمسرحيون يظهرون للملأ ان المؤلف الشاب بول رينال قد فتح فى المسرح الفرنسى فتحاً جديداً .. وان « القبر تحت قوس النصر » انما هى مأساة عصرية تدل دلالة اكيدة على مقدرة مؤلفها وشاعريته الفياضة ثم انتقلت القصة بعد ذلك الى خارج فرنسا فنالت نفس النجاح الذى نالته على مسرح الكوميدى فرانسيز

والواقع ان هذه القصة التى ألخصها لك اليوم ليست من النوع الذى اعتاد النظارة ان يشاهدوه . فهى قصة مسرحية خالية من الحبكة و (العقدة) والحركة التى يدأب المؤلفون دواماً على أن يبنوا عليها قصصهم .. ويكفى ان تعلم أن عدد شخصياتها ثلاث لاغير لتتبين انها قصة حوار ومعنى وتحليل أكثر منها قصة عمل وحركة

ولقد تعمد المؤلف ان يكسب قصته ثوباً شعرياً رائعاً مهيباً . . بل هى فى الحقيقة أقرب الى ان تكون قصيدة طويلة عن المثل العليا التى يدعو اليها المؤلف .. ولقد ترددت كثيراً قبل ان أقدم على تلخيصها لك . . فمن العسير ولا شك تلخيص قصيدة طويلة تقع فى اثنتين واربعين صفحة من القطع الكبير جداً .. ! ولكننى مع ذلك ضننت بهذه القطعة الخالدة الشهيرة ان تمر بدون ان يعرف عنها القراء شيئاً خصوصاً بعد ان اجمع النقاد على ان «القبر تحت قوس النصر » هى الخم واروع ما تمخض عنه التفكير القصصى الذى حام حول الحرب العظمى . ويكفى ان انقل اليك رأى احدهم وهو « اندريه لانج » ناقد صحيفة « ليكلير » اذ قارن بينها وبين قصة « هرنانى » لفيكتور هيجو وانتهى الى قوله:

« إن هذه القصة معركة . معركة بدون جيوش . معركة بدون استفزاز عابث وأردية دامية . معركة فى الصميم . معركة فى النفوس والارواح »

وانى لا أشك لحظة فى أن ماذهب اليه هذا الناقد هو عين الصواب . فلقد كنت أشعر وأنا أقرأ القصة انها حياة كاملة ودنيا صاخبة قائمة بذاتها . . ! وأنا أوقن اليقين كله ان الاسلوب الفخم الذى استعان به المؤلف والاحساس الطاهر النبيل الذى أفاضه على القصة ، والعواطف العالية الملتهبة التى تجلت فى شخصياتها الثلاث والمعنى النقى الزاخر الذى يبدو فى كل سطر من سطورها — كل ذلك انما هو شعر خالد يمت بأقوى صلة الى شعر هيجو ، ويعجز الكثيرون من كتاب المسرح الحاضرين ان يوفقوا الى مثله

* * *

نحن فى منزل باحدى القرى الفرنسية اثناء الحرب العظمى . وقد جلس رجل هرم فى الستين من عمره مع فتاة فى العشرين من عمرها تدعى اود Aude ومع شاب يرتدى الثياب العسكرية . وسرعان ما تفهم ان هذا الجندى هو ابن الهرم وخطيب الفتاة . وانه قدم من ساحة القتال ليرى أسرته وليقوم

بعقد زواجه على خطيبته « اود » . فقد حصل من اجل ذلك على اجازة أربعة أيام . ولا يكاد الحديث يدور بينهم حتى يعلم من أبيه الشيخ أن خطيبته قد تكلفت اظهار السرور بعد أن غادرها وذهب الى ساحة القتال . وانها فعلت ذلك لكى ترضى والده . ولكنها بعد ذلك أخذ القلق يساورها فبدأت تستفسر عن نشأة ابنه الغائب وعن طفولته وشبابه . كأن فى ذلك عزاءها فى غيبته. ويسأل الجندى عما اذا كانت قد وصلت رسالة باسمه الى المنزل فينكران أولا ثم يحضران له الرسالة فاذا بهـا من مركز القيادة التابع له وفيها يأمره قائده بأن يلغى اجازته ويعود الى خط القتال إذ يقول فيها : « عد سريعاً » ولا يكاد يقرأ تلك البرقية حتى يضحك كما لو كان قد فوجىء مفاجأة سارة . ثم يسأل خطيبته :

ـــ لماذا لم تخبرينى بمجرد حضورى ؟

فتجيبه :

ـــ لقد كنت مبتهجاً

فيذكرها بالواجب الملقى على عاتقه ، وكيف أنه قد استشهد من فرقته الفان ، وأنه لا بد ان يكون قد صدر أمر بهجوم جديد . ويبدى عزمه على السفر فى أول قطار يقوم فى الفجر إذ أن قائده لم يسمح له بالسفر إلا على شرط الرجوع بمجرد استدعائه اذا جد فى الامر شيء . وأن هذا القائد عند ماسمح له بذلك كان يقدر الخدمات التى أداها للوطن كجندى باسل

ولا يكاد الابن يذكر مسألة الزواج التى قدم من أجلهـا حتى يبـدى الاب الشيخ اعتراضه وتقره « اود » على ذلك فزيارته قصيرة لاتسمح باستيفاء اجراءات الزواج

ويخرج الجندى ويخلو الاب الى « اود » فيذكر لها انه واثق من ان ابنه لم يكن ليفكر فى الاخطار الكبيرة التى كان معرضاً لها بقدر ما كان يفكر فيها

هي . وفى تلك السعادة الجميلة التى قضت الظروف بحرمانه منها . فتسأله :

ــ وماذا أفعل لـكى اعيش ؟

ــ سأعينك

ــ أتحمينى من الشجن والشقاء ؟

وتتطور المناقشة بين الاثنين . فتذ كر له العروس الشابة ان واجبه نحو ابنه قد انتهى . وان عاطفته نحوه انما هي استمرار آلى لما كان يشعر به عندما كان ابنه لايزال طفلا . أما هى فواجبها لم يكد يبدأ بعد . وعندئذ يقول لها فى تأنيب خفيف :

ــ انه ابنى

فتجيبه بكل روحها :

ــ إنه حياتى

ثم تنبهه الى انه مادام قد حضر فن القحةونـكران الجميل ان يدور الحديث على شيء آخر غيره . وان واجبها الاوحدهو ان تحبه وتذ كره بالضحكةالتى ضحكها عند ما قرأ البرقية الواردة باستدعائه وكيف أن هذه الضحكة الرهيبة قد ارعدتها . وهي تشرح ذلك فتقول إنه يحمل طابع الحرب على شخصيته . ولقد احست هى نفسها بكل هول الحرب عند ما رأت كيف تقلصت عضلات وجهه المحبوب واستحال الى عنف مخيف بمجرد ان نظر الى البرقية

ويلاحظ الاب الشيخ أنها لم تعد تتحدث الا عن خطيبها ، وان ابنـه لا يتحدث الا عنها . ويبدو له انهما يشعران بأنه ليس بين الاحياء سواها . وهو يحس لذلك بغضاضة على نفسه ، ويشعر بشيء من الغيرة اذ يسيطر الشباب هذه السيطرة على منزله . ويتحداه كما كان الظافرون يتحدون خصومهم المغلوبين بالسيوف فيما مضى ! وهو يخشى أن يكون عقبة بين ابنه

وبينها . وتدهش « أود » لذلك وتصارحه بانه جد مخطىء اذ يفكر في ذلك كله ولكنه يقول رغم هذا :

ـــ ما أسعد هؤلاء الشبان ! ان الحرب لم تغير كل شيء ! مهما حدث على الارض فلا يوجد دائما الا مصيبة واحدة . تلك هي الشيخوخة !

ثم يعود الابن في ثياب ملكية ويخرج الاب بعد ان يحاول استصحاب الفتاة معه فيرجو منه ابنه أن يتركها له قليلا ولا يكاد العروسان يختليان حتى تلتمس منه « اود » ان يصفح عنها ، فاذا سألها عن اى شيء تطلب الصفح ، اجابته عن أنها استطاعت العيش بعده . ثم تقول له

ـــ انك تمثل لناظرى كل الامور . انني لا أملك من حطام الدنيا الا التفكير فيك . انه غذاء كياني . ونار نفسي ، وهدف عيني وطابع صوتي ، ومجرى دمي . انه كل شيء ، انه أنا !

ثم تذكره بمنشأ علاقتها به ، وكيف انها طالما زهت وفاخرت بمعرفته وكيف تمنت ان تكون زوجته ، فاذا قال لها :

ـــ ستكونين زوجتي يوما ما

اجابته بعد مجهود كبير :

ـــ كنت اود ان ا كون زوجتك هذه الليلة

فيذكر لها أنه ليس من حق أحد في فرنسا أن يكون سعيداً هذا العام ، وأنه يود أن يدعو كل أصدقائه وزملائه في الجيش الى حضور حفلة زواجه ، ويشعرانهم جميعاً يشخصون اليه ، ويمدون اليه أيديهم الرقيقة سواء منهم الاحياء والاموات

هي ـــ الاموات ؟

هو ـــ أصدقائي الذين استشهدوا والذين لو بقوا لكانوا هنا الآن . أين هم ؟

انني أدعوهم . فلو ظلوا احياء لكانوا الآن في مراكزهم بساحة القتال . ولكنهم ما داموا قد ماتوا ففي مكنتهم الحضور ! انني انتظرهم . سيظهرون . ليحضروا فسوف لا اتمتع بكل بهجتي وسروري بدونهم . انني اناديهم

ثم يبـدأ في مناداة اصدقائه من المحاربين الاموات . الى أن يصل الى اسم صديق تعرفه خطيبته «اود» فيذكرها كيف ان ذلك الصديق قد سقط مضرجاً بدمه في أحد الحصون وكيف انه طلب اليه ان يرفع تمنياته الصادقة اليها . وأن آخر كلماته له وهو يحتضر بين يديه : «كونا سعيدين» وتعجب «اود» بهذه العظمة التي تتجلى في شخصية خطيبها . وتشعر أن نفسها عاجزة عن مجاراته فيها فتقول له :

ـ انني بجانبك أحس في نشوة بعظمتك وفي اضطراب بشقائي .. أنت توقن بأنك عظيم

فيجيبها في حزم وزهو :

ـ اجل

ـ هذا ظاهر ! ان هذه الروح التي لا تتجلى إلا في جبهة القتال جعلتك مختلفاً عنا وأسمى منا ، اننا لا نستطيع أن نفهمك

ثم تطلب اليه ان يرفعها الى مرتبته وان يسمو بها الى درجة البطولة . أن يرفعها الى تلك السماء التي تخضبت بدم الشرف الحربي فيقول لها :

ـ ان من يطلب ذلك بهذه اللهجة فلا شك أنه يحصل عليه

ـ كلا

ـ انك انت تلك البطلة التي ترغبين فيها

ثم يطمئنها بعـد ذلك ويخبرها أن الحرب قد وضعت أوزارها وأنها لن يندلع لهيبها بعد . ويتجاذبان أطراف حديث قصير . ثم يهبط الستار وهما يضحكان

✡ ✡ ✡

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى غرفة العرس التى قضى فيها العروسان ليلتهما . وها يتحدثان عن تلك الليلة فتفهم أن «أود» قد وهبت خطيبها الجندى أعز ماتملك الفتاة العذراء ! وهي تذكر له ان هناك أشياء كثيرة لايزالان يجهلانها ومن بينها ماهو فى منتهى البساطة . وهي تعطى مثلا على ذلك أنها لم تره قط وهو مغمض العينين . ولذا فهى تطلب اليه ان يغمض عينيه . فيفعل . ثم يخبرها أنه قد فهم ماتريده من وراء ذلك فان عينيه المغمضتين تذكرانها بموته ! فتنكر ذلك فى ضعف . ولكنها تعود فتسأله ثانية عما إذا كانت الحرب قد انتهت حقاً كما كان قد أخبرها . وتلح فى سؤالها الحاحاً شديداً وعندئذ يصارحها بان الحرب لم تنته وبانه لايزال أمام النصر النهائى مدة طويلة . وهي تذعر من هذا النبأ . وتلومه على أنه أطاعها وصارحها بالحقيقة، وتخبره بانه ما كان يجب أن يعبأ بالحاح امرأة مفتونة ! وهو يلحظ مبلغ وقع النبأ عليها . وكيف انها احست بشبه خيبة فى حبها له . فسوف تضطر مرة أخرى الى انتظار مدة طويلة . وهي تتوسل اليه ان يبقى إلى جانبها ، ولكنه يجيبها أنه وحده دون باقى زملائه فى الثكنة قد استطاع الحصول على إجازة . وان قائده قد اشترط عليه وجوب العودة بمجرد استدعائه . وها هو قد استدعى . ولابد أن يكون الجيش فى خطر . فقد أخبره قائده أنه لن يستدعيه إلا إذا كان هناك خطر داهم وهو بناء على معلوماته وبعد ورود تلك البرقية أصبح يوقن بأن المعركة الفاصلة ستدور رحاها يوم الاحد القادم ولذا فيجب الرحيل عند الفجر . وهو ينتقل بعد ذلك فيلقى كلامه كما لو كان ينطق بلسان كل جنود الجيش الفرنسى . فيذكر لها كيف يحب أولئك الجنود نساء فرنسا . وكيف يموتون وهم يذكرونهن ويتمثلون ابتساماتهن الساحرة. وتتملكه فجأة نوبة يأس وأسى فيخبرها أن هذه الحرب لا تعدو أن تكون كسابقاتها من الحروب . لا تكاد تضع أوزارها حتى يكتفى

الشعب بأن يلبس الحداد فى استهتار وعدم اكتراث مدة ما . وتلقى بعض الخطب بجانب التماثيل المقامة للشهداء . ثم سرعان ما ينسى كل شيء . ويعود الجميع الى السرور والمرح واللهو والعبث . وهو لا يغار من السعادة التى سوف يفوز بها الذين سيبقون بعد موت أولئك الشهداء ، فهو يعلم أنه يفنى حياته لكى يمهد السعادة للباقين ولكنه يرجو على الاقل أن تحتفظ فرنسا بذكريات أولئك الشهداء ، وهو يربأ بذلك التمثال الذى شادوه من حطام آلامهم واحزانهم أن يدفن فى رمال الاجيال والقرون ، وهو يرى أنه يجب على فرنسا أن تستمر على معرفتهم وأن ترثى لهم ، وتترحم عليهم ! وتنصت « اود » الى قوله فى صمت ثم تؤكد له أن الاموات من جنود الوطن يسمعونه ، فيناديهم بأسمائهم ، ويخبرها أنه قد تبين أصواتهم فقد أجابوه وقالوا له جميعا : « كونوا سعيدين »

ثم تطلب اليه أن يدنو منها وهي تقول له فى لهجة شعرية رائعة أخاذة .

— دع شفتى حتى استطيع أن أحدثك... ضع فك بقربهما تماما. لا. اعطنى إياه . آه ! كم كنت أود أن أتمكن من اعطائك قبلاتى وكلماتى فى آن واحد ! أغمض عينيك كما أغمضهما أنا . أطفىء هذا الضوء الشرير (يطفىء المصباح وعندئذ تظهر على زجاج النافذة بشائر الفجر ، الفجر الفظيع الرهيب الذى تحدد لرحيل الجندى العاشق . ولكنهما لا يزالان مغمضين عيونهما فلا يرياه) اننى اذا كون لك انسى العالم . خذ منى كل ما فى من شباب . اننى أعطيه لك . إنه لك . لك وحدك . لك دائما والى الابد . أنت وحدك الذى سوف يعرف حرارة جسدى إننى أذوب فى حياتك

ثم تتذكر الفجر فتفتح عينيها وتقول وهي مضطربة :

— انظر . ! لا تنظر . ! انه هو . كلا . إنه ليس هو . قل إنه ليس هو . انه ليس الفجر !

فيقف ويحييها فى جرأة وإقدام :

ـــ إنه الفجر

فتمسك به وهو على حافة الفراش وتقول :

ـــ ليس هذا هو الفجر

ـــ لا شك أنه هو !

ويتأثر الجندى الشاب لذلك الحنان العجيب الذى تظهره « اود » فيذهب الى النافذة ويسدل عليها الستائر . وهو يقول :

ـــ انه ليس الفجر ما دمت تريدين ذلك

ـــ وماذا تساوى إرادتى ؟

ـــ ما دمت هنا فهى التى تسود العالم

ـــ اذن فلا تسافر

ـــ حسناً . سأبقى

ثم يطلب اليها أن تنام لتستريح فتبدى له خوفها من أن يغادر المنزل وهي نائمة . فيؤكد لها أنه سيبقى . وتشعر أنها جد سعيدة اذ تراه بجانبها يتحدث اليها وهي فى الفراش . فهذا أبدع من سماع الموسيقى . فالموسيقى تدلل الجسد أما الحديث فهو وحده الذى يدلل الروح.وتلتمس منه أن يقسم لها بأنه لن يتركها فيقسم وعندئذ تتمتم :

ـــ انني سعيدة

وتنقضى فترة ثم يسألها :

ـــ أتنامين ؟

(تجيبه هامسة: « أجل » فيذهب الى النافذة ويزيح الستار . ثم نرى «اود» نائمة فتخونه شجاعته ويقطع الغرفة ذهابا وايابا فى تهيج واضطراب . ويلمس

فها باصبعه ليتأ كد من نومها وهو يتمتم) : « أتنامين ؟ »

فاذا وثق من انها نائمة وضع رأسه على المائدة وأخفاه ثم أخذ يبكى وقد بدأ ضوء الصباح يغمر الغرفة وهو يحاول جهد طاقته ألا يوقظ أود . . ويبكى ويبكى . . مع انه لم يكن يعرف البكاء من قبل !



فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى غرفة أخرى من غرف المنزل اجتمع فيها الاب الشيخ بابنه الجندى وخطيبته اود . وأنت تفهم منذ بداءة الفصل أن الجندى قد عدل عن الوعد الذى قطعه على نفسه أمام خطيبته واعتزم الرحيل من جديد والعودة الى ساحة القتال . وهو يذكر ذلك لوالده ويلفت نظره فى سخرية الى أن هـذا الرحيل سوف يتيح له ــ أى للاب الشيخ ــ الفرصة للاستمتاع بذلك النظام اليومى الذى اعتاده فى حياته مع « اود » . سوف يعود الى تلقى قبلتها فى المساء قبل أن تذهب الى فراشها . والى سماع صرير المفتاح فى باب غرفتها . والى التلذذ بالسكون الفاتر يسود جو المنزل . وأنت تحس بأن الاب الشيخ يحوم حول معرفة ما فعله الشابان فى الليلة الماضية . وهو يرغب فى معرفة ذلك . فهو يذكر انه لم ير ضوءاً فى غرفتهما عند ما أغلق نافذته فى منتصف الساعة الرابعة ويتساءل عن سبب ذلك . وهو يستشف من خلال اجابتهما ما يثيره ويستفزه فهو يهاجم ابنه اذ اجترأ على تلويث فتاة عذراء كانت تحت حمايته هو !

وأنت تحس من طريقة القاء ذلك الشيخ ولهجته أنه يغار من ابنه غيرة لا يكاد هو نفسه يشعر بها . فهى غيرة تشتعل فى عقله الباطن . ويتجاهل أن تلك الفتاة انما هي خطيبة ابنه وحليلته . وهو لا يستطيع أن يضبط غيرته

من الشباب الذى يتمثل فى ابنه وخطيبته . ويشعر الابن الجندى بذلك ويجابه أباه به . وينكر ان للابوة حقا فى أن تتعرض لمثل ما تعرض له أبوه . فلا يمكن أن يحكم على تصرفات جندى الامن عرض حياته للفناء فى ساحة القتال . ويثور الابن فيصارح أباه بأنه انما ينتقده لانه لا يريد أن يحرم من التمتع بذلك النظام الذى اعتاده فى حياته مع « اود » أثناء غيبته فى الحرب . ثم يقول بمنتهى الصراحة :

ـــ إنه مما يضايقك أن أظل حيا !

ويدهش الاب الشيخ لذلك ولكن الابن الجندى يعلل هذا بما سبق من أن أباه يغار منه دون أن يشعر بتلك الغيرة . وهو يحس الآن بأن غيرته قد جرحت بعد الذى علمه مما دار بين الخطيبين فى الليلة الماضية . ويثور الابن على شيوخ العالم ويقول :

ـــ إن الشبان قد اختفوا فى هذه الحرب وعاد الشيوخ الى احتلال مكانتهم كرجال وشبان من جديد

ويتهم والده بأنه يكرهه . وهنا تطلع « اود » والد خطيبها على ما ذكره لها خطيبها من أن الحرب ستطول وأنه أخفى عليهما ذلك . ويدهش الاب لذلك وتخشى «أود» أن يموت خطيبها فى تلك الحرب! وعندئذ يقول الجندى لها:

ـــ اذا مت فانى أمانع فى بقائك هنا ـــ ثم يبدى رغبته فى أن يصطحبها معه الى باريس ، فتمانع فى ذلك ، ويظن الاب الشيخ أنها تمانع من أجله فيشكرها . ويلح الجندى فى ذلك ويطلب اليها أن تختار بينه وبين أبيه ويدور بينها وبين الشيخ هذا الحوار العجيب !

هي ـــ سيرحل ؟

الشيخ ـــ هل طرده أحد !

هى ـــ سيذهب ؟

الشيخ ـ ليذهب

هى ـ سيعود الى وطيس المعركة

الشيخ ـ فليؤد واجبه

هى ـ انه يواجه الموت

الشيخ ـ يتوهمون ذلك دائماً !

وفى تلك الاثناء تكون أود بجانب الشيخ فيظهر عليها الاشمئزاز منه وتتراجع وهى تنظر اليه فى احتقار وازدراء وتقول فى صوت قوى :

ـ انك ترعبنى !

فيصيح الشيخ : « أود ! »

ولكنها تلتفت الى الجندى وتقول : « خذنى ! »

وتصارح الشيخ بأنها تشمئز منه وانها لاتريد البقاء . وتؤكد لخطيبها انها لم تفكر فى أحد غيره . وانها له وحده . تفخر وتزهو بأنها زوجته أو بأنه جعلها زوجته ! ويسألها الشيخ عما اذا كانت لم تشعر بحبه لها أو بحبها له . ولكنه ينتبه الى وجوب التزام الوقار والحكمة ! وتلتفت الى خطيبها فتعاهده بأنه اذا مات مستشهداً فى ساحة القتال فسوف لاتعرف فى الحياة بعده الا ذكراه .. وينصح لها الشيخ ألا ترتبط بمثل ذلك التعهد فتسخر منه وتكرر قسمها بأنها سوف تقنع بذكرى خطيبها الى أن تلحق به . . . فاذا عاد الشيخ الى نصحها غالت فى قسمها وعاهدت خطيبها على أنه اذا مات فستلحق به . ثم يشتد بها الضجر من الجو الذى يحيطها فتطلب الى خطيبها أن يأخذها معه فيتوسل الشيخ الى ابنه قائلا :

ـ اتركها لى

وعندئذ تلتفت اليه وتقول :

ـــ انوجه اليه الكلام !

الشيخ (للجندى) ـــ قل لها أن تبقى . .

وتسخر منه اود فيعترف بأنه وهب قلبه لها للمرة الاولى فى حياته .
فتنبهه إلى انه يجب أن يهبه لابنه وحده . ثم تسأله :

ـــ هل تعرف شيئا عن الحرب ؟

الشيخ ـــ أعرف اليوم للمرة الاولى . .

ثم يعترف بأنه لا يمكن للشخص معرفة الحرب الا بعد أن تدميه وتمزق قلبه . وها هويشعر بقلبه يتمزق ! وعندئذ تشير إلى الجندى قائلة :

ـــ أذن انظر اليه الآن !

الشيخ (بندم) ـــ ياصغيرى المسكين

وتطلب اليه ان يحييه ويستغفره فيتقدم الشيخ الى ابنه ويسأله الصفح وهو يقول :

ـــ ان البطولة أيها الشبان من حقكم الطبيعى . انى أتوسل اليك أن تعفو عما ارتكبته من حطة وضعة . لا أطلب شيئاً آخر . . . سافرا . . انسيانى (لابنه) ولكن لا تسافر قبل أن تقول لى انك عفوت عنى . فهأنا والدك اجثو تحت قدميك . عفوك

فيتأثر الابن الجندى ويعفو عن أبيه ثم يقول :

ـــ انه لشيء جميل أن يكون رجل هرم مثلك بهذا الحنان . . لا تأسف على ما شعرت به من الالم . فاذا تألم الشيخ أصبح شاباً . لا وسيلة غير الالم لكى تقترب منا نحن الشبان

وهذا هو فى الواقع محور القصة كلها فقد وفق المؤلف توفيقا تاما إلى الغرض الذى يرمى اليه . إذ كان واجب الابن الجندى أن يرفع خطيئته ووالده

الى مستوى البطولة وان يسمو بهما الى المثل العليا النبيلة التى وصل اليها حماة الوطن من جنود الجيش الفرنسى أثناء الحرب ... وها هما قد ارتفعا وسمت نفساهما الى السماء ... وها هو الابن يعرض على أود أن تبقى مع والده بعد أن صفح عنه فيأبى الوالد هذه المرة ويرفض . ولكن الابن يلح فيقبل الشيخ فى خجل وحياء أن يحمى زوجة ابنه . ويلتفت الجندى الى خطيبته فيطلب اليها ألا تنفذ ما قالته له من أنها ستلحق به إذا مات فى ساحة القتال فهو لا يريد ذلك . بل هو يتوسل اليها أن تبحث لها بعده عن شاب يكون قد خاض غمار الحرب وأدى واجبه القومى . ويجب عليها ألا تترفع عن حبه إذا بادلها هو الحب

فاذا وصلت شخصيات القصة الثلاث الى هذا الحد من السمو والتطهر اقتربت أود من خطيبها وهي تقول :

ــ أحبك

ويقول الوالد لابنه فى صوت قوى :

ــ ابق حيا

ويظهر الابن الرضى والاطمئنان ويتقدم الى الباب وهو يقول :

ــ حسناً

وتنتهى القصة هكذا

الشيخ ــ عد الينا ناجياً

هي ــ احبك

الشيخ ــ انى فى حاجة الى يدك لكى تغمض عينىَ

هي ــ احبك

الشيخ ــ أريد أن أراك واقفا بجانب فراش موتى

هي ـ أحبك

ويكون الجندى إذ ذاك قد وصل الى الباب فليتفت اليهما ويقول فى لهجة مفعمة بالحب :

ـ كونا سعيدين

ثم يختفى ويسمع صوت الباب الخارجى وهو يغلق ثم صوت العربة وهي تبتعد.وتظهر علامات الاسى على « أود » فتسقط على أحد المقاعد ويشترك الشيخ والشابة فى البكاء والأنين.

الزوجة المبتسمة

عن الكاتبين الفرنسيين أميل وأوبي

ولهذه القصة المسرحية قصة هي الاخرى ! فمؤلفاها دينيس اميل Denys Amiel واندريه أوبي André Obey كاتبان شابان لم يكن قد ظهر لهما قبل هذه القصة شيء يذكر . وكل ما عرف عنهما أنهما كانا قد اشتغلا بكتابة بعض مقالات في النقد المسرحي وقصص قصيرة للمطالعة . واجتمع الاثنان في باريس رغم ان أحدهما من أقصى جنوب فرنسا والآخر من أقصى شمالها ! وكتبا هذه القصة التي الخصها لك والتي تصرفت في ترجمة عنوانها بعض الشيء . اذ أنه في الاصل الفرنسي La Souriante Madame Beudet أي (زوجة بوديه المبتسمة) وحاولا فيها أن يعالجا فكرة (تراجيدية) جديدة، وأن يحللا بضع شخصيات ريفية تحليلا صادقا بطريقة مبتكرة . ثم عرضا القصة على المسارح الباريسية فلم يوفقا قط الى واحد يخرجها لهما . ! واطلع أحد كبار المتصلين بالمسرح الفرنسي على القصة وأعجب بها الاعجاب كله وأحس بأن من الخسارة البالغة أن تدفن تلك التحفة الفنية ولا يتمتع بها النظارة . ولكنه لم يوفق هو الآخر الى اظهارها في باديء الامر ولم يجد طريقة الا نشرها تباعا على صفحات جريدة (الانفورماسيون) ويظهر أن هذا النشر كان سبباً في لفت أنظار أصحاب المسارح التي تهتم باخراج قصص الشبان من الكتاب الفرنسيين ، فظهرت قصة (الزوجة المبتسمة) على المسرح الجديد في ابريل سنة

١٩٢١ وتلقاها النقاد بدعاية واسعة لمؤلفيها الشابين حتى أن الناقد المعروف روبيرده فلير رئيس جماعة المؤلفين المسرحيين إذ ذاك كتب عنها يقول :

« ان المؤلفين فى هذه القصة ذات الفصلين قد أظهرا الريف الفرنسى كله.فالطريقة التى تشعر بها مدام بوديه (بطلة القصة) وتفكر والطريقة التى يعجز بها بوديه بطل القصة عن الشعور والتفكير لاتحصلان الا فى قرية لايتجاوز عدد سكانها ثلاثين الفاً . انتى أهنىء المؤلفين فى حرارة إذ استطاعا أن يظهرا ان فى فرنسا مدناً أخرى غير باريس يتجلى فيها الحب والغيرة والسعادة والشجن ويكون هذا التجلى بشكل آخر يختلف شيئاً ما عن نظيره فى باريس »

وقال الناقد والمؤلف المعروف شارل ميريه :

« هاهي — بدون أدنى تهويش أو دجل — القصة الاولى لاثنين من المؤلفين الشبان قد استطاعا بها أن يصلا فى أول محاولة الى الكمال . ان التوازن الذى فى هذه القصة يدعو الى الاعجاب وهى غنية بالسانيتها وروح الصدق التى تتجلى فيها . وهى غنية أيضا بشىء له أهميته القصوى وهو المنطق »

والواقع أن قصة الزوجة المبتسمة محاولة موفقة للتجديد فى الفن المسرحى وهى جديرة بأن تلخص لك فى هذا الكتاب !

☆ ☆ ☆

نحن فى احدى قرى الريف بفرنسا . وفى منزل أحد تجار الاقمشة والمنسوجات بالجملة يدعى بوديه Beudet وهو رجل فى الخمسين من عمره . مرح ، طيب القلب ، ولكنه شرس فظ ، وعلى شىء من الاثرة وحب السيطرة اللذين هما من خصائص أمثاله من القرويين الذين وفقوا فى حياتهم التجارية وأثروا بعض الشىء . يعيش فى هذا المنزل مع زوجته مدام بوديه . وهى امرأة تدعى مادلين تبلغ من العمر الثامنة والثلاثين . جميلة طويلة القامة .

فيها فتنة وحنان ، ويدل خلقها على نوع من التفكير الحزين الذى هو نتيجة التعلق ببعض المثل العليا فى الحب والعاطفة والعلاقات الزوجية . وأنت تشعر منذ أول محادثة تدور بين الزوجين انهما ليسا على وفاق . وان خلقيهما مختلفان كل الاختلاف . فهو رجل تاجر لايفكر الا فى تجارته ولا يعنى بأن يتلمس ميول زوجته فيرضيها . بل يتكلم حيثما اتفق ويقترح من الاشياء ما يروقه هو لا مايروقها هي ! فهو يحجز مقصورة فى أحد المسارح لمشاهدة فوست مع انه يعلم حق العلم بأن زوجته لاتميل الى سماع موسيقى تلك القصة ، وهو يعلن ذلك ويوجه قارص النقد الى القطع الموسيقية التى تختارها وتعزفها على البيانو

وتقبل فى أثناء حديث الزوجين فتاة تدعى مرجريت Marguerite هى صديقة لمدام بوديه فيطلب اليها بوديه ان تعمل على تغيير اخلاق زوجته اذ هو يرى انها لو استمرت على ذلك فلا بد ان تنتهى حياتهما الزوجية بمأساة . وتلمح مدام بوديه هنا بان تلك الحياة قد بدأت بمأساة ؟ فقد تزوجته منذ اثنى عشر عاما كما تتزوج كل نساء الارياف بدون ان تبحث عما اذا كانت ميول الزوج وعاداته تتفق معها أم لا

وتخلو مدام بوديه الى صديقتها مرجريت فتذكر لها شيئاً عما ينغص عيشها من فعال زوجها. فقد داعب الخادمة جابرييل Gabrielle وهما على المائدة مداعبة خارجة عن حدود الادب واللياقة حتى أن جابرييل لفرط خجلها لم تستطع الا أن تخفى وجهها . وقد جاء منذ برهة يقص عليها تفاصيل تلك المداعبة ليسليها ، وتذكر أيضاً أنه طالما قص عليها وهو يدخن « البيبة » أخبار عشيقاته فى المدرسة والجيش غير ناظر الى ما يمكن أن تتركه تلك التفاصيل فى نفسها من أثر . وهي تنتهى من ذلك الى أنه يفكر تفكيراً يختلف عن تفكيرها . ويفهم الامور فهماً يتباين مع طريقة فهمها لها . ثم تثور فتقرر أن حياتهـا عبارة عن مشهد من قصة

مسرحية ليس فيه شيء من الجمال ولا العظمة ولا الفكاهة ولا الحزن ! وهى تشاهده منذ مدة وترغب الآن فى ان تشاهد شيئا آخر . . ! وتقول :

ـــ لقد حاولت أن أرى بعيني بوديه . ولكن عينيه لا تبصران شيئاً . . . بوديه . . ؟ هيه . يا مرجريت . . بوديه . . ! تقف برهة ثم تستمر فى اشمئزاز وتقزز ! بوديه . . . !

وهنا يعود بوديه فرحا وفى يده رسالة يقرأها فاذا بها من أحد عملائه بلندن يطلب منه « عينة » من الاقمشة . ثم يسهب فى الحديث عن أقمشته ومنسوجاته غير عابىء بما إذا كان هذا الحديث يعنى زوجته وصديقتها أم لا . ويقبل بعد ذلك شخص آخر يدعى لوبا Lebad هو شريك بوديه فى تجارته ومعه زوجته مدام لوبا. فقد دعاها بوديه للذهاب معه الى المسرح لمشاهدة قصة «فوست» ويتحدث الجميع عن سيدة متزوجة يعرفونها ويذكرون أن لها عشيقاً . وأن زوجها قد اتصل به خبر ذلك العشيق . وعندئذ يسأل بوديه عما فعل زوجها بعد ذلك فيجيبه لوبا :

ـــ لا شيء . . ماذا تريده أن يفعل ؟ الطلاق . .

ولكن بوديه لا يقنع بهذا الجواب بل يجلس الى مكتبه ويخرج مسدساً من أحد أدراجه ثم يحرك زناده وهو يقول :

ـــ هذا ما كان يجب أن يفعله

ويضحك الجميع ويشترك معهم بوديه فى الضحك . ويذكر لوبا أنه قابل فى الطريق شاباً يدعى دوزا Dauzat من وكلاء النائب العام وقد دعاه الى مرافقتهم فى مشاهدة « فوست » وانه قادم الآن الى المنزل . ويقترب بوديه من زوجته ثم يطلب اليها أن تسرع فترتدى ثيابها ولكنها تعتذر وتتوسل اليه ألا يلح فهى متعبة . وليس أشد ازعاجا لها من فكرة تلك المقصورة التى يدعوها

اليها . فهى تفضل البقاء فى البيت . ولكن بوديه يعود فيطلب اليها أن تذهب الى غرفتها وترتدى ثيابها وهو يلقى هذا الطلب فى لهجة الامر متسائلا عمن له حق الامر والنهى فى المنزل ؟

وتتدخل مدام لوبا فى الامر وتنبه بوديه الى أنه من حق زوجته أن ترى فى موسيقى (فوست) مالا يروقها . ولــكن بوديه لا يقتنع بذلك فيدق الجرس ليستدعى الخادمة جابرييل حتى إذا ما أقبلت طلب اليها أن تحضر قبعة زوجته ورداءها الخارجي وكل ما يلزمها للخروج . فهو يحتم أن تصحبه الى المسرح لا لسبب سوى أن المبدأ الذى يجب أن يسود هو وجوب اصطحاب الزوجة لزوجها فى الذهاب الى المسرح

ويكون الشاب دوزا قد أقبل إذ ذاك وشعر بما أصاب كرامة مدام بوديه من جرح فيقترب منها و يواسيها فى لهجة غاية فى الرقة ويبدى لها اهتمامه العميق بأمرها ويذكرها أنه قد فهم مأساة حياتها . فهو أيضاً قد عانى وشقى من جراء عجز الآخرين عن فهمه وادراك كنه أخلاقه وميوله

وتقبل الخادمة جابرييل ومعها ملابس سيدتها فيتناولها منها بوديه ويتجه الى زوجته فيضع القبعة على رأسها فى خشونة ووحشية بينما تظهر على مدام لوبا ومرجريت علامات الذعر والرعب . وتكتفى مدام بوديه بأن تنزع قبعتها وتضعها على المائدة التى بجانبها . وينتهى هذا الموقف بان يتفق الجميع على الذهاب الى المسرح وترك مدام بوديه فى البيت ما دامت تريد ذلك ويخرج بوديه ومعه ضيوفه بينما تنظر اليهم مدام بوديه فى ابتسامة هادئة . ويعمد بوديه قبل خروجه الى (البيانو) الخاص بزوجته فيغلقه بالمفتاح دون أن تشعر هي بذلك ويضع المفتاح فى جيبه . . .

فاذا خلت مدام بوديه الى نفسها استولى عليها نوع من التفكير الحزين .

فتعمد الى مرآة صغيرة وتطيل النظر اليها . وتمتحن لون شعرها على صفحة المرآة ولا تكاد تفعل ذلك حتى يبدو على وجهها الذعر فتصرخ وتتراجع الى الوراء وكأنها تنجو بنفسها من خطر هائل وتسير فى الغرفة بضع خطوات ضائعة مضطربة ثم تستدعى جابرييل وتسألها عما اذا كانت قد شاهدت فى رأسها أثناء تسريحها تلك الشعرات البيضاء التى بدأت تشيع فيه ؟ ! ثم تعود الى النظر فى المرآة وهي تقول فى لهجة حزينة بينما ترفع خصلة من شعرها :

— آه ! رباه . . . رباه . . . ! انها كارثة . . . هنا وهناك

ثم تسأل الخادمة اذا كان هذا الشعر الاشيب قد مضى على ظهوره وقت طويل . عام أو أكثر ؟ وتأتى يدها بحركات عدة كأنها تحاول أن تبنى حاجزاً منيعا بينها وبين شيء فظيع آخر . . . ! وتتمتم :

— انتهى . . انها بداية النهاية . . . رباه ما أفظع هذا !

ويتطور الحديث بعد ذلك بين تينك المرأتين . فالخادمة تستأذن سيدتها فى أن تتغيب عن المنزل فى اليوم التالى لان خطيبها قد عاد الى بلدته وهى ترغب فى رؤيته . وتسألها مدام بوديه عن عمر خطيبها فتجيبها أنه سيبلغ الخامسة والعشرين فى شهر مايو وأنها تكاد تكون فى نفس عمره . ثم تسألها عما ينويان عمله عند ما يلتقيان . وعن النزهات الخلوية الشعرية التى سوف ينعمان بها بعد تلك الغيبة الطويلة التى كان فيها ذلك الخطيب المحبوب يؤدى واجبه كجندى فى الاسطول . وتحس انت بمبلغ التأثر الذى يسيطر على أعصاب مدام بوديه وهى تتخيل منظر ذينك الشابين العاشقين وهما يتعانقان ويتحادثان . ويسيران معاً وسط الحقول الخضراء النضرة . ويصل هذا التأثر بها عند ذكر الحب الى حد البكاء فهى تبكى أمام خادمتها ولكنها سعيدة اذ استطاعت أن تجمع بين عاشقين يتحابان . . !

وتخرج الخادمة وتخلو مدام بوديه الى نفسها مرة أخرى فيعاودها البكاء وتشخص الى منظر الربيع الذى يبدو من خلال النافذة وتأخذها نشوة غريبة فتعمد الى (قطعة) من الموسيقى تضعها على (البيانو) وتحاول أن تفتحه وهى تشعر أن تلك الموسيقى ستكون الوسيلة الوحيدة لتهدئة أعصابها الثائرة وارضاء عواطفها ورغباتها ولكن سرعان مايتبين لها أن (البيانو) مغلق بالمفتاح فتثور وتهشم على صورة زوجها المعلقة فى الحائط وقد انفرج وجهه عن ابتسامة وتهدده بقبضة يدها وهى تقول :

ـــ وحش ! آه وحش ! هـذا الرجل آه هذا الرجل . . انى ا كرهه ! (تفكر بكل قوتها ثم تقول بصوت رهيب) ليمت . . ليمت . . (تنظر الى المكتب بسرعة . ثم تتمتم) سوف تقع حادثة . أجل . أجل . حادثة مفجعة (بهدوء). هذا فظيع

ثم تتجه الى المكتب وتضيء المصباح الاخضر وتفتح الدرج وتخرج المسدس ثم تحشوه بالرصاص بعد أن كان خالياً منه وترفعه فى يدها ثم تحركه قليلا كما لو كانت تقوم بتجربة . وتضعه ثانية فى الدرج . ثم تقف منتصبة القامة وتعتمد بيدها على المكتب وهى تشخص الى صورة زوجها من جهة ومنظر الربيع خارج النافذة من الجهة الاخرى وتقول بينما يهبط الستار :

ـــ أتفهم . . . انى أريد أن أعيش .. أريد أن أعيش .. ستكون مأساة . أجل مأساة مفجعة



فاذا كان الفصل الثانى فنحن مازلنا حيث كنا وانما فى اليوم التالى من حوادث الفصل السابق . وقد أقبلت مرجريت وأخذت تذكر لمدام بوديه كيف ان زوجها قد اعتذر أمس عند ذهابهم الى المسرح عما فعله معها . وكيف

نه أبدى أسفه الشديد لذلك . وهى تعيد الى ذاكرة مدام بوديه سيرة تلك الايام الماضية التى كانت تعيش فيها تحت كنف الحب مع بوديه . وتتأثر الزوجة لذلك وكأنها تندم على مافعلته أمس من حشو المسدس ومن التفكير فيما فكرت فيه اذ ذاك من قتل زوجها .

ولا تكاد مرجريت تخرج حتى تسرع مدام بوديه الى المكتب وتبحث عن مفتاح الدرج الذى أودعت فيه المسدس لكى تصلح خطأها وترفع الرصاص منه بعد أن أقنعتها صديقتها بصفاء قلب زوجها ولكنها تسمع اذ ذاك طرقاً على الباب فتضطر الى الابتعاد عن المكتب

ويدخل بوديه بعد قليل وهو يغنى ثم يقبل لوبا ويتحدث الاثنان عن شئونهما التجارية ويسأل بوديه عن الخادمة جابرييل ولا يكاد يعلم أنها متغيبة عن المنزل باذن من زوجته حتى يثور ويحتد فهو يرى انه وحده يجب ان يكون الآمر الناهى وانه لاحق لزوجته فى التصريح بمثل تلك الاجازة ثم يمسك باحدى القطع الموسيقية الموضوعة على البيانو ويسخر من ذوق زوجته فى اختيارها . ولكن لوبا لايقره على ذلك بل يذكر له ان زوجته مدام بوديه امرأة غير عادية . ففى خلقها شىء من التعقيد وهى دائمة الابتسام حتى ان أهل البلدة أطلقوا عليها اسم (الزوجة المبتسمة) ولكن الابتسام ليس معناه الضحك ! فابتسامتها جزء من نظام حياتها . . تبتسم كما تتعطر أو تتزين . ولكنها لاتمرح ولا تمزح فى صدق واخلاص . وينبه لوبا صديقه الى حقيقة أخرى اذ يقول :

— هناك شخصيات مثلك ومثل زوجتى . ومثلى .. لا أهمية لها وليس من الواجب ان تتفاهم معاً . . . ولكن توجد أيضا الى جانبها شخصيات مثل مدام بوديه لها خطورتها وأهميتها لانها . . لانها معقدة بعض الشىء . .

ويذكر لوبا بعد ذلك مالاحظه على الشاب دوزا وكيل النيابة من انه يغازل مدام بوديه . وكيف انه دافع عنها أمس دفاعاً حاراً في رقة وأدب وظرف . . ولا يكاد يخلو بوديه الى نفســه حتى يتهمها بالغباوة والسخف . ثم يأمر باستدعاء زوجته ولا تكاد تحضر حتى تنبهه الى انه اذا كان لديه مايريد أن يفضى به اليها فكان واجباً ان يحضر اليها فى غرفتها لا ان يستدعيها بواسطة الخادمة . وعندئذ تعاود الزوج غطرسته وكبرياؤه فيرفض قبول ذلك المبدأ الذى تشير اليه زوجته . ويصارحها بأنه لن يتساهل معها بعد اليوم . ويلومها فى عنف وقسوة على أنها سمحت للخادمة بالتغيب بدون اذنه فتعده بأنها لن تعود الى ذلك فى المستقبل . ثم يتعمد ان يذكر دوزا ويتهمه بالسخف والغباوة ويكرر ذلك عدة مرات فتقره ولا تعترض عليه . وعندئذ يصيح بها ويتهمها بأنها كاذبة مرائية وانها تريد من صميم قلبها ان تدافع عن دوزا . وانها لم تقره الا لكى تزيل شكوكه وظنونه . ويصارحها بأنه قد فهم كل شيء فهو ليس غبياً ولا غراً . وان لديه الوسيلة التى يثأر بها لشرفه المثلوم . ويمسك بالمسدس ثم يصوبه الى زوجته وهويقول:

— دوزا وانت . . !

وعندئذ تصرخ الزوجة فيضع بوديه المسدس على المكتب ويخيل اليه ان تلك الصرخة التى صدرت من زوجته انما هى دليل قاطع على علاقتها بدوزا . ويقترب منها وهو يقول :

— انى أرى ذلك بوضوح الآن . . لمــاذا ترتعدين ؟ لمــاذا تغيرت هذه السحنة فجأة ، دوزا عشيقك .. انى أعرف ذلك . ألا تريدين الاجابة ؟

فتجيبه وهى منتصبة القامة مستندة الى البيانو :

— ليس لي عشيق . ليس لي عشيق ولم يكن لي عشيق أبداً . . أبداً . . أبداً . . .

ثم تشتد المناقشة بين الزوجين ويتبادلان بعض الكلمات الجارحة . وتعرض عليه وجوب الانفصال عنه . وتصيح به قائلة :

— اتركني . انى أكرهك . انى أكرهك

وعندئذ يمسك بالمسدس ويذكر لها انه سبق أن نبهها الى الطريقة التى يرى ان يعمد اليها عندما تخونه زوجته ويصوب المسدس اليها معتقداً انه لايزال خالياً من الرصاص ويقول :

— لو انك خنتنى لفعلت هكذا

ثم يضغط على الزناد فتنطلق رصاصة منه وتصيب زجاج احدى النوافذ فتحطمه وتحدث فرقعة مخيفة فتصرخ مدام بوديه ويذعر بوديه اذ يظن أن الرصاصة اصابتها فيسرع اليها وقد بدا عليه مبلغ اهتمامه بها . وحنوه عليها . وتسقط الزوجة على أحد المقاعد وقد اخفت وجهها بيديها وعندئذ يقترب منها ويسألها فى حنان :

— أنت ؟ هل أنت التى وضعت الرصاصة ؟ ولكن لم فعلت ذلك ؟ قولى لى سريعاً . . سريعاً

وتنقضى فترة سكون يحاول فيها بوديه أن يهتدى الى السبب الذى حدا بزوجته الى حشو المسدس ولا يتصور قط انها كانت تفكر فى قتله بل يخيل اليه شىء آخر فيقول لها :

— آه ! . . آه .. كنت تريدين أن تنتحرى ! .. أن تنتحرى !

وهنا تزيح الزوجة يديها عن عينيها متأثرة بهذه السذاجة الطاهرة التى تجلت فى خلق زوجها . فيستمر بوديه فى قوله :

— آه . . يازوجتى المسكينة العزيزة

ويتجه اليها يحاول أن يعانقها ولكن الندم يشتد بها اذ ذاك فتلقى بنفسها تحت قدميه وتقول :

— عفواً . . عفواً .. انني امرأة تعسة .. تعسة !

فيجيبها وهو يربت على كتفيها :

— ولكن كلا .. ولكن كلا ياصغيرتي ولكن كلا .. انهضي . (يجلسها) آه . آه ! هل كنت تعسة .. تعسة الى هذا الحد ؟ ولكنني لم أكن اعلم (في صوت منتحب) لم اكن اعلم . . لم أكن استطيع ان افهم كل هذا

ويزول كل ما كان بين الزوجين من نفور . ويشعر بوديه بما كانت تعانيه زوجته من شقاء وعناء . ويذكر انه لم يكن يؤمن بان في الحياة شيئاً اسمه الحب ويشكر لذلك المسدس الشرير تلك النتيجة الجليلة التي أتى بها ويتعانق الزوجان . وتنتهي القصة هكذا :

مدام بوديه — (جاثية على ركبتيها) آه عفواً يابول . . . أنت طيب . . . أنت طيب . . . لم أكن اعلم انك بهذه الطيبة

بوديه (ينهضها ويقول باكياً وقد استولى عليه الخجل) — ولكن . . كلا .. انت تبالغين .. انني شخص ككل الناس . . شخص .. ككل الناس الآخرين

الثعلب الازرق

عن الكاتب المجرى فرنسوا ارزيج

وأنا أعيد هنا ماسبق أن قلته من انى ارمى عن طريق هذه الملخصات إلى إعطاء القراء فكرة عن المسرح فى امم العالم المختلفة وعن كتاب المسرح فى تلك الامم مهما تباعدت وتباينت ثقافتها وألوان تفكيرها . ولست اشك فى ان القراء لايعلمون الكثير عن المسرح المجرى ! فلم يتعود مترجمونابعد أن ينقلوا شيئاً عن كتاب المجر ولقد عثرت على هذه القصة « الثعلب الازرق » Le Renard Bleu وهى لمؤلف مجرى له قدره وقيمته فى بلاده وخارجها هو فرنسوا أرزيج François Herczeg وقرأتها فراقتنى كثيراً . رغم ماأدخله عليها الكاتب الفرنسى رينيه سونييه René Sounier عند ما اقتبسها للمسرح الفرنسى . اذ أنه لم يقتصر على ترجمة القصة من أصلها المجرى ترجمة حرفية امينة كما يجب أن يفعل كل مترجم . بل عمد إلى (اقتباس) القصة وتغيير جوها المجرى إلى فرنسا . واستدعى ذلك الاقتباس طبعاً تغييراً آخر فى (نفسية) الشخصيات وطريقة تلوينها ونحتها . وهذا الاقتباس فى رأيى إجرام فى حق المؤلف . فالعمل الفنى يجب إذا نقل إلى لغة أخرى أن يبقى كما هو ويكفيه انتقاصاً أنه سيفقد روعته بتغيير اللغة التى كتب بها . أما تغيير أسماء الاشخاص والاماكن مع المحافظة على فكرة القصة وجوهرها فأمر كنا نعيبه على كتابنا فى بدء نهضتنا المسرحية عند ما كانوا يقتبسون قصص دوما وسودرمان ،

واوسكار وايلد ولا يتحرجون عن اعطائنا مواضيع أولئك النوابغ تحت ستار من أسماء محمد وعيوشه . . . !

قصة «الثعلب الازرق» اذن قصة مسرحية وفق مؤلفها المجرى غاية التوفيق فى كتابتها . ولقد ظهرت فى بلاده منذ خمسة عشر عاماً وترجمت الى معظم لغات العالم فلاقت نجاحاً باهراً يتفق مع مكانة فرنسوا ارزيج فى عالم الادب والسياسة الى أن اقتبسها رينيه سونييه وظهرت على مسرح (بوتينير) فى مايو سنة١٩٢٨ فقابلها النقاد فى فرنسا بالاعجاب والتقدير . ولو أنهم ـ كعادتهم مع كل مؤلف أجنبي يظهرله عمل ناجح فى باريس ـ لم ينسوا أن يغمزوا فرنسوا أرزيج بأنه متأثر بفن الكاتب الفرنسى هنرى بيك . وخاصة بقصته (الباريسية) !



فرنسوا دوجلى François Dugley عالم من علماء الاحياء المائية يبلغ من العمر الاربعين ويعيش مع زوجته سيسيل Cécile التى تبلغ من العمر السابعة والثلاثين فى منزل ريفى بديع بناحية سان كلو القريبة من باريس . وفرنسوا رجل طيب القلب ، وديع حسن الظن بالناس يهتم اثناء اقامته فى ذلك المنزل الريفى بوضع كتاب عن العلم الذى تخصص فيه وظهرت له فيه ابحاث قيمة ، وهو يفاوض بعض الرسامين المعروفين فى رسم الصور اللازمة لذلك الكتاب الذى ينتظر له مؤلفه الكبير ضجة فى الاوساط العلمية

وأنت تعلم الكثير عن حياة فرنسوا اذا سمعت حديثه مع العاملة التى تكتب ابحاثه ومقالاته على الآلة الكاتبة وهى فتاة فى التاسعة عشرة من عمرها تدعى بوليت Paulette رشيقة لعوب.لها ولعهى الاخرى بالابحاث العلمية التى يهتم بها استاذها فرنسوا كما تعلم أن سيسيل زوجة العالم لاتتفق مع زوجها فى ميوله ومشاربه . ولا تطيق أن تجلس الى المكتب ساعات طويلة لكى

تهتدى الى حل موفق لمسألة علمية . وهى تفضل النزول الى باريس والمرور على محال بيع الفراء لكى تهتدى الى فراء ثعلب ازرق من النوع النادر تتزين به وتزهو على غيرها من النساء . وهما يتحدثان أيضاً عن شخص يدعى ريالتو Rialto كان صديقاً للاسرة ثم بدا من سيسيل ماجعله ينسحب ولا يجرؤ على التردد على المنزل بعد ذلك . وتفهم من خلال الحديث أن ريالتو هذا كانت له حظوة خاصة لدى ربة البيت . وأن نفس فرنسوا تنتابه الشكوك مما كان بينها وبين ذلك الصديق القديم ولكنه لا يستطيع أن يجزم بشيء .

وفيما هما يتحدثان يقبل جان دى فيلير Jean de Villiers وهو شاب موسيقى فى الثامنة والثلاثين لاتلبث أن تتبين سريعاً مبلغ صداقته لفرنسوا وزوجته . فهو صديق الاسرة الحميم الذى يترك له مقعد خاص ينتظره حتى يقبل . وهو يسرد على رب البيت أخبار رحلته التى قام بها فى انحاء سويسرا وعاد منها أخيراً دون أن يخطر أحداً بموعد عودته . كما انه يذكر رغبته فى شراء تلك السيارة الحمراء الرشيقة التى يملكها ريالتو ولكنه يسر الى صديقه فرنسوا خبرا غريباً . . ذلك أنه اثناء مجيئه رأى سيارة ريالتو بقرب شارع ادوارد الثالث ولمح داخلها ساقى امرأة تلبس حذاء بلون معين يصفه له ! وهو واثق من أن ريالتو كان يقضى ساعة سعيدة مع تلك المرأة .

ويجلس جان الى البيانو ويعزف قطعة للموسيقى المعروف جريج وتدخل سيسيل اذ ذاك ولا تكاد ترى جان جالساً الى البيانو حتى تشير الى زوجها بألا ينبهه ثم تخطو الى حيث تقف خلفه فتلحظ أنت أنها تلبس حذاء من نفس النوع واللون الذى ذكره جان عن المرأة التى رآها فى سيارة ريالتو !

وتبدأ سيسيل فى انشاد الشعر الذى يتسق مع الموسيقى التى يعزفها جان . ولا يكاد الاخير ينتهى من عزفه حتى يقف ويحيى سيسيل تحية حارة . دون أن

يلحظ فى بادىء الامر لون الحذاء والجورب ولكنه لايلبث أن يكتشف ذلك حتى يبدو عليه الحزن الشديد ويذكر بعد قليـل رغبته فى السفر والرحيل فهو يريد أن يعود الى الرحلة التى لم يكد ينتهى منها ! وتلحظ سيسيل التغير الذى طرأ على جان وتكاد تحس بأن سبب ذلك العزم الذى أعلنه انما يرجع اليها ! وتشعر أنت بما بين ذينك الاثنين من علاقة . . فجان وسيسيل متحابان يلعبان دوراً فى غاية الخطورة . . . . وهى تخشى افتضاح أمرها أمام زوجها . فتوهم ذلك الزوج بأنها تتكلم عن عشيقة لجان تدعى لولو Lulu ولوانها فى الواقع تقصد الكلام عن نفسها ..

وتتهم جان بانه يريد الرحيل لانه شك فى عشيقته ولكنها تطلب اليه أن يتريث فمن الظلم أن يرحل دون ان يتثبت من قيمة ذلك الشك ودون أن يطلب الى تلك العشيقة ايضاحاً وبياناً . . فاذا قال لها جان :

ــ مادام لي عينان فانى ألاحظ وأرى ...

سألته :

ــ ماذا ترى ؟

فيجيبها :

ــ الوحل . . . إن الوحل شيء تمكن رؤيته بسهولة . إنه كلوثة فى ثوب جميل .. فقد لاتنتبه العين الى الثوب ولـكنها ترى اللوثة !

ويدق جرس التليفون فيخرج فرنسوا للرد عليه وتخلو سيسيل الى جان وعندئذ يتهمها بانها كانت تلهو مع عشيقها فى تلك الجهة التى رآها فيها بذلك الحذاء الملون وذلك الجورب ! وتدعى هى بانها كانت فى تلك الجهة للبحث عن فراء الثعلب الازرق الذى طالما بحثت عنه . ولـكنه يسخر من ذلك ويجيبها بان مثيلاتها من النساء يتعمدن أن يكون مكان لقائهن بالعشاق فى جهة قريبة من طبيب الاسنان أو خياطة الثياب أو تاجر الفراء !

ويصر جان على عزمه الذى سبق أن أعلنه من الرحيل بعيداً عن فرنسا. فقد هوت سيسيل بالمثل الأعلى الذى طالما اعتز به الى الحضيض ولوثت حياته بتلك الخيانة! ويقبل فرنسوا فيدعو صديقه جان الى الغداء فى اليوم التالي ويترك له الحق فى دعوة من يشاء وعندئذ يبدى جان رغبته فى دعوة ... ريالتو!

ولا يكاد جان يغادر المنزل ويخلو فرنسوا الى زوجته حتى يسألها عن سر ذلك التطور الغريب الذى طرأ على خلق صديقهما وعما اذا كانت عشيقته قد خانته حقاً؟ فتجيبه بان هذا الامر لا أهمية له. فمن المستحيل أن يتثبت الرجل من خيانة المرأة التى يحبها. وينتهى الفصل بهذا الحوار:

فرنسوا — إذن فماهو الامر المهم فى رأيك؟

سيسيل — المهم هو ان يعتقد بانها خانته ... أما الباقى ...

فرنسوا — هذا حسن ... (يمسك سيسيل فى حركة زوجية آلية ويتجه بها الى غرفة المائدة) لم لا يتزوج؟ أترين ياسيسيل. انما حياة الاعزب مستنقع قذر!



فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى اليوم التالي حيث كنا. وقد أقيمت مأدبة الغداء التى أعدها فرنسوا لصديقيه جان وريالتو. وتخلو سيسيل قبل المأدبة الى جان فتشكو له حزنها مما أبداه نحوها فى الأمس. وهى تقر بانها فى هذه الشكوى تمتهن كرامتها وتدوس عزتها، ولكنها تؤكد بانه كان قاسياً جد القسوة. وتشير الى أنه مع التسليم بانها كانت فى شارع ادوارد الثالث لغرض دنىء. وأنها امرأة مجرمة خائنة. الا أنه لا يملك محاسبتها على ذلك لأنها ليست زوجته ولا عشيقته. إذ هو لم يرد فى يوم من الايام أن يكون عشيقاً لها. ولم يحب فيها إلا الصديقة فحسب. ولم يكن بالنسبة لها إلا الصديق..

والصديق فقط . وهى تعترف له بانها الى الامس لم تكن تقدر معنى تلك الكلمة الصغيرة .. الصداقة . ويسرع جان عند ما يلحظ مبلغ الحنان والدعة فى لهجتها فيجابهها بانها لن توفق الى التأثير فيه عن هذا الطريق . . وأنه يأسف اذ يصر على ما سبق ان أبداه كل الاصرار . فتقول له :

— كم هو مؤلم يا إلهى . كم هو مؤلم ، إنكم أيها الرجال لاتفكرون أبداً برءوسكم الخاصة وانما تفكرون دائماً برءوس أجدادكم

وعندئذ يجيبها :

— إذا كنت قد فكرت برأس جدتك لماذا ذهبت إلى شارع ادوارد الثالث !

وتعود سيسيل بعد ذلك فتتوسل اليه أن يرثى لها ويشفق عليها وما دامت قد خطت هى الخطوة الاولى نحوه فعليه أن يخطو نحوها خطوة أخرى . فمن القسوة أن يتركها هكذا وحيدة . ولكنه لايعبأ بها ويلهو بالنظر الى كتاب أمامه ..

ويقبل ريالتو بعد قليل . . ويعمد جان بكل الطرق الى اثارة سيسيل والثأر منها . فيتحدث عن مغامرات ريالتو مع النساء . وعن ماضيه المفعم بذكريات الغرام والحب . ويسايره ريالتو فى هذا الحديث فيعترف بانه يحتفظ لديه بمجموعة من شعر النساء اللاتى عرفهن فى صباه . كما يجمع الا خرون طوابع البريد ! وتحاول سيسيل أن تظهر التجلد وعدم الا كتراث بكل مافى طاقتها . ولكنها لاتكاد تطمئن الى أن زوجها قد غادر الغرفة حتى تطلب الى ريالتو أمام جان ان يخرج من منزلها فاذا سألها عن الداعى الى ذلك الطرد الشائن أجابته بأنها لاتريد أن ترى وجهه بعد !

فاذا خرج ريالتو وخلا جان الى سيسيل أخبرها بأنه قد أدى واجبه ولم يبق عليه الا الرحيل فتحاول استبقاءه مرة أخرى وتصارحه بأنه اذا رحل

فهى لاتدرى ماسوف يكون مصيرها ولاتعرف ماستقول لفرنسوا ؟

ويدخل فرنسوا اذ ذاك ويسأل جان عن سر مايحدث حوله من الامور وعندئذ تثور سيسيل وتعترف لهباتها خانته ويدهش جان لتلك المفاجأة الغريبة ويحاول الخروج ولـكنها تستوقفه وتقول له :

— معذرة ياسيدى . معذرة . . لقد كنت تريد فاجعة . أو مأساة . . . حسناً .. هاهى المأساة . . لقد نجحت ! ولـكن بقى البحث عن المؤلف .. ولا تحاول أن تختبىء بل اظهر نفسك وتقدم !

ثم تغادر سيسيل الغرفة لتستحضر الاشياء الضرورية التى ستأخذها معها . ويقرر جان أمام صديقه فرنسوا بان زوجته تخونه مع ريالتو . وعندئذ يبدأ فرنسوا بتوجيه اللوم الى صديقه على اهماله فى ملاحظتها فاذا اعترض عليه بأنه ليس زوجها اجابة بانه من أجل انه زوجها لم يكن فى استطاعته مراقبتهما مراقبة فعالة . فالزوج الشقي هو دائماً آخر من يعلم بخيانة زوجته ! ويفكر فرنسوا اذ ذاك فى طلب مبارزة ريالتو ولـكنه يعترف فى نفس الوقت بان زواجه من سيسيل لم يكن زواجاً صحيحاً صادقا . وانما كان نوعاً من سوء التفاهم أصبح شرعياً باقرار العمدة لعقد الزواج ! وأنه كان يختلف فى ميوله ومشربه اختلافاً تاما عن زوجته . اذ كان يشتغل عنها بابحاثه العلمية وكتبه ودراساته .. ويشتد التأثر بالزوج ويشبه زوجته الخاطئة بالثعلب الازرق الذى طالما بحثت عن فرائه ! فذلك الحيوان يعدو على مخالبه الصغيرة فى ثلج القطب من هنا الى هناك بلا هدنة ولا راحة تحت الشمس السـاطعة وفى نصف الليل وينتقل من ثلاجة الى أخرى بدون أن يؤاتيه التعب أو الاجهاد . ولا غاية له الا البحث عن مأوى صغير فى صخرة نائتة يطمئن اليها فتريحه من عناء البحث الطويل الشاق . . ! ويدلى فرنسوا الى صديقه بشىء آخر . ذلك انه لم يكن

يظن بأن المأوى الذى طالما بحثت عنه سيسيل سيكون عند ريالتو .. وانما كان يظن بأنه سيكون عنده .. أي عند جان !

وتعود سيسيل وقد ارتدت قفازهاوقبعتها . وتلح فى وجوب ايقاع الطلاق ويعرض عليها فرنسوا أن يرافقها جان الى باريس ولـكنها تجيبه بأنها مادامت قد اعتزمت الطلاق فهى لاترجو الا ان يرافقها صديق شريف الى منزل عمتها .. ولن تجد ذلك الصديق الشريف الا فى شخصه هو . . أى فى شخص فرنسوا نفسه ! ويقبل فرنسوا وتقول سيسيل لجان :

ــ هل أنت مسرور ؟ لقد أردت أن تسىء الى ولـكنك أنت الذى تشقى وتتألم الآن !

ويخفض جان رأسه دون أن يجيب وتطلب سيسيل الى فرنسوا ان يرسل اليها فراء الثعلب الازرق عندما يصل من التاجر ويبدو على فرنسوا أنه سعيد بتخلصه من تلك الحياة الزوجية التى كانت قائمة على الخداع وتدخل بوليت العاملة وهى لاتدرى شيئاً مما حدث وتقول :

ــ لقد أعد الطعام ياسيدتى !

☆ ☆ ☆

فاذا كان الفصل الاخير فقد انقضى عام على تلك الحوادث التى رأيناها . وأصبحت بوليت العاملة زوجة للعالم فرنسوا دوجلى وربة بيته . وتفهم من حديث يدور بين الزوجين ان سيسيل قد ارسلت الى مطلقها تطلب اليه زيادة مبلغ النفقة الذى يدفعه لها . ويقبل جان صديق فرنسوا فيعرض عليه الرسالة التى وصلته من سيسيل ويخبره بانه على استعداد لزيادة تلك النفقة وانما على شرط أن توقع هى الاخرى على تعهد كتب هو صيغته . ويطلب الى جان ان يتدخل للحصول على ذلك التعهد منها . فيرفض فى بادىء الامر ولـكنه يقبل

بعد الحاح فرنسوا . ولا يكاد يخلو جان بنفسه حتى يجلس الى البيانو ويعزف نفس موسيقى جريج التى عزفها فى الفصل الاول . وتدخل سيسيل اذ ذاك وتتقدم الى أن تقف خلفه وتنشد الشعر الذى يتسق مع تلك الموسيقى كما فعلت فى الفصل الاول تماماً . فاذا انتهى من عزفه قام لتحية سيسيل وعندئذ تعلم من حديثه معها انه كان فى رحلة طويلة لم يعد منها الا اخيراً . . وان فرنسوا يزوره للمرة الاولى بعد تلك الرحلة . ثم يعرض عليها التعهد الذى كتبه مطلقها ويطلب اليها التوقيع عليه . فاذا به يحتوى على تعهد بان تسير سيرة حسنة شريفة . وتقبل سيسيل التوقيع وتخرج بعد ان تودع جان وتخبره انها مرتبطة بموعد هام لتناول الشاى . ويتنبه جان الى انها نسيت قفازها فيتناوله ويرفعه سريعاً الى شفتيه . وتعود سيسيل في تلك اللحظة وترى قفازها عند شفتى جان ! وعندئذ تطلب اليه أن يعيد اليها التعهد الذى وقعته منذ لحظة فاذا تناولته اخذت فى تمزيقه . واخبرته انها اصبحت فى غير حاجة الى مال فرنسوا . فعندها الآن مايكفيها ! وتدلي اليه بخبر غريب . ذلك انها سوف تتزوج . وان هذا الزوج يعرف حكاية شارع ادوارد الثالث . ولا يعرف ألاها ! وربما كان من اجل تلك الحكاية ذاتها انه يريد التزوج بها !

وهى تتحدث اليه بعد ذلك فى لهجة شعرية رائعة غريبة كنت اريد ان اترجمها لك حرفياً . فهى تطلب اليه اذا ماتم زواجها ان يعود الى التردد على منزلها كما كان يفعل وان يكون صديق الاسرة الحميم . وهى تقول له :

— جان . . اجلس هناك . فى مقعدك . . اننا احياء . احرار . كما كنا . . انى ربة البيت . . . وأنت صديقي . صديقي الطيب ياجان . . وفرنسوا كعادته مسجون فى مكتبته . نحن وحدنا . أعطنى سيجارة . . سوف نتحدث . . بقلب مفتوح وسوف نكون مخلصين . . اننا اشباح !

وهى تعود فتذكر له انها ظلت خمسة اعوام تخلص له وتحبه وتنى له غاية

الوفاء . وأنها وهبته كل شيء الا . . جسمها ! وانهـا كانت تعيش مع زوجها عيشة غريبة شاذة . فكانت تقول لنفسها اذا نزل بعد قضاء السهرة عندهم . . ان زوجي وصديقي قد تبادلا مكانيهما .. فهاهو زوجي قد نزل وها هو صديقي فرنسوا بجانبي .. ! فاذا سألها جان :

— لماذا خنت فرنسوا ؟

أجابته :

— فرنسوا ؟ ولـكن مادخل هـذا الرجل الطيب هنا ؟ اذا كنت قد خنت احداً فهو انت : واذا كان هناك من يستحق الخيانة فهو انت ايضاً

ثم تشخص اليه وتضحك لتخفي دموعها وتؤ كد له انها شريفة وانهـا لو أرادت لاستغلت الموقف الذى بلغ به فيـه التأثر مبلغاً شديداً . وأخذت منه كل ما تريد . ولـكنها تأبى وتنادى صائحة :

— ريالتو ! ريالتو !

ويدهش جان لذلك النداء فهو يعلم ان ريالتو فى اميركا . وهى تجيبه على ذلك بأنها تنادى شخصاً وهمياً لا أثر له من الحقيقة الا فى مخيلته !

ويفهم جان ماترمى اليه ، ويبدأ فى تبين مبلغ مغالاته فى اتهامها . فلم يكن لديه فى وقت ما أدلة كافية تثبت ذلك الاتهام . وهى تذكر له اذ ذاك أن ذلك الزوج الذى اخبرته به انمـا هو . . هو شخصياً ! هو جان ! وهى تسأله :

— هل تظن أننى فكرت يوماً ما فى شخص غيرك ؟

وتدخل بوليت اذ ذاك يتبعها فرنسوا . وتدهش الاولى عند ماترى سيسيل وتقول مترددة :

— أسعدت صباحا يامدام . . مدام . . وعنـدئذ تخرجها سيسيل من ترددها بقولها :

— انتظرى بضعة ايام وعندئذ تستطيعين أن تقولى مدام ده فيلير

ويبدو الاطمئنان على فرنسوا لتلك النتيجة ويقول :

— حسناً . . لقد استغرقتما وقتاً طويلا حتى انتهيتما الى هذا القرار !

ويهبط الستار على ابتسامة تشمل الجميع ويبدو على فرنسوا وسيسيل بالارتياح التام وكأنهما يحسان بأن الامور قد انتهت الى مجراها الطبيعى المعتاد !

النفور

عن الكاتب الفرنسي شارل فيلدراك

هي قصة حديثة جداً فقد ظهرت للمرة الأولى فى ديسمبر عام ١٩٣٠ على مسرح الكوميدى فرانسيز . ومؤلفها شارل فيلدراك Charles Vildrac من المؤلفين الشبان . فقد سبق أن ظهرت له قصتان ناجحتان على المسارح الفرنسية . كانتا تبشران بمستقبل فني باهر . فلما مثلت (النفور) La Brouille تحققت تلك النبوءة وهلل النقاد جميعاً للقصة الجديدة . واعتبروها فتحاً جديداً فى الأدب المسرحى

والواقع أن هـذه القصة التى ألخصها لك تنحو نحواً جـديداً فى تصوير الحياة تصويراً واقعياً دقيقاً إلى أقصى حدود الدقة الصادقة المعبرة . ولم يعمد المؤلف فيها إلى بحث مشكلة اجتماعية . أو فـكرة علمية . كما أنه لم يضع فيها مشهداً واحداً فيه شيء من العنف المسرحى أو (الصنعة) الشعبية التى يعمد اليها الـكثيرون غيره حتى من مؤلفى القصة التحليلية الحديثة . . . لم يفعل شيئاً من ذلك قط بل اقتصر على أن يبنى قصته حول نقطة واحـدة تتلخص فى نشوب نفور بين صديقين قديمين لسبب ما . وتطور هذا النفور . والطريقة الطبيعية العادية لزواله واعادة علاقات الصداقة بينهما كما كانت . وانا اوقن اليقين كله بان هـذه النقطة ــ التى قد تبدو للقارىء بسيطة واهنة ــ كلفت مؤلفهـا عناء ومؤونة قد لا يتكلفهما لو انه تعرض لموضوع معقد آخر

متشعب النواحي . . . فقد وفق كل التوفيق فى تصوير التفاصيل الصغيرة التى سبقت ذلك النفور والتى كانت سبباً فيه والتى ساعدت على إزالته . وفى تحليل شخصية الصديقين وموقف زوجتيهما منهما عند قيام النفور وبعده . وكان فى هذا كله مثال الفنان النابغة الموفق . .

وكنت اود أن الخص لك بعض آراء النقاد فى هذه القصة الحديثةولكنى اكتفى بان أقول بان مجلة « كوميديا » ذكرت عنها أنها قصة جديرة حقاً بالكوميدى فرانسيز وانها من الاعمال الفنية التى كتب لها الدوام والبقاء . وذكرت جريدة « الانفور ماسيون » ان ظهور (النفور) يطمئن أولئك الذين اشتد بهم القلق على مستقبل المسرح من منافسة السينما الناطقة وذكرت جريدة « الديبا » أن اللذة التى نشعر بها عندما نشاهد هذه القصة ناتجة من اننا نشاهد فيها الحياة فى مرآة !



نحن فى منزل هنري دوما Henri Dumas وهو رجل فى السادسة والاربعين من عمره يعيش مع زوجته جان Jeanne وابنته سيلفيت فى ذلك المنزل . وهو يقوم بادارة المقاولات الكبيرة وانتهاز بعض الصفقات التجارية التى تعود عليه بالربح الوفير ويتصل من أجل ذلك بكثيرين من كبار رجال الدولة واعضاء الهيئات السياسية لكى يتوصل عن طريق مساعدتهم له الى تحقيق اغراضه . ولذا تراه يستقبل اليوم فى منزله أحد اعضاء مجلس النواب واسمه بوردان لاكوت Bourdin-Lacotte ويقدمه الى صديق من اصدقائه المخلصين يدعى جبريل بان Gabriel Pain وهو مهندس معمارى معروف قام بتصميم كثير من المنشآت والدور الكبيرة . ولكنك تشعر منذ اللحظة الاولى بأن (بان) صديق رب البيت غير مرتاح الى معرفة النائب بوردان ولذا لايكاد هذا النائب يغادر البيت

حتى يتوجه (بان) باللوم الى صديقه دوما . ويبدى دهشته من أن يسمح دوما لمثل ذلك النائب الملوث بان يتردد على داره

وهو يذكر أن صديقه كان منذ عشرة أعوام يشاطره هذا الرأى فى الناس وفى وجوب الابتعاد عمن تحوم الشبهات والريب حوله ولـكنه الآن بعد ان أصبح يضارب وينجح فى صفقاته التجارية تغيرت آراؤه ولم يعـد يتورع عن استقبال شخص كبوردان سبق ان اتهم بأن له ضلعاً فى إحدى القضايا الفاضحة وتشترك جان زوجة دوما فى هذه المناقشة فتنبه (بان) الى انه بات ضيق الصدر وأن غروره واعتداده بنفسه أصبحا لايطاقان ، ويذكر له دوما أنه — أى بان — يعرف أشخاصاً لايزيدون شرفاً عن ذلك النائب ، ويعينهم له بأسمائهم وعندئذ يشير (بان) من طرف خفى بأنه ليس هنـاك مايرغمه على مداهنة أولئك الاشخاص فهو يعيش من مهنته . وهنا تحس بأن دوما قد جرحته تلك العبارة فهو يعلق عليها بقوله :

— بينما أنا ليست لى مهنة ! أليس كذلك ؟ — فيجيبه الآخر :

— أجل . انت لامهنة لك ولـكن لك ذكاءك . انت تشترى وتبيع الاراضى والدور الـكبيرة والسندات من كل نوع !

وتفهم بعد ذلك السر فى تلك الثورة التى ثارها (بان) . فقد علم ان دوما ينوى أن ينال تصريحاً ببناء ملهى كبير وانه قد استدعى (بان) ليوهم النائب بأنه قد اتفق مع المهندس نهائيا على بناء الملهى . وان ذلك المهندس هو صديقه (بان) .. وهذا الاخير يأبى أن يتخذه دوما — مهما كانت الصداقة بينهما — مطية لتحقيق مآربه وأغراضه . فهو يرى فى ذلك مساساً بكرامته وعزته ، وهو يعتقد بأنه كان واجباً على دوما ان يخطره بالغرض الذى استدعاه وقدمه الى النائب من أجله قبل أن يفاجئه به . ويجيب دوما بأنه يؤدى خدمة الى صديقه المهندس فلا شك أن نجاح مشروع ذلك الملهى سوف

يعود على (بان) بالخير . وهو يحس بقسوة الملاحظة التى أبداها صديقه منذ لحظة عن افتقاره الى مهنة معينة يمتهنها ويزهو بها فيقول :

— انني آسف اذ يفكر رجل لامهنة له . صعلوك . حشرة من الحشرات التى تدب فى المجتمع مثلى فى أن يسدى خدمة ما الى رجل منتج مبتكر كجبريل بان . . هذا هو الذى يثيره ضدى !

بان — أنا ؟

دوما — أجل . . ان هذا هو الذى لاتريد ان تغتفره لى

بان — انك تريد تغيير الموضوع فى نذالة وانت لاتعلم ماتقوله

دوما — انني امس صميم الموضوع

بان — انك تعاملنى منذ مدة معاملة تذكرنى بما أنا مدين به اليك

ويتطور الحديث بينهما على هذا الشكل ، فبان يرى أن معاملة صديقه له ناجمة من انه يدينه فى مبلغ . ودوما ينكر ذلك ويؤكد انه لم يفكر فى اسداء الخدمة الى صديقه لكى يذله أو يخضعه له . ولكن بان يجيب على ذلك بقوله :

— على الرغم منك ياهنرى . على الرغم منك أرى انك تتدخل فى شئونى بشكل ما كان يحدث لو أننى لم ا كن مديناً لك

وتشترك والدة دوما فى المناقشة فتذكر أنه اذا كان ابنها يساعد (بان) على ايجاد عمل له فانما يرمى بذلك إلى تسهيل السبيل له لكى يفى بما عليه — فيتجه اليها بان ويقول :

— إننى أفهم ذلك ياسيدتى . . افهمه جيداً . وأنا لاأريد أن يعيننى على الوفاء بدينى !

وهو يصر على ذلك ولا يرغب فى ان يتضاعف دينه بهذه الوسيلة . ولا يقبل أن يكون هذا الدين سبباً فى اندماجه فى اوساط لايميل اليها . ويشوردوما

اذ ذاك فيعلن (بان) بانه قد عدل نهائياً عن الاشتراك معه فى أى مشروع ـ وليذهب بعد ذلك لبناء زرائب الأرانب فى الضواحى كما كان يفعل اوتشعر جان بقسوة ذلك التعبير الذى لجأ اليه زوجها فتصيح به فى لهجة لوم :

ـــ هنرى !

ولـــكنه يستمر قائلا وكأنه لم يسمعها ـ وعندئذ سوف يعينك ذلك على سداد مالى الذى تشمئز منه

فيتجه (بان) الى الباب وهو يقول :

ـــ أجل . إننى اشمئز من مالك . . . وها أنا أخرج من بيتك

وهنا يشترك فى المناقشة شخصان آخران لم أ كن قد قدمتهما اليـــك بعد . هما اندريه بن بان . وهو شاب فى السادسة والعشرين من عمره . وسيلفيتSylvette ابنة دوما وهى شابة فى التاسعة عشرة من عمرها . وهما خاضعان لما يخضع له الشبان فى سنهما من عاطفة متبادلة متحابان منذ مدة وقد اتفقت الاسرتان على زواجهما ، يشترك هذان الشبان فى المناقشة عند مايريان أن مصلحتهما مهددة بالخطر من جراء هذا النفور الذى نشب بين والديهما واشتد بتلك السرعة . . ويرجو كل منهما أباه بأن يهدأ . ولـــكن (بان) يكون إذ ذاك قد خرج بدون أن يستبقيه صديقه رب البيت . وتلتفت سيلفيت الى خطيبها اندريه وتسأله باكية :

ــ انك لن تخرج أنت ؟ أبتاه ! ان اندريه لن يخرج أيضاً

ولـــكن دوما يجيبها فى حركة يظهر فيها اثر الانفعال :

ـــ دعينى !

ويتحرك اندريه نحو الباب بعد ان يخبر سيلفيت بأن بقاءه قد يفهم منه بأنه غير متفق مع والده . ثم يخرج الشاب بعد أن يودع والد خطيبته وداعاً مؤثراً . ولا

تكاد جان تعود الى زوجها حتى تخبره بأنها ما استطاعت أن تستبقى (بان) قط . ولم يكن فى الامكان أن تجثو على ركبتيها لـكى تستعطفه فى البقاء . ويشتد بها التأثر فتخنقها الدموع ! ولـكن دوما يدهش إذ يراها تبكى ويخبرها بأن (بان) أظهر منتهى الخشونة وأنه للمرة الاولى فى حياته يشعر بأن صديقه يهاجمه ويجرحه . وللمرة الاولى يخرج (بان) من بيته بدون ان يصافحه ! وهو يعلن بأنه سينتظر حتى يعتذر له (بان) بأى شكل كان ـ فاذا قالت له ابنته :

ـــ وإذا لم يفعل ذلك ؟

أجابها :

ـــ سنبقى كما نحن . مهما كلفنى هذا من العناء !

فتقول له الفتاة باكية :

ـــ ولـكن . . اندريه يا أبتاه !

فيثور ويتهمها بانها تفضل مصلحتها على كرامته . ولـكنها تشير الى أن والدها قد اخطأ باتهامه (بان) بأن له علاقة باشخاص لهم سمعة سيئة

وعندئذ يرفع دوما يديه إلى الهواء ويصيح :

ـــ اذن فأنا المخطىء !

فتتفادى سيلفيت ثورته وتسرع بالخروج

فاذا خلت جان الى زوجها فهى تذكر انه كان واجباً عليه أن يكون هو الذى يتبع (بان) الى الخارج ويستبقيه وهى ترى ان هذا النفور يستحيل ان يستمر لخير سيلفيت واندريه . . وهو لايقرها على استحالة ذلك . ولـكنه يذكر ان المشكلة هى فى ايجاد مهندس لبناء الملهى وتنفيذ ذلك المشروع . وتقبله جان وهى تذكره بصداقة (بان) لها . تلك الصداقة التى دامت عشرين عاما وتقول له .

ـــ انك فى الواقع تحبه ياهنرى . اننا نحبه وسنحبه دائماً ـ فيجيبها :

ـــ لست أدرى

ثم تقول له بعد تفكير :

ـــ وعند ما أذكر أنه هو الذى كان السبب فى معرفتى لك

ولــكن دوما يتفادى ذلك الموقف المؤثر ويخرج بعــد أن يقول فى غضب :

ـــ على أى حال . انى الآن اكرهه !

وتعود سيلفيت إلى والدتها وتخبرها بانها وعدت اندريه بأن تتحدث اليه تليفونياً وهى تريد الوفاء بذلك الوعد ! فتسألها جان :

ـــ وان أجابك والده ؟

ـــ لا أقول له شيئاً . . . أضع السماعة ثانية !

ثم تطلب رقم التليفون فى بيت (بان) !

☆☆☆

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى مكتب جبرييل بان المهندس وهو منهمك فى عمله وقد أخذت زوجته اليزابيث Elisabeth تتحدث اليه فتخبره بانهاتود ان تمر على جان صديقتها قبل ان تذهب لرؤية والدتها المريضة ولــكنه يعارض فى ذلك . وأنت تحس من خلال ذلك الحــديث بمبلغ تأثير تلك الزوجة على أعصاب زوجها وتصرفاته . فتعلم بأنها هي التى ظلت تحرضه طول الطريق قبل ذهابهما الى بيت دوما فى تلك الليلة التى كان مدعواً اليها النائب بوردان على أن يثأر لــكرامته وألا يقبل أن يكون مطية لصديقه فى تحقيق أغراضه حتى ملأت صدره بالشكوك وأفقدته الثقة فى سلامة نية ذلك الصديق . ولــكنها الآن تلومه على الطريقة التى تصرف بها فى تلك الليلة فما كان واجباً عليه أن يتعرض لعلاقات دوما بالناس ! وهى تذكره بأنها طالما تألمت وأحست بكرامتها تجرح وتذل من علاقته بآل دوما . ومبلغ استكانته وخضوعه أمامهم ولــكنها كانت

ترى أن الطريقة التى يبرهن بها على شخصيته هى أن يعمد الى مقاطعة النائب بوردان والى رفع صوته عليه . والثرثرة أكثر منه ! وهى تعبر عن ذلك بقولها:

— كان يجب أن تحدث هنرى عن أعمالك ومشروعاتك الصحيح منها والوهمى تلك المشروعات التى لايفقه هو منها شيئاً

وتستمر على هذه النغمة فتذكر أنه كان واجباً أن يحتج بمجرد خروج بوردان ولكن بحيث لايتعرض الى القضايا الفاضحة التى ورد اسمه فيها ولا الى روح العطف التى ابداها دوما نحوه !

فاذا قال لها (بان) :

— ولكننى فعلت ذلك

أجابته :

— أجل ولكن فى كثير من التوحش ياعزيزى وقد نجم عن ذلك نفور مستحكم — كان يمكنك أن تقول كل شىء فى خمس دقائق وبلهجة حازمة متزنة كما لو كنت تمزح . وبحيث لاتترك شيئاً لايروقك بدون أن تتعرض له . آه ! ان هنرى يعرف جيداً كيف يفعل ذلك !

ثم تتطور المناقشة بين ذينك الزوجين فاذا باليزابيث تلومه على أن ذلك النفور قد ضيع عليه فرصة الاشتغال فى مشروع الملهى ثم تؤكد له بأنه هو الذى سوف يبدأ بالصلح مع دوما ، وينكر (بان) ذلك فتصر هى على أنه هو الذى سوف يبدأ

ويقبل أندريه ويخلو إلى أبيه فتعرف أن الشاب قد التقى بخطيبته سيلفيت وبأن العلاقات بينهما لم يؤثر فيها نفور الوالدين. ويسر «بان» لذلك كل السرور ويسأله عما إذا كان قد رأى والدها أو والدتها فيجيب بأنه لم ير أحداً منهما ! ثم يسأله عن رأى سيلفيت فيما حدث فيجيبه بأنها قد هاجمته فى كثير من الرقة والحنان

وأنها لاحظت بأن والدها عند ما استدعى النائب كان يعرف ما يفعله . ولـكن عمها « بان » عند ما ثار غضبه لم يكن يعرف ما يقول ؟ ويعترف « بان» لابنه بأنه قد أخطأ وبأنه لم يرد أن يبدى هذا الاعتراف لزوجته اليزابيث خشية أن ترى فى الاعتراف ضعفاً ولـكنه يرى حقاً بأنه فى تلك الليلة قد فقد توازنه وبروده الطبيعى ! ثم يطلب إلى ابنه أمرين أولهما ألا يقدم على الزواج بسيلفيت إلا بعد أن يكون قد اتخذ لنفسه عملا خاصاً مستقلا عن والده فيقبل اندريه ذلك واما الامر الثانى فهو أنه إذا تزوج فلا يجب أن يقبل « الدوطة » التى تهبها له عروسه من مال أبيها ! ولـكن اندريه يرفض ذلك ولا يرى داعياً له . بل إنه يرى أن امتناعه عن قبول تلك « الدوطة » معناه أنه ضعيف الثقة فى نفسه

ويدق جرس التليفون وإذا بالمتـكلم جان زوجة دوما وهى تخطر « بان» بانها قادمة ويلوم بان نفسه على أنه عارض زوجته فيما كانت قد فـكرت فيه من الذهاب لرؤية جان . وهو يظن بان دوما قد أرسل زوجته لترى هل كان رفضه العمل فى مشروع الملهى نهائياً أم لا . ولتغريه بالقبول ، ويطلب إلى ابنه أن يتركه وحيداً مع جان

وتقبل جان وسرعان ما تفهم السر الحقيقى فى كل تلك الثورة التى ثارها دوما والتى أنتجت ذلك النفور . فهى تخبره أنها أثارت غيرة زوجها من صديقه بان . إذ حدثته كثيراً عن نجاحه فى مهنته . ولمحت له أنه لا مهنة له يفخر ويزهو بها كما لصديقه . فلما جاء بان ومس تلك النقطة تحركت غيرة الزوج لان الموضوع قد طرح أمام زوجته وهى تذكر لبان أن زوجها يحسده على شهرته وأنه إذا كان متكبراً مزهواً فزوجها لايقل عنه فى ذلك

وهى تنبهه الى ان اكثاره من الـكلام عن احتقار المال يدل على مبلغ الاهمية التى يعطيها له ؟ وانه من ذلك الصنف الذى إذا دعى الى وليمة فلا يمكن

أن ينام ليلة الا بعد أن يدعو من دعاه الى وليمة مثلها وان يقدم له فيها نفس المآكل وعدد الصحاف !!

ويقدم لها (بان) علبة من السجائر فترفض وتطلب اليه ان يحضر بنفسه الى بيتها ولـكنه يرفض الذهاب قبل أن يدعوه زوجها . . .

ثم تخبره باسم المهندس الذى فكر زوجها فى ان يعهداليه ببناء الملهى ولـكنه يدهش كيف فكر دوما فى ذلك المهندس مع ان سمعته ملوثة وتسأله عما إذا كان يوافق على ان تنقل الى زوجها رأيه فى ذلك المهندس فيقبل

وتخرج جان بعد أن تأخذ معها علبة السجائر وبعد أن يتفقا الا يخبر (بان) أحداً عما دار بينهما وتقبل اليزابيث بعد خروجها فاذا بها قادمة من عند جان اذ ذهبت لزيارتها فلم تجدها . وينتهي الفصل بهذا الحوار :

اليزابيث ــ انها زيارة لم تكلفنى شيئاً . ولقد تصرفت بتلك الزيارة تصرفاً فى صالحنا وبعدها ليس لنا الا أن ننتظر . . أليس كذلك ؟

بان (فى تنهد بعد ان يرفع رأسه ويتأمل اليزابيث لحظة) ــ تماماً !

☆☆☆

فاذا كان الفصل الثالث فنحن حيث كنا فى الفصل السابق وقد أخذ اندريه يتحدث فى التليفون الى خطيبته سيلفيت فاذا دخلت والدته غير مجرى الحديث فجأة كما لو كان المتحدث معه قد أخطأ وطلب رقماً آخر !

وتطلب اليزابيث رقم منزل دوما وتتحدث مع جان فتفهم بأن دوما سيحضر وانه يأمل ان ينتظره بان

ويقبل بان فتخبره اليزابيث بقدوم دوما فيدهش وتندم الزوجة على انه لم يبدأ هو بالخطوة الاولى نحو الصلح . . فيقول لها :

ــ ولـكنى لو كنت لم أخط تلك الخطوة فذلك خوفاً منك !

ثم يقبل دوما بعد قليل ويبدأ الحديث بين الصديقين فى شيء من الفتور ولا يلبث دوما أن يتعرض لموضوع ذلك المهندس الذى أبدى فيه (بان) رأياً ويتطرق إلى ان امتناع صديقه عن مباشرة ذلك المشروع سيكون سبباً فى تحكم ذلك المهندس الآخر وغيره وفى تشدقهم بالنجاح حيث خاب (بان) . . فلا يمكن أن يصدق الناس بان نفوراً بسيطاً نشب بين الصديقين يمكن ان يتسبب عنه امتناع (بان) عن العمل مع صديقه القديم . ويشير دوما الى النائب بوردان ويذكر أنه بحكم عمله مضطر إلى معرفة الناس من طبقات مختلفة

ويستبعد (بان) أن يكون صديقه قد تأثر لما فرط منه عن افتقاره إلى مهنة يعرف بها ويؤكد له أنه لا يزال أشد ما يكون اعجابا به لنشاطه وقدرته العجيبة على أن ينفذ من المشاريع ما يخلق به الحياة فى قلب الصحراء ! ويتفقان على ان نفس الالفاظ التى تبادلاها ما كانت لتؤدى ذلك المعنى لو أن زوجتيهما كانتا متغيبتين ! فكل منهما لا يريد ان يظهر بمظهر المنهزم أمام زوجته !

ويقبل بان أن يباشر مشروع الملهى . ويتعانق الصديقان . ويبدى دوما استعداده لأن يظهر أمام اليزابيث بانه هو المخطىء أولا فذلك يسرها !

ويدخل الشابان اندريه وسيلفيت . ثم الزوجتان جان واليزابيث . ويذكر دوما لاليزابيث انه توسل الى زوجها لكى يغتفر له هفوته ! وأنه استعطفه أن يعدل عن رفضه بناء الملهى فقبل توسله واستعطافه !

ويدعوهم (بان) إلى البقاء لتناول الطعام معه . . فيبدى دوما رأيا يقضى باستدعاء طاهيته لكى تساعد فى الطهى عند صديقه ولكن اليزابيث تعارض فى ذلك بشدة ! فيسرع (بان) ويعرض فكرة دعوتهم الى احد المطاعم العامة ولكن دوما يجيب على ذلك بانه مادام الأمر سيؤول الى أحد المطاعم فهو

الذى يدعوهم ! ويعارض (بان) ويشير الى صديقه بانه لايجب أن يبدأ باظهار تصلبه وسيطرته هكذا فتنتهى القصة بهذا الحوار :

دوما ــ لن أقول شيئاً آخر .. أنت الذى دعوتنا .. تحدث بالتليفون الى البيت وقل لهم بألا ينتظرونا

فيذهب بان إلى التليفون ويطلب رقم بيت صديقه دوما !

ثم يهبط الستار !

الحنان

عن الكاتب الفرنسي هنرى باتاى

كان واجباً على ولا شك عندما فكرت فى وضع هذا الكتاب أن أقدم لك فيه شيئاً لهنرى باتاى Henry Bataille فاذا ذكر المسرح الفرنسى . أو المسرح الاوربى فاسم باتاى يجب أن يقفز الى المقدمة . وان يتربع مكانه فى الصدر ! فهو من الكتاب الذين قصروا جهودهم الادبية على المسرح فغذوه بعدد كبير من القصص تتسم كلها تقريباً بطابع خاص يميزها . وذلك الطابع الذى اتخذه باتاى دون غيره من مؤلفى القصة المسرحية فى أوائل القرن العشرين هو ميله القوى الى دراسة الغرائز البشرية والاحساسات الانسانية الدفينة وتحليلها تحليلا فيه كثير من الدقة وكثير من العمق . فهو لا يعنى بالحادثة المسرحية . ولا يمهد لها تمهيداً متكلفاً يظهر فيه أثر « الصنعة » ظهوراً قد يعتبره البعض سخافة كما كان يفعل الكثيرون ممن ظهر باتاى بينهم بل إنه يتعهد الشخصيات الرئيسية فى قصصه بالدراسة والتحليل على ضوء فكرة سامية . أو بمعنى آخر هو يعنى بالنفس البشرية كما يفهمها وكما يريدها أكثر من عنايته بأى شيء آخر

غير أنه يختلف فى ذلك عن غيره من الكتاب الحديثين الذين يطبقون علم النفس الحديث على قصصهم تطبيقاً حرفياً بل ويطبقون آراء « فرويد » بالذات . كما يفعل (لونورمان) الذى لخصت لك الكثير من قصصه . فباتاى

لا يطبق (نظرية) من نظريات العلم الحديث كما يفعل هذا الاخير وانما يتناول شخصيات قصصه فيجعلهـا تعيش فى الجو الذى يختاره لها ويتفنن فى رسمها رسما تتوفر فيه كل التفصيلات التى يمكن أن تنطوى عليها روح تلك الشخصيات ونفسها

والقصة التى الخصها لك اليوم (الحنان) La Tendresse تعبر عن فن باتاى أصدق تعبير وأنا لا أريد أن اطيل فى اعطائك فكرة عنها قبل تلخيصها. ولكن يكفى أن اقول لك ان ظهور (الحنان) قد احدث ضجة عاصفة فى المسرح الفرنسى. إذ تعرض لها النقاد كما تعرض لها علماء الاخلاق وعلماء النفس. فلقد اقدم مؤلفها على بحث موضوع غاية فى الخطورة يتلخص فى امكان استغناء الانسان بالحنان عن الحب. أى أنه ما دام « الحب » قد انقضى وذهب زمنه بحلول الشيخوخة فلا مانع من أن يقنع الرجل – كما لا مانع من أن تقنع المرأة – بالحنان. وأنا اقتصر على رأى الناقد (جورج بوردون) إذ قال فى مجلة « كوميديا » عن هذه القصة ما يأتى :

« انه موضوع جميـل جديد بعبقرية رائعة. ذلك الموضوع الذى عالجه هنرى باتاى والذى لم يكن لاى شخص سواه ان يجرؤ على معالجته. فهو يمس اصول الاحساسات الدقيقة نفسها. وانه لما يثير الاعجاب ان يستطيع الخروج من ذلك بموضوع يظهر على المسرح فى وضوح وحيوية »

وذكر المؤلف والناقد « الفريد سافوار » ان قصة « الحنان » ربما كانت أروع القصص المؤثرة التى تمخض عنها المسرح الحديث بأجمعه. وهي تعد مع « ماما كوليبرى » و « انشودة الزفاف » احسن ما كتب مؤلفها باتاى

ولقد مثلت « الحنان » فى فبراير سنة ١٩٢١ على مسرح الفودفيل بباريس وظلت تمثل مدة طويلة. حتى انتقلت بها إحدى الفرق الفرنسية الى مسرح

الكورسال بالقاهرة منذ ثلاثة اعوام . وحتى اقتبستها شركات السينما وعرضتها دار « المتروبول » عندنا مرتين فى شهر واحد

☆☆☆

بارناك Barnac هو رجل يناهز الستين من عمره اصبحت له شهرة واسعة فى التأليف المسرحى حتى تهافتت المسارح على شراء قصصه واخراجها وتهافت الممثلون على التماس المجد عن طريق الاشتراك فى ذلك الاخراج وهو يعيش فى منزله مع امرأة تدعى مارت Marthe فى الثلاثين من عمرها . فاتنة جميلة . كانت ممثلة ناشئة فأحبها بارناك وخصها باخراج ادوار البطولة فى قصصه . وأنت تحس منذ بداءة القصة بأن ذينك الشخصين يعيشان عيشة كلها عاطفة . وود . وحنان . فمارت تعنى بصديقها الشيخ العناية كلها ويكفى ان تلقى نظرة على هذا الحديث الذى يدور بينهما لتؤمن بما أقوله لك فهي تقدم له قدحاً من الشاى ولكنه يبعده عنه ويقترب منهـا ثم يجثو على ركبتيه ويقول :

بارناك ــ تعلمين انى حقاً أحس نحوك بحنان هائل يا مارت . . هائل ؟ هذا حق

مارت ــ ياحبيبي العزيز . . . اننا متفاهمان . . (يتعانقان) هل سنخرج هذا المساء ؟ سوف نذهب الى الكازينو ده بارى ؟

ــ آه . أتصرين على ذلك كثيراً ؟

ــ أبداً ... اذن فسأبقى لاتناول العشاء معك

ــ أنت ظريفة

ــ سأقدم لك الحساء لتشربه . وبهـذه المناسبة . هل اشتغلت فى القصة المسرحية التى تكتبها ؟

ـــ كنت أنتظرك

ويقبل بعد ذلك طفلان هما ولدا هذه المرأة التى تعيش مع بارناك . ويداعبهما الاخير ويلعب معهما وكأنهما ولداه لا ولدا صديقته . ثم يقبل الخادم ينبيء بأن هناك رجلين يريدان مقابلة سيده . فتخرج مارت لترتدى ثيابها ثم يقبل الرجلان فاذا بهما جينيوس Genius ولو جارديه Legardier وهما اثنان من المؤلفين المسرحيين ومن أعضاء الجماعة التى تضم أولئك المؤلفين فى فرنسا . وهما يتحدثان الى بارناك عن مواضيع مختلفة خاصة بتلك الجماعة وبغيرها ، ثم يتطرق جينيوس إلى ماهو أهم من ذلك . يتطرق الى تنبيه بارناك الى سلوك صديقته مارت . فهو يذكر له ان لها عشيقاً ، وان كرامته تأبى أن يدع صديقه عرضة للتلوث من جراء تلك الخيانة التى تقدم عليها امرأة تظهر له الحب وتعيش معه تحت سقف واحد . وهو يثبت لبارناك ذلك فيخبره بأنه رأى صديقته وخادمتها فى مكان معين . وهو غير المكان الذى أخبرته به . ويدلل على صدق قوله بأن يصف الثوب الذى كانت ترتديه الخادمة . ويذعر بارناك ويتساءل عما اذا كان ذلك العشيق واحداً أو عديدين . ثم يطلب أن يعرف اسمه ويلح فى ذلك إلحاحاً شديداً ويقول له جينيوس :

ـــ حقاً انه مما يثير العجب انكم أيها الرجال العظاء قلما تجدون المرأة الجديرة بكم والتى تستحقونها ..! انكم تسمحون لقوم أقل منكم بأن يشاركوكم الحياة والصداقة !

ويتأثر بارناك لذلك فيقول :

ـــ ربما كنت محقاً . . أجل . . ولكن اذن ساعدونى يا أصدقائى .

ويعود فيلح فى وجوب معرفة اسم ذلك العشيق الذى يزاحمه فى حب مارت . أو على الاقل معرفة الحروف الاولى من اسمه ويقدم الدفتر الذى أمامه

الى جينيوس ليكتب له ذلك الاسم فيفعل . ولكن سرعان ما يتغير بارناك فجأة فبعد ان كان يتوسل الى زميله أن يعطيه ذلك الاسم يعود الى الاطراق والتأمل ويشخص من خلال النافذة الى منظر المدينة المترامية الاطراف . . ومنظر السين الذى ينساب وسطها . فيذكر الايام التى قضاها مع مارت . . ويشتد به التأثر . وتثور نفسه فيذكر لجينيوس تفاصيل تلك الحياة الهنيئة التى وفرتها له صديقته ثم يصيح به :

ـــ انها تلك السعادة التى أضعتها على بكلمة واحدة . ! ثم تريد أن أصفح عنك ؟ أبداً . . أبداً . . اخرج على ألا أراك مرة أخرى . . لقد انتهى عملك

ويدهش جينيوس لذلك التغير المفاجيء الذى طرأ على زميله الكبير . ولكنه لا يتمالك نفسه فيصارحه بأنه لو كان يعلم أن هذا سوف يكون جزاءه لما أدلى له بشيء

ولا يكاد يخرج ويخلو بارناك بنفسه حتى يستدعى العاملة المختصة باختزال ما يمليه عليها ، فيعطيها مبلغاً من المال لتستعين به على معالجة أمها المريضة . ثم يكلفها أن تجلس وراء الستار فى الغرفة المجاورة وأن تنصت الى كل ماسوف يدور بين مارت وبين زوارها فتدونه مختزلا على ان تكون هناك زميلة لها ترد هذا الكلام المختزل إلى أصله الذى يقال به . فتقبل الفتاة . ثم يكلفها أن ترسل كلمة تستدعى بها ذلك العشيق الذى أخبره جينيوس بالحروف الاولى من اسمه وهو رجل يدعى كارلوس جارى Carlos Jarry كان قد اشترك مع بارناك فى كتابة قصة مسرحية فيما مضى . ثم يدق جرس التليفون ويتحدث إلى رجل آخر يدعى جاليني Jalligny باعتبار ان الحروف الاولى من اسمه تتفق هي الاخرى مع ما أخبره به جينيوس فيستدعيه بحجة التحدث اليه فى موضوع شراء أثاثات تاريخية معروضة للبيع . ولا يكاد ينتهي من عمل الترتيب اللازم لـكى تدون الفتاة العاملة كل مايدور بين ذينك الشخصين

وبين مارت . حتى تدخل الاخيرة وتداعب صديقها الكبير . وتقول له انها تشعر بسعادة عجيبة عند ما تجلس عند قدميه وتنصت اليه وهو يملى قصصه . ولا تلبث أن تجلس فعلا على الارض وتسند رأسها الى ركبتى بارناك وتغنى أغنية تقول فى مطلعها :

« الى اللقاء أيها الحبيب العزيز »

ويحلم بارناك وهو ينصت الى تلك الأغنية بالاعوام الخمسة التى قضاها مع مارت وبكل تفاصيلها . ثم تطلب اليه أن يملى قصته فيخبرها بأنه يفضل أن يكتب مشهداً من الفصل الثالث أولا . ويذكرها أن بطل القصة وهومؤلف مسرحى يكون حزيناً فى ذلك المشهد . فهو يعلم أن صديقته تخونه وهي تظن أنه يجهل ذلك ثم يطلب بارناك الى الفتاة العاملة أن تكتب ما يقوله بطل القصة لصديقته فى ذلك المشهد فاذا به ما يأتى :

« دعينى أداعب بنفس المرح الذى تعودته دائما شعورك السوداء وأهدابك المقفلة . . دعينى أسمع اليوم أيضاً ضحكتك العجيبة الجميلة التى تنفذ الى أعماق نفسى والتى يخيل إلى أنها تقول : أسعدت صباحاً . . انه أنا . . أنا الصغيرة التى لن تسيء اليك أبداً . . لن تسيء اليك . . أبداً . . أنا التى تقبل كل يوم فى رقة ودعة . . فى الساعة التى . . . »

ويستمر فى الاملاء هكذا بينما يده تعبث برأس مارت وقد أغمض عينيه واضطرب صوته

☆ ☆ ☆

فاذا كان الفصل الثانى فنحن حيث كنا وقد أقبل كارلوس جارى الذى أرسل بارناك يستدعيه بحجة الاتفاق معه على ما . يعرضه احد المسارح من اختصار بعض مشاهد فى القصة التى سبق أن اشتركا فى كتابتها معاً واخراجها

وأنا لا أريد أن أطيل في تلخيص ذلك الموقف بين ذينك الشخصين فيكفى أن يعلم القارىء ان مارت لها علاقة بذلك الرجل . وأنت تحس بذلك من خلال حديثهما . ولكنها تصرح له كما تصرح لجاليني عند قدومه بعد خروج جارى بأنها تحب بارناك . وبأنها اذا كانت قد زلت قدمها مع غيره فهى أشد ماتكون ألماً وهى لذلك ترفض أن تخون بارناك فى الصفقة التى يريد جالينى أن يعرضها عليه من أجل بيع تلك الاثاثات . ترفض أن تغريه على قبول الثمن الذى يعرضه جالينى فى مقابل ان يعطيها الاخير مكافأة على ذلك . وتبدى منتهى احتقارها لذلك العرض النذل !

ويقبل بعد ذينك الشخصين شاب آخر يدعى سيرجيل Sergyll من صغار المؤلفين الناشئين يحمل دوراً من الادوار التى سوف تخرجها مارت قريباً لحساب احد المسارح الكبرى . وأنت تتبين تواً أن مارت تميل الى ذلك الشاب وانه كانت بينهما أمور فيما مضى . ولكنها لاتكاد تسمعه يشير بسوء الى بارناك حتى تثور وتقول :

ـــ لا تنطق بكلمة عن ذلك الرجل . والا فسوف لا أراك أبداً فى حياتى. هذا هو الشيء المقدس ! فأنت تستطيع أن تقول كل ما تشاء عنى وأنا أقبله عن طيب خاطر إذ انك لن تقول عنى أكثر مما أظن فى نفسى . ولكن افهم إذا كنت لم تفهم جيداً حتى الآن ، أن حبى له هو كل فخرى وزهوى هو اجلالي العميق . المطلق . هو روحى ولحمى أيضاً . .

وبينما هي مع سيرجيل اذ يدق التلفون وإذا بالمتكلم هو بارناك وتدهش مارت لذلك فقد أخبرها أنه مسافر لحضور حفلة إزاحة الستار عن تمثال فى مدينة أخرى . وهو يفسر لها قدومه قبل الموعد بان ذلك التمثال المحتفل به قد وقع على الارض ! ويخبرها بأنه سيحضر سريعاً

ويخرج سيرجيل ثم يقبل بارناك . ولا يلبث أن يتحدث اليها عن القصة المسرحية التى يهتم بكتابتها . ويقترح عليها أن يقوما هما الاثنان بعمل (التنسيق المسرحي) اللازم لها . ويعطيها فعلا دور البطلة صديقة المؤلف التى تخونه مع غيره . ولا تكاد مارت تقرأ الكلمات المدونة أمامها حتى تضطرب فهى نفس الكلمات التى كانت تقولها منذ برهة لجارى وجالينى وسيرجيل، ويلاحظ بارناك ذلك الاضطراب فيسألها عما بها فتجيبه وهى تتكلف ابتسامة شاحبة :

ـــ لا شيء . لاشيء

ولكنها لاتستطيع أن تتمالك نفسها فيشتد بها الاضطراب ويقترب منها بارناك ويشرح لها ما استعصى عليها . يشرح لها كيف أن المؤلف المخدوع قد تنبه فاستخدم عاملتين إحداهما تختزل ما يدور بين صديقته وبين عشاقها والأخرى ترد ذلك الكلام المختزل حالا إلى أصله ، ويذكر لها كيف أن المؤلف قد صعد إلى حيث تكمن هاتان العاملتان فأخذ منهما تلك الأوراق المحتوية على مادار فى غيبته وتحت سقف بيته . وأنه سمع أصواتاً من بعيد تدل على حصول مناقشة حادة بين صديقته وعشيقها

وأنه اضطر للنزول قبل أن تكمل المناقشة وقبل ان تثبتها العاملتان . وأنه لم يحصل على كل ما دار فى الوقت الاخير لان العاملة الاخرى لم ترده الى أصله بعد . وأنه خرج لينبهها فى التلفون بأنه قادم وليدع للعشيق الفرصة فى مغادرة البيت . وأنه الآن معها يتساءل عما اذا كان سيثأر لنفسه . ثم يقترب بارناك منها ويقول :

ـــ أفهمت الآن كل الرعب المفزع الذى يحتوى عليه المشهد . قولى ؟ قولى ؟ أيتها الفاجرة ! أيتها الحشرة الوضيعة أجيبى أجيبى اذن . هيه . هيه . أيتها الكلبة !.

ويمسكها من عنقها ثم يلقى بها على المائدة ولا يتركها حتى تصرخ . ويطلب اليها بارناك أن تعترف بكل شيء . ويلح فى ذلك فتذكر له أنهـا تحبه حباً لم تشعر به قط مدى حياتها كلها . وأنها أشد ما تكون ألماً وحسرة لانه سوف يشقى بسببها . وهى تعترف له بأنها شيطان ! وبأن قدمها زلت وتغلب صوت رغباتها الوضيعة على صوت قلبها فخانته . وهى تعتذر عن ذلك بأنه عرفها وهى لا تزال شابة تغلى العاطفة فى عروقها . وتكرر القول بأنها شيطان وبأنه محق كل الحق فى نبذها وطردها . ويثور بارناك فيدفعها الى الباب فى قسوة وعنف وتجيبه هى قائلة فى شعور يائس مبتئس :

ــ ياعزيزى الكبير . . ياحبيبى ! . اننى أعبدك . أعبدك . أعبدك . ولا تعلم الى أى حد !

ثم تتوسل اليه أن يبقيها لتظهر له أنها قادرة على أن تجعله ينسى كل تلك الاشياء الفظيعة . وأنه لن يجد فى سلوكها بعد ذلك مايلومها عليه وأنها سوف تثبت له بأن الحب يمكن ان يولد مرة اخرى ولكنه لا يعبأ بكل ذلك ويقول لها :

ــ الحب ؟ لقد اجهزت عليه تماما ! ــ وهو لايعترف بما ذهبت اليه من انها لم تعط قلبها عند مازلت وخانته.فلقد سممت بتلك الحياة الملوثة المزدوجة ذكرى الساعات الماضية التى عاشاها معاً.وهو يسهب فى ذكر تلك الساعات الهنيئة الوادعة ويقول :

ــ الحب ! انه ليس مقصوراً على العواطف . وخلجات القلب . . كلا . . آه ! انه ابسط من ذلك ! انه يتمثل فى أن يكون المحبان معاً فى عربة مثلا وان يقول احدهما للآخر : « ارفع الزجاج لئلا يصيبك البرد ياعزيزى » هوهكذا هذا هو الحب الذى لا يولد من جديد مرة اخرى .. والذى لايمكن ان يولد مرة اخرى . .

ويتأثر بارناك فيتهدج صوته ويبكي . وتجثو مارت تحت قدميه وهي تقول :

ـــ عفواً . . عفواً . . آه ! صوتك المسكين .. هذا فظيع . . انني اعبدك . سأنسيك هذا الكابوس الشرير ياحبيبي العزيز !

ولـكنه يأبى ويرفض ذلك الحنان الذى تعرضه عليه . ويدخل الخادم إذ ذاك يحمل رسالة فيسرع بارناك بفضها . ويخبرها بجلية تلك الرسالة فقد كتبها هو بنفسه وقال فيها :

« تشجع . . لاتستمع الى هذه المرأة فلم تكن حياتها معك الا اكذوبة كبيرة !

انك تعطى الجواهر الى الخنازير ! أنقذ نفسك والا فانت لست جديراً بأن تكون رجلا »

وكان قد اعطى تلك الرسالة الى زميله جينيوس وطلب اليه ان يحضر فى الوقت المناسب وان يرسل اليه تلك الرسالة ، اذ هو يعلم من نفسه مبلغ ضعفها امام مارت . ولا يكاد يخبرها بذلك حتى يقول فى قوة وعنف :

ـــ انني أطردك . . انني لست وحدى معك الآن ، لقد نجوت

ويذهب إلى الباب فيفتحه ويستدعى جينيوس ولو جارديه ، ولا تكاد تراهما مارت حتى تشتم جينيوس وتتهمه بانه أراد ان يغازلها فرفضت ولذلك أوقع بها ثم تلتفت إلى بارناك وتتمنى له أن يعيش بعدها سعيداً . وتقول :

ـــ هاهي المرأة الشريرة تغادر بيتك . تذكر أنها كانت سيئة الخلق ولكن تذكر قليلا أيضاً انها أحبتك فى حنان هائل . اليس كذلك ؟ انني خارجة (فى يأس فظيع مادة يديها) الوداع . ياعزيزى !

بارناك (ممسكا بذراعى صديقيه) ـ يا أصدقائى كان يجب ان اكون طيباً

لانى رجل شقى أتألم كثيراً . . كثيراً . . كثيراً (ثم تسيل دمعتان كبيرتان على خديه)



فاذا كان الفصل الاخير فنحن فى غرفة بارناك الخـاصة ، ولا يكاد يتقدم الفصل قليلا حتى تفهم أن الرجل قد عانى مدى العامين اللذين قضاهما بعـد أن انفصلت عنـه مارت الكثير من الآلام والاحزان ، وانه لم يعـد يكتب شيئاً للمسارح كما كان يفعل قبلا عنـدما كانت مارت تخرج له قصصه . وأنه قد حاول مراراً الاستعاضة عنها بغيرها من النساء والفتيات فـلم يوفق قط . كما تعلم ان ولدى مارت الصغيرين اللذين رأيناهما فى الفصل الاول قـد تعودا أن يحضرا إلى بيت بارناك فى عيد الميلاد من كل عام بعـد انفصال أمهما عنـه وانهما قـد حضرا اليوم قبـل العيد ليقدما له تحياتهما الساذجة الطاهرة . وهو سعيد غاية السعادة اذ يتلقاهما ويداعبهما ويقبلهما

ويقبل أحد اصدقاء بارناك بعد قليل فتعرف من حديثه معه أن سيرجيل صديق مارت قد اتهم بسرقة إحـدى القصص المعروفة وباعها لاحـدى شركات السينما . وان مؤلف تلك القصة المسروقة قد رفع عليـه دعوى أمام القضاء انضم له فيهـا جماعة المؤلفين المسرحيين . ولا يكاد بارناك يسمع بذلك الخبر حتى يتأثر غاية التأثر ويأمر ذلك الصديق بان يتصل بمؤلف القصة وأن يدفع له مايريده على حسابه هو شخصياً . ثم يدق التليفون ويستدعى مارت ولا تكاد تحضر وهي دهشـة لذلك الاستدعاء المفاجىء حتى يخبرها بحـكاية سيرجيل وكيف أنه رأى وجوب انقاذه من الفضيحة والخسارة بدفع ما هو مطالب به . وتقرر مارت أنهـا لاتعرف شيئاً عن ذلك الموضوع . ويسألها بعد ذلك عن السبب الذى حدا بهـا إلى هجر المسرح فتجيبه بأنهـا تعيش عيشة

منعزلة عن كل شيء ، ويسعل بارناك اذ ذاك ويذكر لهـا انه مزكوم فتذهب مارت إلى المائدة وتتناول قدحاً من الشاى فتقدمه له وهي تدير وجهها لتخفى الدموع التى تجول فى عينيها وتعتذر عن ذلك قائلة :

ـــ هذه الحركة ، قد قمت بهـا مرات عديدة . هذه الحركة التى تتلخص فى تقديم قـدح الشـاى لك . . . اذن . . . اليس كذلك ؟

ويضطرب صوتهـا بعد ذلك ويتهدج . وتحاول أن تستعيد هدوءها وتذكر له أنها الان ليست تلك الانسانة المرحة الضاحكة التى كان يحبها وتحاول أن تعيد اصوتها هدوءه الطبيعى . ويلمح لها بارناك عن أصدقائها الذين عرفتهـم بعده فتذكر له انها انتقت شخصاً يعرف ماضيها ولا يتأفف كلـما حدثته عن بارناك وعن حياتها معه . انتقت كلباً مطيعاً يمكن طرده فى أى وقت ويفهم بارناك ماترمى اليه فيطلب اليها ألا تحاول إغراءه ولكنها تستمر وترجو منه أن يعيدها وأن تبقي إلى جانبه لـكى يجددا حياة أخرى . وتشخص اليه طويلا ولا تـكاد تتبين فى عينيه الرغبة فى الصفح حتى تصرخ وتعانقه طويلا . ويتأثر بارناك ولـكنه يخبرها بأنه قد هرم وبأنه لم يعد يقبل أن تسخر امرأة نفسهـا له . حتى ولو كانت أكثر النساء رقة وحنانا . حتى ولو كانت هي ذاتها . !

وهنا يقبل سيرجيل فيعيد بارناك أمامه ما سبق أن اكده من استعداده لدفع ماهو مطالب به . وان يعطيه أربعاً من قصصه لـكى يقتبس منها مايشاء للسينما . ويلتفت الى مارت فيقول لها انه لم يعد هنـاك مجال للحب . وبأنه يقنع منها بالحنان . يقنع بان تزوره بين آونة وأخرى لكى تضغط على يده وتقرئه التحية.وبأن تبعث فى ذلك البيت الذى تخيم عليه وحدة الشيخوخة ضحكة من ضحكاتها المرحة ! وتبكى مارت لدى سماعها ذلك . ويظهر سيرجيل تأثره . ويخرج بعد أن يشكر لبارناك ذلك العطف الذى أبداه نحوه . وتخلو مارت

الى بارناك فيذكر لها أنه يستمع الى مايمثل على مسـارح باريس بواسطة « التياتروفون » . وبانه سيستمع الآن الى قطعة« مانون » على مسرح «الاوبرا الكوميك » . و يمدبارناك قدميه الى النار لتدفئتها . وتناوله مارت سماعة « التياتروفون » وتقترب منه وتقبله مرة أخيرة فى حنان . ثم يطلب اليهـا أن تلحق بصديقها فتخرج وهي تغنى الأغنية التى سمعناها فى الفصل الاول والتى مطلعها :

« الى اللقاء أيها الحبيب العزيز ! »

ثم يبتعد صوت الغناء ويغلق الباب فيدع بارناك السماعة تسقط من يده و يمسك بمنديل مارت الذى تركته ويعضه وهويبكى وينتحب !

كارل وآنا

عن الكاتب الالمانى ليونارد فرانك

للمرة الاولى ألخص لك شيئاً عن المسرح الالمانى ! وكنت أميل منذ مدة فى الواقع الى أن أعطيك فكرة عن ذلك المسرح لولا انى كنت أفضل دائما أن تكون هذه الفكرة عن المسرح الالمانى الجديد وتحقيق هذا من الصعوبة بمكان ، فقد امتنعت المسارح الفرنسية والانجليزية بعد الحرب عن اخراج قصص مترجمة عن الالمانية إلا فيما ندر . وكانت حجتها فى ذلك ان الجمهور فى هاتين الامتين لم يزل متأثراً بالاحقاد التى خلفتها الحرب العظمى

ولكن هذه الحجة قد سقطت باقدام المسارح الالمانية على إخراج قصص فرنسية . ولذا عمد الكاتب الفرنسى جان ريشاربلوك Jean Richard Block إلى ترجمة قصة « كارل وآنا » Karl et Anna عن الكاتب الالمانى ليونارد فرانك Leonard Frank . وهي قصة غريبة نجحت فى المانيا نجاحا مدهشاً إذ مثلها ثمانون مسرحاً فى وقت واحد ! ومؤلفها كاتب فى الخامسة والاربعين من عمره كانت قد اضطهدته حكومة الامبراطورية السابقة لتطرفه فى آرائه ولكنه عاد فنال الحظوة عند الحكومة الحالية . ولقد اقتبس فكرة قصة « كارل وآنا » من قصة سينمية معروفة تسمى « أغنية السجين » ولكنه ساق الموضوع فى قالب جديد تأثر فى كتابته تأثراً واضحا بطريقة الكاتب الايطالى بيرانديلو وبنظريات العالم الالمانى فرويد التى انتزعها من علم النفس الحديث . وموضوع

القصة كما سيرى القارىء غريب غاية الغرابة وقد وفق الكاتب فى رأيه توفيقاً تاماً رائعاً . وقدر النقاد فى فرنسا مجهوده اذ مثلت قصة « كارل وآنا » للمرة الاولى فى ابريل عام ١٩٢٩ على مسرح « الافينو »



نحن فى سجن من السجون الروسية القائمة على حدود أوربا وآسيا فى يوليو عام ١٩١٧ . وقد احتشد فيه عدد هائل من اسرى الحرب الالمانيين الذين وقعوا فى قبضة الجيش الروسى وأخذ اثنان منهم وضعا فى غرفة واحدة يتحدثان فتشعر من حديثهما أنهما يطرقان نفس الموضوع الذى ظلا يطرقانه مدى ثلاثة أعوام متوالية قضياها فى ذلك السجن الرهيب

أما الاثنان فهما Karl وريشار Richard . وأما الموضوع الذى يدور حوله حديثهما فهو ذكر آنا Anna زوجة ريشار التى تركها فى برلين عندما اعلنت الحرب العظمى والتى كان يحبها حباً عظيما ولا يزال يذكرها على الدوام . ولا تلبث أن تعلم بعد ان تستمع الى الحديث الذى يدور بين ذينك السجينين ان كارل قد عرف كل شىء عن زوجة زميله ريشار لفرط ما حدثه هذا الاخير عنها . بل انه فى تلك الوحدة البعيدة وذلك السكون الرهيب الذى يحيط به فى سجنه قد تخيل صورة معينة عن « آنا » ، عن شكلها ، ووجهها ، وثيابها ، ومسكنها ، بل انه قد أحس بما هو اكثر من ذلك نحوها . احس بانه يحبها ويتعلق بها ، ويهيم بها هياماً ، ويغار عليها حتى من زوجها ! وأن هذا الحب الذي استولى عليه ونشأ فى قلبه المعذب من هول السجن وألم النفى وقسوة الحرب ووحشية السجانين هذا الحب العجيب قد اتاح له ان يتصل بها ، بآنا على بعد مابينهما ، ومكنه من أن يطلع على الكثير مما فعلت فى ماضيها وماتفعله فى حاضرها . وهذا الاتصال الروحى الذى يقوم على الحب لم يخطىء فى هداية كارل الى الحقيقة عن حياة

« آنا » . فهو اذ يتحدث الى زميله وزوجها ريشار عنها انما يصيب القول رغم انه لم يرها قط ، ولم يعلم عنها الا التفصيلات الوافية المسهبة التي ظل ريشار يسردها عليه مدى ثلاثة أعوام في السجن . بل ان هـذا الاتصال الروحي قد جعله يضيف الى ما ذكر ريشار اشياء صحيحة عن « آنا » وعن الوسط الذى تعيش فيه ، ورغم انه لم يذهب الى برلين قط قبل ذلك . فهو يصف له الطرق المحيطة بمنزلها وصفاً دقيقاً ويصف له الصوت الذى تحدثه انبوبة الغاز فى منزلها !

ويحدث بعد ذلك ان يوفق كارل الى الهروب من ذلك السجن اذ يحكم عليه بالاعدام فلا ينفذ السجانون الروسيون ذلك الحكم الا تنفيذاً صورياً نظراً لما كان يعطيه لهم من الرشوة فى أثناء سجنه . ويذهب كارل بمجرد وصوله المانيا الى المنزل الذى تقطنه (آنا) ويدخل ذلك المنزل وكأنه يعرف عنه كل شيء . ويحيي (آنا) تحية الزوج الذى عاد الى زوجته المحبوبة بعدغيبة طويلة ولا تكاد تراه (آنا) حتى تدهش من لهجته التى يخاطبها بها وكأنه زوجها وتصيح به :

— أنت لست زوجى !

ولكنه يخبرها أنها زوجته وأنه ظل يذكرها أربعة أعوام فى سجنه الرهيب القائم على حدود أوروبا واسيا ، كان يراها فى أثنائها كل يوم، ويحادثها عن بعد ، ويتلاقى معها . وهو يؤكد لها أنها لابد كانت تحس هي الاخرى بذلك ، ويذكر لها واقعة معينة يوم التقى بها فى مكان معين ! وتشتد الدهشة بآنا فتقول له ان زوجها قد توفى منذ أربعة اعوام ونشرت الصحف خبر موته إذ ذاك ، فقد ذكرت أنه استشهد فى ميدان الشرف مع غيره من جنود الوطن . فيجيبها كارل بأنه قد يحدث أحياناً ان تعتقد الزوجة ان زوجها مات وقد تنقضى اربعة أعوام على ذلك ويعود الزوج بعد ذلك فيتضح أنه كان حياً يرزق . ثم

يقترب منها ويقول لها فى لهجة صادرة من أعماق قلبه وقـد بان فيها منتهى الحب والاخلاص والوفاء

ــ انى خلال تلك الاعوام الاربعة لم أر فى هذا العالم إلا أنت . . أنت يا (آنا) . . أنت زوجتى

وتحس (آنا) إذ ذاك بشعور قوى ، تحس بان كارل ليس شخصاً غريباً، فـكأنها تعرفه منذ أمد طويل . وهي تصارحه بذلك ولـكنها تسأله ، ماذا يحدث لو أن زوجها عاد ولم يكن قد مات حقاً مادام هو يعترف بامكان ذلك . ولـكنه لايعبأ بهذا الاعتراض ويجيبها بأنه لها وأنها له ، وأنهما الاثنان يتبادلان الشعور بذلك فلا يهم بعدئذ أن يحضر شخص آخر ، فقد يحضر هذا الشخص وقد لا يحضر . ثم يقول لها وقد لاحظ الرعب الذى استولى عليها :

ــ ان كلا منا للآخر . إنه القدر يا آنا . انه القدر !

وهي تعترف بذلك ولـكنها تذكر له كيف أحبها زوجها ، وكيف أنهـا لاتستطيع الا أن تفكر فى حبه ، وفى عينيه اللتين كان يرنو بهما اليها . ويعلق كارل على ذلك بقوله :

ــ لقد انتظرتنى . هذه هي الحقيقة

وعندئذ تقارن بين كارل وزوجها فتذكر أن زوجها كان بطيئاً ، ولم يكن ملتهب الاعصاب ثائر التفكير مثله . وتدخل إذ ذاك صديقة من صديقات (آنا) تسمى ماري Marie كانت فيما مضى تحب ريشار وتسعد إذ يدعوها الى الرقص معها . ولا تـكاد تلقى نظرة على كارل حتى تسارع (آنا) فتقول لها :

ــ انه ريشار !

وتدهش ماري لذلك ولـكن (آنا) تؤكـد لها انه ريشار قد عاد من سجنه وتطيل ماري النظر إلى كارل فتتبين انه ليس ريشار ، وتعلن ذلك ، وتصارح

كارل بانه كاذب إذ يدعى بانه ريشار .وعندئذ تتقدم (آنا) فتدافع عن كارل وتمنع صديقتها عن التمادى فى اتهامه بالكذب . وتبدأ مارى فى تبين حب (آنا) لكارل فتشخص اليهما ثم تتراجع وهي تقول :

— حسناً . . إننى خارجة . . لاتغضبي يا آنا . . لا تغضبى منى

وتصحبها (آنا) حتى الباب وهي تقول :

— لا تقولى لأحد . . فلم يحن الوقت بعد !

وتحي كارل تحية فيها شيء من الاجلال ثم تضم (آنا) وتقبلها وتخرج ويخلو كارل إلى (آنا) ويذكر لها فى لهجةملؤها الحنان والدعة ، انه حيثيوجد الاقتناع توجد الحقيقة.فيكفى أن تقتنع بأنه زوجها لكى يكونهو ذلك الزوج ! ويخبرها بأنه كان منذ صغره ينتظر شخصاً آخر سوف يشاركه الحياة فيما بعد ثم يسألها :

— وأنت ؟ لقد انتظرت أيضاً ؟

ويسقط رأس (آنا)إذ ذاك على ذراعيه وقد بدأت تنتحب . ويقترب كارل منها ثم ينحنى عليها و يمد يده فى رقة ولين إلى شعرها . وتتأثر (آنا) من ذلك الحنان الذى يغمرها به فترفع رأسها وتسأله عما يعرف عن طفولتها فيذكر لها شيئا تخيله عن تلك الطفولة . وترتفع الكلفة بين الاثنين . ويتناول يديها وهو يقول لها :

— ليس هناك أرق من هاتين اليدين . . وليس فى العالم ألطف من هذه البشرة اللينة البضة . .

ثم يقف ويضع ذراعيه حولها . فتعطيه (آنا) شفتيها دون مقاومة وهي تقول فى آهة بعد قبلة طويلة :

— ريشار !

☆☆☆

وتنقضى بعد ذلك خمسة أشهر ، يعيش فى أثنائها كارل مع (آنا) كما يعيش الزوجان المتحابان . وتفهم ان تلك المعاشرة قد أثمرت ثمرتها المعتادة فحملت (آنا) من كارل . وتعلم من حديث يدور بين كارل ومارى أن ريشار قد أرسل رسالة إلى (آنا) منذ مدة يخبرها فيها بأنه ربما تمكن من العودة اليها قريباً . وان كارل قد أخفى تلك الرسالة فلم يطلعها عليها . وهو يذكر لمارى ان هذه الرسالة لاقيمة لها فى نظره . فهو يعتقد ان (آنا) التى معه الآن لم يكن لها ماض مع أحد غيره ، بل كانت تعيش معه دائماً.وان (آنا) انتظرته مدى أعوام طويلة ، منذ ولادتها . وانه سوف يعطيها الرسالة على هذا الاعتبار . فاذا اتضح له ان الناس ستفهم مسلكه على اعتبار آخر . على اعتبار ان ما أقدم عليه انما هو ضرب من الخيانة والنذالة فى حق زميله ريشار ،فانه سوف لا يتردد فى الانتحار . اذ لايمكنه الحياة بعد ذلك . وتقبل (آنا) إذ ذاك ويطلعها كارل على الرسالة ويصارحها بالحقيقة كلها فيخبرها أن ريشار كان سجيناً معه فى روسيا ، وأنه هو الذى أخبره بكل شىء عنها . وتسأله عن اسمه اذ لم تكن تناديه حتى ذلك الوقت إلا باسم ريشار فيخبرها أنه كارل .. ويذكر لها ان ريشار كان يسرد له التفاصيل عنها ،ولكنه كان يحس إذ ذاك أنه يسمع تلك التفاصيل عن شخص يعرفه وينتظره وتبدى (آنا) إذ ذاك رغبتها فى البقاء معه رغم ذلك . وتؤكد له أنها لايمكنها الحياة إلا معه ، وتؤنبه على احتفاظه بتلك الرسالة فقد كان واجباً عليه أن يحرقها . وتحنو على كارل فتناديه للمرة الأولى باسمه الصحيح ، بعد ان تعلم بان ريشار على قيد الحياة وأن عودته محتملة

ويخرج الجميع ويدخل ريشار بعد قليل فى ثياب رثة وهو يعرج لمرض فى ساقه وقد طالت لحيته وتغيرت ملامح وجهه ويتحرك فى الغرفة كما يتحرك

رب البيت . ثم تعود (آنا) فتفزع لرؤيته . ويسألها عما اذا كانت لم تتحقق من معرفته فتجيبه بانها لو رأته فى الطريق لما أمكنها معرفته .ويتبادل الاثنان بضع كلمات عادية ثم تسرع (آنا) بالخروج وهي تعدو فيتبعها ريشار بنظراته ثم يضحك وهو لايعلم شيئاً عما حدث . ويدخل كارل فيسرع ريشار الى تحيته وهو دهش لوجوده فى بيته . ويذكره بانه مدين له بحياته ويعرض لذكر أيام الزمالة فى السجن الروسى . وتشعر من خلال حديث ريشار انه يكن لكارل عواطف الصداقة الوفية ويطلب اليه أن يخلع معطفه ورداءه الخارجي باعتبار انه ينزل عليه ضيفاً فى بيته ! ويعمد كارل الى إطاعته . ويذكر ريشار لكارل انه سعيد بالعودة الى لقاء زوجته (آنا) وانه قد أحضر لها قطعة من الحلوى التى تحبها لكى يهديها لها وانه قد احتفظ بهذه الحلوى مدة طويلة

وتقبل (آنا) بعد قليل وقد تناثر شعرها على جبينها وأخذت نظراتها تتجه الى الافق البعيد وكأنها لاتنظر الى شيء ثم تقول :

— أين هو ؟

ثم لا تلبث أن تتقدم الى كارل وتسقط بين ذراعيه . ويذعر ريشار لدى رؤيته ذلك ولكنه لايتبين حتى الآن حقيقة ماحدث ويتساءل :

— ماهذا ؟ هل أنت مريضة ؟

فيجيبه كارل :

— يجب أن تترك آنا تذهب الى حيث تشاء

ولا يلبث كارل أن يصارحه بالحقيقة فيقول له عندما يراه معتزما التقدم اليها :

— ان (آنا) هى زوجتى

فيسأله ريشار :

— ماذا تقول . زوجتك أنت ؟

— يجب أن أشرح لك كل شيء . . انها مسألة حياة أو موت

ويتبين ريشار حقيقة الموقف . ويعلم ان (آنا) حامل . وتظهر عليه الرغبة فى الثأر فيتقدم الى احدى الآلات الحادة الموضوعة فى الغرفة ويتجه الى كارل الذى يبدو عليه انه لايرغب فى المقاومة . وتلقى (آنا) بنفسها على ريشار وهي تقول :

—إذاً فانا أيضاً . . أنا أولا . ما عليك إلا أن تقتلنى . . لا أستطيع بعد أن أحيا إلا معه . . ومع ذلك . . فهذا ماحدث يا ريشار .. هذا ماحدث . .

ويسألها ريشار عما اذا كانت تحب كارل . فتبكى وتقول :

— ريشار !

ولكنه يلح فى معرفة ما يطلب فتذكر له انها أحبته هو ولكنها الآن لاتستطيع الحياة الا مع كارل . وكأن ريشار يخضع لتلك الرغبة القوية التى تسيطر عليها فيسمح لها بان تجمع بعض ثيابها الضرورية وتضعها فى احدى الحقائب بمساعدة كارل بينما يجيل ريشار بصره فى أثناء ذلك من جهة الى أخرى كما لو كان وحشاً يهدده الموت

وتدخل مارى اذ ذاك فتسأل آنا :

— الى أين انت ذاهبة ؟

فتجيبها فى لهجة تشف عن أنانية العاشقة المحبة الولهى

— هذا امر لا أهمية له

— ألديك نقود ؟

— هذه ايضاً لا اهمية لها

ويرتدى كارل معطفه ويحمل الحقيبة . وعندما تصل (آنا) الى الباب تبحث عن كلمة وداع طيبة توجهها الى ريشار فلا تجد إلا قولها :

— ريشار

فيرفع ريشار رأسه ويقول

ـــ حسناً ! حسناً !

وتتجه ماري معهما الى الخارج فتقول لها (آنا) في توسل :

ـــ ابق هنا !

ويخرج كارل وآنا وتغلق ماري الباب خلفهما وتعود الى المائدة التي تجلس بجانبها ريشار وتلمح الحلوى التي كان قد أعدها لآنا وعندئذ يشير ريشار الى ماري ان تأخذ الحلوى وهو يقول :

ـــ انها حلوى !

بينما يهبط الستار على ذلك الموقف المحزن الصامت

ماريوس

عن الكاتب الفرنسى مارسيل بانيول

مارسيل بانيول Marcel Pagnol مؤلف هذه القصة كاتب شاب لم يكتب للمسرح إلا عدداً قليلا من القصص المسرحية لايكاد يتجاوز عدد أصابع اليد ولكنه مع ذلك نجح نجاحاً هائلا لم يوفق اليه الكثيرون من أعاظم كتاب المسرح . ولعل القراء يذكرون الضجة العالمية الهائلة التى احدثها ظهور قصته توباز Topaze التى ترجمت الى جميع لغات العالم ، ومثلت منذ عامين على مسرح الكورسال عندنا وفاز الممثل الفرنسى « ارنودى » الذى اخرج دور توباز باعجاب الجمهور المصرى العميق وتقديره التام . لعل القراء يذكرون ذلك الحادث الادبى الخطير الذى ارتفع بالمؤلف الشاب مارسيل بانيول إلى الذروة « وأدر عليه الذهب » والذى جعل النقاديقارنون بين « توباز » وقصص موليير الخالدة !

وقصة ماريوس Marius التى الخصها لك اليوم ظهرت قبل ظهور توباز إذ مثلت على « مسرح باريس » فى مارس سنة ١٩٢٩ فقدرهاالنقاد وتنبأوا لمؤلفها بمستقبل باهر ولم تكد تنقضى فترة وجيزة حتى تحقق هـذا التنبؤ وظهرت « توباز » ولقيت ذلك النجاح العجيب المدهش

وبانيول كاتب مجدد ولا شك . ولكننى ارى أن تجديده اكثر ظهوراً فى « توباز » منه فى هذه القصة . وأكاد أشعر أنه فى « ماريوس » قد تأثر إلى

حد كبير بطريقة الكاتب المسرحي لونورمان . وعلى وجـه التحديد بقصته « السن الحمراء » التى لخصتها لك فيما سبق . .

ومع ذلك فماريوس قصة ممتعة بديعة . وفن بانيول فن بكر جدير بأن يطلع عليه قراء هذه الملخصات مادام لم يقدم الى الجمهور المصرى حتى الآن



نحن فى داخل حانة صغيرة تطل على ميناء مارسيليا القديم . وهذه الحانة يملـكها رجل يدعى سيزار César ويساعده فى إدارتها ابنه ماريوس Marius الذى يبلغ من العمر الثانية والعشرين . رفيع القامة عميق العينين جميل الطلعة وإلى جانب هذه الحانة محل صغير تبيع فيه الفتاة فانى Fanny التى تبلغ من العمر الثامنة عشرة بعض أنواع الأسماك

ويرتفع ستار الفصل الاول عن بعض رواد الحانة وقد جلسوايتجاذبون أطراف الحديث . فنتعرف من بينهم الى شخص يدعى أسكار تيفيج Escartefigue يملك قارباً صغيراً ينقل به الركاب من البواخر الى الشاطىء أربعاً وعشرين مرة فى اليوم الواحد . وعلى آخر يدعى بانيس Panisse فى الخمسين من عمره له محل كبير على الشاطىء يصنع أقمشة القلاع الخاصة بالمراكب أدر ويدر عليه ربحاً وافراً . وتشعر من حديث الشاب ماريوس مع أولئك الزبائن أنه يفكر فى السفر والرحيل . ويحن الى متن البحار حتى اذا ماسمع بانيس يتحدث عن باخرة تسمى ماليزى Malaisie تعتزم السفر الى الاقطار الشرقية حاملة بعض العلماء لغرض الاستكشاف والتحرى العلمى، أنصت الى ذلك الحديث وأخذ يجمع عن تلك الرحلة مايستطيع من المعلومات فاذا خرج بانيس وخلا ماريوس الى أحـد زبائن الحانة شرعا يتحدثان عن بانيس وعن اعتزامه

الزواج فيذكران أنه يفكر فى التزوج من أونورين Honorine أم الفتاة فانى - وأنه معذور فى ذلك فقد توفيت زوجته منذ مدة طويلة وظل أعزب

ويقبل رجل شحاذ رث الثياب يدعى بيكوازو Piquoiseau بعد ذلك بقليل ويسر الى ماريوس بشيء فى أذنه ثم يعطيه رسالة و يخرج وتقبل أونورين أم فانى مرتدية ثوباً أنيقاً تراه ابنتها فتعجب به وتغار فتستأذن والدتها فى الذهاب لتغيير ثوبها فهو لايليق بها!

وتخلو أونورين الى بانيس الذى يكون قد عاد من محله المجاور ويتحدث اليها العجوز عن رغبته فى الزواج . . وتشعر أنت فى بادىء الامر كما تشعر أونورين انه يقصد الزواج بها . . ولكنك تتبين بعدقليل انه يرمي الى الزواج بالابنة . . أى بفانى . . وتدهش الام فى بادىء الامر ولكن التاجر العجوز يغريها فيذكر لها أنه مستعد لاعطاء ابنتها مائة الف فرنك وان يخصص أربعمائة الف فرنك لوالدتها ايراداً شهرياً . وتجيب أونورين بأنهالا تمانع فى ذلك ولكنها تخشى ألا تقبل الفتاة ذلك الزواج الا ان بانيس يخبرهابأنه تحدث الى فانى وبأنها أفهمته بأنها قابلة وتذكره أونورين بأنه عجوز وبأنه يكبر ابنتها بثلاثين عاماً فيجيبها بأنه سيعطيها كل ما تشاء . من المال والثياب والحلى . . وتنبهه الام الى ان هناك ماهو أهم من هذا كله . وهو شعور الفتاة بأنها بجانب رجل كهل . ولكنه لا يقتنع . بل يسألها عما اذا كانت تظن وجود عاطفة ما بين ماريوس وفانى فتجيبه :

— آه ! أما بشأن هذا فأنا واثقة ! انه طبيعى !

ويخرج هذان الاثنان وتقبل فانى وماريوس ويتجاذبان الحديث فتخبره فانى أنها ستتزوج . وتحاول فى بادىء الامر أن تخفى عنه اسم ذلك الزوج ولكنه يلح وأخيراً يعلم انه بانيس فيثور ويسخر منه ومن هرمه وشعره الاشيب -

ويعود بانيس ويجلس بجانب فانى ويأمر ماريوس ان يحضر لهما شراباً يتعاطيانه. ويغالى بانيس فى التودد الى فانى وفى الاقتراب منها فيتحكك به ماريوس ويتراشقان بعض الالفاظ الجارحة التى تنتهى بأن يشتبكا فى شجار. ثم يحضر أحد اتباع بانيس يدعوه للذهاب الى محله فيخرج بعد أن يدفع حسابه وحساب فانى. وبعد أن يدعوها لتناول الطعام معه

ويخلو الشابان مرة أخرى فيذكر ماريوس انها لاحق لها فى ان تتزوج من رجل فى الستين من عمره ! وان هذا سيقودها الى السقوط كما سقطت عمتها من قبل !

ويتحدثان عن الحب.. ويتساءلان فى سذاجة عما اذا كانا هما متحابين أم لا؟ وينكر كل منهما انه يحب الآخر ؟

ويذكر ماريوس الايام التى كانا يلعبان فيها معاً منذ الطفولة وانه كان يستطيع أن يحبها، فجمالها جدير بذلك.. ولكنه لم يفعل لانه كان يعلم انه لا يستطيع الزواج. لابها ولا بغيرها

ثم يقبل الشحاذ بيكوازو ويهمس فى اذن ماريوس الذى يجيبه بهزة رأس ويرجو فانى أن تجلس فى الحانة حتى يعود فتعده بذلك على ألا يتأخر عن الساعة الرابعة إذ هى مدعوة فى تلك الساعة لتناول الطعام عند بانيس. فيجيبها:

— حسناً سأعود قبل انقضاء عشرين دقيقة..

(يخرج بسرعة. وتجلس فانى مفكرة. وفجأة يدوى صوت صفارة بخارية صادرة من إحدى المراكب. وتسمع عن بعد دقات معاول العمال الذين يشتغلون فى البواخر. ثم يسدل الستار)

✡✡✡

فاذا كان الفصل الثانى فنحن لانزال حيث كنا وقد أقبل الليل وأخذت

فانى تسأل سيزار صاحب الحانة عن ذلك الشحاذ الذى أقبل منذ برهة يهمس فى اذن ابنه ماريوس فهى تريد أن تعرف سر علاقته به

وبعد قليل يقبل بانيس ولا يكاد يطعن فى ماريوس حتى يثور سيزاردفاعاً عن ابنه وحتى تصل الثورة به إلى حد أن يشتبك مع بانيس فى شجار. ثم يهدآن ويتكلمان عن سر التغير الذى طرأ على اخلاق ماريوس فى المدة الاخيرة ويعلل بانيس ذلك بعلاقته بفانى ولكن سيزار ينكر ذلك ويرى أنه لابد أن تكون هناك امرأة أخرى فى البلدة يعشقها ويخشى أن تكون هى امرأة اسكار تيفينج صاحب القارب

ويخرج بانيس ثم تقبل أونورين وتتحدث الى سيزار عن زواج ابنتها. فتخبره أن بانيس قد طلب يدها وأنه لا سبيل الى انقاذها من ذلك الا بتزويجها من ماريوس وهى تعلم علم اليقين أن فانى تحبه. وقد بكت ليلة البارحة بكاء مراً اثناء الليل وأدلت الى والدتها بدخيلة ذلك الحب القوى. ويعد سيزار بأن يتحدث الى ابنه فى ذلك

فاذا حضر ماريوس أخذ الاب يتودد اليه ثم يفاتحه فى أمر الزواج وينصحه أن يطلب يد فانى فيعتذر الآخر بانه لايستطيع الزواج الآن ويلح الاب فى معرفة سر ذلك فيجيبه بانه يعرف امرأة أخرى فى البلدة وهو يخشى اذا فاتحها فى أمر زواجه بفانى أن تنتحر أو تقتله ولذا فهو يطلب أن يمهد لها سبيل ذلك الخبر المفاجىء

ويخرج سيزار ثم يقبل بيكوازو ويدخل مع ماريوس الى غرفة الاخير الذى يشير الى شىء لا يراه الجمهور يذكر عنه بيكوازو انه ثقيل ولا تعرف ما هو ولكنك تحس انه حقيبة

وتعود فانى فتتغير لهجة ماريوس معها ويخبرها انها تستطيع التزوج ببانيس

وتدهش هي لذلك وتسأله كيف ينصحها بذلك وهو الذى سخر من الزوج العجوز . فيجيبها إنه قد تعجل وإنه الآن ينصحها كأخ . ولكنها تأبى قبول هذا التشبيه . فهى ليست اخته . وهى تعترف له بأنها تحبه . وتريده هو وحده زوجاً لها ويذكرها بأنه قد سبق ان قال لها إنه لا يستطيع الزواج فتلح فى معرفة سر ذلك . ويأبى ماريوس أن يجيب فى بادىء الامر فلما أن تلح فى معرفة ذلك السر يخبرها انه يريد الرحيل . . . الرحيل بعيداً . وهو لا يمكنه أن يأخذها معه . وتتهم هي ذلك الشحاذ المدعو بيكوازو بأنه أغواه على ذلك وينكر ماريوس هـذا ويجيبها بأنه منذ عدة اعوام طويلة أقبلت سفينة الى الشاطىء فلما تحدث الى ربانها علم انها قادمة من ارخبيل يسمى « جزائر تحت الريح » وأخذ ذلك الرجل يسهب له فى وصف محاسن تلك الجزائر وفتنتها . . ومنذ ذلك اليوم والفكرة تتملكه وتسيطر عليه

وتقول له فانى :

ــ ماريوس . كنت أخشى ألا تحبنى . وكنت ارتعد لفكرة انك يمكن ان تحب امرأة أخرى . اما هذه الرغبة فى الرحيل فلم اكن اخاف منها إنها حلم طفل . واذا احببتنى فأنا اشفيك منها !

وتسأله :

ــ انت تحبنى يامريوس اليس كذلك ؟ قلها لى مرة واحدة على الاقل .

ماريوس ــ اجل ، انا احبك

ويتعانق الشابان . وتسأله عن تلك السفينة التى اعتزم الرحيل عليها فيجيبها انها تسمى « ماليزى » وهى مخصصة لسفر ثلاثة من العلماء لغرض الاستكشاف العلمى وستغيب ستة شهور . ويشرح لها نفوذ البحر عليه وعلى مشاعره واحساسه فهو اذا رأى قارباً على سطح البحر شعر كأنه يجذبه بحبل !

وتتوسل اليه فاني ألا يرحل وأن يبقى يومين آخرين .فيطلب اليها ان تدعه يرحل وان تنساه ولـكنها تتعلق به وتكرر له أنها تحبه وستنتظر

ويدق الباب ويسمع صوت بيكوازو من الخارج ينادى: «ماريوس ماريوس» وتهدده فاني بالقاء نفسها فى البحر اذا سافر وتطلب اليه ان يبقى الى جانبها فهي تحتفظ به مادام لم يرحل حتى الآن !

وترتفع فى الطريق أغانى بعض العمال والاعراب وينزعج سيزار أثناء نومه فينزل الى الحانة بثياب النوم ويشعر الشابان بنزوله فيدخلها ماريوس الى غرفته ويغلق الباب وينصت سيزار من خارج باب غرفة ماريوس ويهمس : « انه ينام ! » ثم يصعد ثانية وتظل اغانى الاعراب تدوى وتدق الساعة منبئة بانتصاف الليل



فاذا كان الفصل الثالث فنحن على حاجز الامواج فى ميناء مارسيليا وهو ذلك الحاجز المكون من صخور عديدة متناثرة وقد جلس ماريوس بجانب فاني واخذا يتجاذبان الحديث فتشعر أن ماريوس قد تغيرت حالته فأصبح لا يفكر فى السفر وهما يتناجيان عواطف الحب ويذكران بانيس وقد أصبح تعساً شقياً بعد ان ذهبت اليه فاني وأخبرته بانها ترفض التزوج به

ويقبل بيكوازو ويطلب ان يسر الى ماريوس شيئاً وتأبى فاني فى بادىء الامر ذلك وتنتهر ذلك الشحاذ معلنة له انه ليس هناك سر يخفيه عنها واخيراً تسمح بذلك بعد ان يعدها ماريوس بأن يخبرها بما سوف يقوله له بيكوازو

وتبقى فاني وحدها فى ظلام الليل فتلمح شبحاً يقترب منها ثم تتبينه فاذا هو بانيس فاذا سألته عن سر قدومه اجابها إنه يريد أن يؤدى لها خدمة . ويخبرها أن ماريوس كصديقه بيكوازو مصاب بجنون الرغبة فى الرحيل . فتجيبه إنها تعلم

ذلك . ولـكنه يخبرها انه رأى ربان الباخرة التى تسمى «ماليزى» واقفاً على حاجز الامواج الآن وعندئذ تصيح فانى صارخة : «ماريوس»

ويطلب اليها ألا تصيح إذ يكفى ان تسىء الظن بذلك الشاب ويبدى لها استعداده لـكل خدمة تطلبها منه . ويخرج بانيس وهو يتساءل عما اذا كان قد احسن صنعاً باخبارها عن سفر ماريوس وعما اذا كان من الافضل ان يتركه يسافر بدون أن يخبرها . واخيراً يجيب نفسه بأنه أحسن صنعاً فلو انه سافر لاساء ذلك الى الفتاة اساءة بالغة !

وفى جهة أخرى من الصخور التى تكون حاجز الامواج يقف ماريوس مع ربان الباخرة «ماليزى» فيدلي اليه الاخير بأن الاوامر قدصدرت من باريس بالسفر فى صباح اليوم التالى عن طريق بيريه والسويس وعدن وكولومبو وهو يذكر ماريوس بذلك الطلب الذى كان قد تقدم به اليه منذ مدة يتوسل فيه أن يقبله على ظهر باخرته ويخبره أن هناك محلا خالياً وأنه مستعد لقبوله . ولـكن ماريوس يرفض فهو لايستطيع الرحيل

وتندس فانى بين الصخور وتخفى نفسها ثم تنصت الى ما يدور من ذلك الحديث . وتسمع ماريوس يصر على الرفض ويعلل ذلك بأنه يحبها ولا يستطيع أن يتركها ثم يترك الربان مع بيكوازو ويصعد الى الطريق وهو ينادى :

ـــ فانى . فانى !

وتتقدم فانى الى حيث وقف الربان ويقول لها بيكوازو :

ـــ إذا بقى ماريوس فسوف يصبح شاحب اللون ويموت فى أقل من ستة شهور بين ذراعيك ! وأنت التى سوف تقتلينه ! تقتلينه ! تقتلينه !

وينضم الربان الى ذلك الحديث فيؤكد لها أن ماريوس لن يكون زوجاً طيباً . فدمه ملوث بتلك الجرثومة . جرثومة البحر والرحيل. وأن عليها واجب

إنقاذه وتقتنع فانى بذلك وتطلب إلى الربان أن يحضر إلى الحانة فى الصباح وألا يخبره بانه رآها

ويبتعد الربان مع بيكوازو ويسمع صوت ماريوس مقترباً وهوينادى:«فانى»

فتجيبه وتسأله عن سبب استدعاء ذلك الشحاذ له فيكذب ويخبرها أنه يريد أن يقترض منه مالا ! وتسأله فجأة :

فانى ــ قل . ألن تحب أبداً امرأة أخرى كما احببتنى ؟

ماريوس ــ كلا ياصغيرتى فانى . أنت تعرفين جيداً . لن أحب أبداً امرأة أخرى . أبداً

فانى ــ حسناً . لست اطلب منك شيئاً أكثر من هذا . تعال . هيا بنا نعود الى البيت . وهنا يدوى صوت صفارة من احــدى البواخر فيرتعد ماريوس ويشخص الى الباخرة التى تتحرك ويصيح :

ــ انها الباخرة مانوبا (يخطو بضع خطوات) بعد اربعة أيام يكونون فى الرأس الاخضر

(ويختلط صياحه بالضجيج القادم من ناحية الباخرة وهو يهز قبعته لها . وقد جلست فانى على صخرة تشاهد وتبكى !)

☆☆☆

فاذا كان الفصل الاخير فنحن فى الحانة التى رأيناها منذالفصل الاولوقد أقبلت أو نورين أم فانى تتحدث الى سيزار فى خوف ووجل وتذكر أنها عادت من السفر قبل الموعد الذى كانت حددته وانها وجدت على المائدة كؤوس خمر فى منزلهــا وهي تخشى ان يكون نزق الشباب قد وصل بالشابين الى نتائجه الوخيمة

وتطلب الى سيزار ان يسرع باتمام اجراءات الزواج . فهى تخشى

ان تسقط فانى وهى ابنة فى الثامنة عشرة كما سقطت عمتها من قبل !

ويقبل ماريوس فيحدثه أبوه عن مسألة الزواج ويطلب اليه ان يسرع باتمامه ولـكن ماريوس يجيبه بأنه فاتح خطيبته فى ذلك فاعتذرت وأخـذت تتحدث عن انها لا تزال صغيرة السن بالنسبة للزواج

ويخرج سيزار وبعد قليل يقبل ربان الباخرة «ماليزى» ويغرى ماريوس على الرحيل فلا يفلح فيخرج بعد ان يقول له :

— أنت مخطىء

ويقف ماريوس وحده يشاهد الرجال الذين يمرون فى الخارج وقد كتبت على حقائبهم كلمة « ماليزى » وتقع الـكأس من يده فتنكسر . وتلاحظ أنت أن هناك شعوراً قوياً عنيفاً يضطرم فى صدره فيحاول هو أن يكبته ويقهره

ثم تقبل فانى وتخلوالى والدتها اونورين وتتحدث اليها حديثاً مؤلماً تفهم منه ان العلاقة الغرامية التى بينها وبين ماريوس قد أنتجت نتائجها الوخيمة الطائشة وترمي الفتاة جسمها بين ذراعى والدتها باكية تلتمس الصفح فتأبى الام ان تصفح بل تتركها وهى ترفض ان تقبل ابنتها ويقبل بانيس ويحدثها عن سفر ماريوس فتخبره انها توافق على هذا السفر ما دام فيه راحته اذ حاولت بكل الوسائل ان تغير ميله وطبيعته فلم تستطع . وهى توقن بأنه لو بقي لما كان سعيداً . وينتهز بانيس هذه الفرصة فيعرض عليهـا ان تعود اليه ما دام ماريوس سيرحل . ويقول لها :

— هنا كما تعلمين تستطيع المرأة المتزوجة ان تفعل كل شىء بدون أن يخطر لاحد فكرة انتقادها ... أما الفتاة الشابة ... هذا فظيع

ويذكر لها انها فى حاجة إلى التسلية والعزاء والراحة . وهو يضمن لها كل ذلك فتقول له :

— ولكنك تعلم أنني أحبه هو . وأنني سأحبه مدى حياتي . وسأفكر فيه دائماً !

ويقبل ماريوس ويفاتح فاني في موضوع الزواج ويطلب الاسراع به واستدعاء والدتها . وهي تخشى ألا يكون هذا القول منه ناشئاً عن الحب . بل عن الشرف والشعور بالمسئولية فتصارحه بأنه حر يستطيع الرحيل كما يشاء وهو يشك في أنها تحدثت الى بانيس فيسألها :

— أليست لديك الفكرة في أن تتزوجي منه ؟

— هو أو غيره . لم لا ؟

ويصيح ماريوس :

— دعيني . . . دعيني . . . ؟ !

ويدخل بيكوازو ويخبر ماريوس أنه لا يزال لديه وقت للرحيل . ويدوي صفير الباخرة طويلا ويحمل ماريوس حقيبته فتسأله فاني :

— أترحل ؟

ماريوس — كل منا يذهب إلى ما يحبه . أنت تتزوجين مال بانيس وأنا أتزوج البحر . هذا خير لكل منا

ويدخل بانيس في تلك اللحظة ويرى ماريوس خارجاً فيصيح منادياً سيزار ويخبر فاني ان والده قادر على منعه من السفر وينزل سيزار ولكن فاني تمتنع عن اخباره برحيل ماريوس . ويحدثها الاب في حنان عن وجوب زواجها من ابنه ويذكر لها ان ذلك الزواج كان امنيته منذ أحد عشر عاماً ثم يدعوها للذهاب الى رؤية الباخرة « ماليزى » اذ تغادر الشاطىء فتعتذر وتفضل البقاء ويأخذ في مناقشتها عن رأيها في ترتيب المنزل بعد أن تعيش فيه مع زوجها ماريوس وعندئذ ترتعد فاني وتسقط بين ذراعي سيزار وينتهي الفصل بهذا الموقف الرائع

سيزار ـ اعطى الروم يا ماريوس .. ولـكن أين هذا الولد ؟

وتفتح فانى عينيها . . . عينين ذاهلتين دون مانظرة فيهما ويعدو سيزار الى البار فيحضر كأساً من الروم . ويرفع بيكوازو ـ الذى يكون الى تلك اللحظة مخفياً وجهه بيديه ـ رأسه فترى الدموع ترسم طريقاً أبيض على وجهه القذر ويتمتم

بيكوازو ـ السويس عدن بومباى . مدراس . كولومبو . .

بينما يهبط الستار !

البيت قبل كل شيء

عن الكاتب الفرنسي بيير هامب

والبيت هنا هو البيت التجارى الذى يحتوى على تجارة معينة وعلى حركة بيع وشراء . وليس بمعناه العادى الذى يتطرق الى الذهن أول وهلة . ولقد ترددت كثيراً فى ترجمة عنوان هذه القصة La Maison avant tout بالشكل الذى تراه وهو (البيت قبل كل شيء) . ولكننى أقدمت على ذلك أخيراً بعد ان تبين لى ان التعبير فى اللغة العربية عن المتجر باسم الدار التجارية أو البيت التجارى أصبح مألوفاً لا نفور فيه .. وهذه القصة التى ألخصها لك تظهر فى وضوح وجلاء كيف ان الحياة تسير فى البيت التجارى كما تسير تماماً فى البيت العادى أى مأوى الاسرة ومسكنها ، وان للبيوت التجارية تاريخاً وتقاليد وفيها دسائس ومؤامرات مما لا يقل فى روعته عما يحدث فى البيوت المالكة القديمة !

ومؤلف هذه القصة بيير هامب Pierre Hamp قد قصد فى الواقع من وراء وضعها الى التجديد فى أساس الكتابة المسرحية فهو يرى ان كتاب المسرح القدماء والمحدثين قد تناسوا أهمية العمل والاتجار كعنصر جوهرى فى الحياة العالمية . وهو يعجب كيف انكر أولئك الكتاب وجود ذلك العنصر فلم تزخر به قصصهم العديدة . ولذا عمد الى وضع هذه القصة التى تقوم كلها على فكرة واحدة ، هى تحليل الحياة اليومية فى بيت تجارى كبير ، واظهار

نواحي الجشع فى نفس كل شخص من الاشخاص الذين يتصلون بذلك البيت عن طريق ما ، وما يمكن أن يتطور اليه ذلك الجشع من ارتكاب الجريمة التى ما كانت ترتكب لولا تلك الرغبـــة الغريزية الكامنة وراء التسيطر وحب الاستئثار بالسلطة !

ولقد صرح المؤلف فى حديث له بخلاصة تلك الفكرة التى رمى اليهـا إذ قال :

«لقد قرأت وأعدت قراءة مؤلفات كتابنا المعروفين منذ القدم ، فكان ما يزعجنى دائماً فى أثناء قراءتهم هو جهلهم برجل العمل وعند ما أتكلم عن رجل العمل أقصد صاحب البيت التجارى والعامل الاجير

« ان مدنيتنا كلها قائمة على العمل ، وهوالمادة الجوهرية فى الحياة الحاضرة فيجب اذن أن يكون الموضوع الجوهرى للفن أيضاً »

ودلل على ذلك بقوله ان الرجل يتأثر فى حياته الخاصة كل التأثر بعمله ومهنته.فالتاجر اذا استيقظ فى أثناء الليل يفكر فى عمله والاقساط المستحقة عليه وله . وينتهى بيير هامب من ذلك إلى المناداة بوجوب تجديد الفن عن طريق ادماج فـكرة العمل الحديث فيه

ومثلت (البيت قبل كل شيء) للمرة الاولى على مسرح (الاوفر) فى اكتوبر سنة ١٩٢٣ . فاختلف النقاد فى الحكم عليها . ولاحظ البعض منهم أن مؤلفها لم تستقر قدمه بعد على خشبة المسرح اذ تعود قبل ذلك أن يقصر جهوده على كتابة القصص والابحاث الاقتصادية والصناعية وهو أمر يختلف اختلافاً تاماً عن كتابة قصة مسرحية موفقة ! ولكنهم أجمعوا على ان الفكرة التى دعا اليها بيير هامب تستحق التقدير والاهتمام

☆☆☆

نحن فى متجر من المتاجر القديمة المختصة ببيع الاقمشة للعملاء وصغار التجار يدعى بيت اينار Enard . وهذا البيت تديره سيدة فى الخامسة والاربعين من عمرها تدعى مدام اينار ، ويساعدها فى هذه الادارة أو ينوب عنها فيها ــ رجل يدعى فيكتورفاسور Victor Vasseur فى الثانية والخمسين من عمره . خدم بيت اينار مدى ثلاثين عاما حتى استحق (مدالية) الموظفين القدماء وهى المدالية الفخمة التى يفخر بها ويضعها دائماً بجانبه دليل أمانته ونزاهته وإخلاصه للبيت الذى يعمل فيه ..

ويعمل فى هــذا البيت أيضاً ثلاثة أشخاص آخرون . هم فنسنت هوساك Vincent Haussac وهو شاب فى الخامسة والثلاثين من عمره يرأس فرع البيع فى البيت ، مرح دائم الابتسام ، يميل إلى الدعابة والمجون ، وهنريت Henriette « السكرتيرة » الاولى ، وكلير Claire « السكرتيرة » الثانية

وأنت تشعر منذ بدء القصة بالفرق العظيم بين خلق فاسور مــدير المحل ورئيس حساباته وهوساك رئيس فرع البيع فيه . فالاول رجل لايعرف الاعمله ودفاتره وحساباته . ولايؤمن بفائدة المرح والدعابة فى اجتذاب العملاء ، بينما الثانى على العكس من ذلك كما قلت لك . ثم ان طبيعة تقسيم العمل فى البيت جعلت هوساك يحقد على زميله لاستئثاره بالسلطة كلها . فهو يرى ان مدام اينار قد تنازلت عن تلك السلطة كلها لفاسور ، وأنه يتمتع بنصيب وافر منها لايتمتع بجزء منه حتى بول اينار بن مدام اينار ووريث بيت اينار ، اذ ان والدته لا تثق به . وأنت ترى من حديث يدور بين ذينك الرجلين أن فاسور يعــلم كل العلم بمبلغ الحقد الذى يكنه له هوساك فى صدره . وان هذا الاخير لا يتردد فى قتله إذا كان هذا القتل وسيلة يتوصل بها الى التخلص منه ليحل محله فى الاستئثار بالسلطة والسيطرة ..

وتقبل مدام اينارفى أثناء هذا الحديث فتدهش من خلق هذه المرأة . . فهى جبارة بكل مافى هذه الكلمة من معنى ، وقد قبضت على نواحى العمل المختلفة فى البيت بعد موت زوجها بيد من حديد . حتى أوصلت أعمال بيتها الى درجة من النجاح لم يصل اليها بيت آخر من البيوت التى تديرها النساء ! وهي مطمئنة الى هذا التوفيق ولكن لايعكر عليها صفو حياتها سوى شيئين ، أولها العداء المستحكم بين هوساك وفاسور ، وثانيهما خلق ابنها بول . ولذا تسمعها تنصح الى فاسور ان يحسن معاملته لبول وأن يحتمل ثورته اذا ثار ، وتذكر له أنها عند ما مات زوجها لقيت متاعب جمة من الورثة ولكنها أثبتت وجودها وارادتها حتى فازت بكل ما تريده ، ولو أنها عمدت الى التوسل والرجاء لكان نصيبها انتظار الجود والعطاء مما يمن به عليها الباقون ! !

وكانت الطريقة التى تعمد اليها دائماً هى معرفة ادعاء الغباوة عندالضرورة فما لا تريد أن يكون تصم دونه أذنيها ! ومالا تريدأن تفهمه يجب أن ينعدم تماماً واذا كان بول يسىء معاملته فليكن هو وديعاً طيباً معه حتى يرغمه على أن يعامله نفس المعاملة

ولا تكاد تخرج مدام اينارحتى يتناول فاسورصورتها من الخزانة الحديدية الضخمة التى يضع فيها أموال البيت ثم ينظر اليها طويلا ويدخل هوساك عندئذ فيقول فى صوت هامس :

— ألم أقل لك انك تحب صاحبة البيت ؟

ويسرع فاسور باخفاء الصورة وهو يقول :

— يا شقى !

وينكر ما ينسبه اليه زميله ولكن هوساك يجابهه بأنه منذ عشرة أعوام يحاول ان يصرح لها بدخيلة قلبه فلا يجرؤ اذ ان حياءه يمنعه من ذلك ثم يقول له :

ـــ هرمت وأنت لا تزال محتفظاً بحيائك . ولم يكن هناك حد لاتساع احلامك وجرأتها . لقد شاب شعرك فوق صمتك . انها لم تطلب منك ان تسكت ولكنك تعلم انها تريد ذلك ولذا فأنت تسكت ولا تتكلم

ويقبل بول إينار وهو شاب فى السادسة والعشرين من عمره ، شديد الاعتزاز بنفسه ، ثائر الاعصاب ، واسع الآمال والمطامع فلا يكاد يخلو الى فاسور ويتحدث اليه حتى تعلم مبلغ الحقد الذى يضطرم فى نفس الشاب نحو مدير البيت ، إذ هو يعلم بان والدته قد وضعت ثقتها كلها فى فاسور وحرمته منها ، وهو لايطيق أن يكون صاحب البيت ثم يتلقى الاوامر من موظفيه ! وهو يطالب بالسلطة التى يجب أن تكون له كمالك وسيد لذلك البيت ، ويعلن انه يأبى أن يعطى ثقته لاحد فى الوجود بل يكتفى بان يعطى الاوامر ! ثم يغلو فى ثورته فيصرح بانه منذ عشرة أعوام والحقد يتزايد فى صدره . فاذا سأله فاسور :

ـــ نحوى أنا ؟

أجابه

ـــ ونحو من غيرك إذاً ؟

فينبهه فاسور الى انه بذلك انما يهاجم والدته إذ هى التى اختارته مديراً للبيت ، وانه إذا كان يفكر فى أن يثأر لنفسه عن هذا الطريق ففى ذلك خراب البيت . ولكن بول لايعبأ بذلك ويعلن انه سيغير كل شىء فى البيت . ويذعر فاسور ويشعر بالحسرة الاليمة على ثمرة العمل الطويل الذى أفنى فيه شبابه وصحته ويقول :

ـــ حسناً . إنى أدافع عن نفسى وأدافع عنك ضد نفسك ، انى أحمى البيت . وما دمت لست واثقاً من أن عملى الذى بدأته سيستمر كما هو فسأبقى !

وتشتد الثورة ببول إذ ذاك فيطلب اليه أن يسلمه ماله . ولكن فاسور

يأبى لان تسليم أموال البيوت التجارية لايكون بهـذا الشكل . وعندئذ يأمره بول أن يقوم عن مقعده فكفاه استبداداً واثرة مدى ثلاثين عاماً . ويسخر فاسور إذ ذاك بل يطلب الى بول أن ينحت هذه الشتائم على (المدالية) التى أهدتها له والدته

وينتهى الفصل هكذا :

بول ـ سأضيف اليها انك لص . لص سرقت سلطتى . وسرقت ثروتى . إننى أريد أن أكون سيداً فى بيتى . أخرج من هنا !

فاسور ـ سأخرج عندما يحلولى ذلك . اسمح لى أولا أن أوقع على أوراق اليوم (يغلق الخزانة ويكتب فى هـدوء وعندئذ يتناول بول إينار المدالية وهو لايزال واقفاً الى جانبه وتهبط الستار فى الوقت الذى يرفع فيه بول المدالية ليضرب بها فاسور)



فاذا كان الفصل الثانى فنحن حيث كنا وقد أخذت هنريت تتحدث الى زميلتها كابر فتعلم من حديثهما ان فاسورقد مات ولم يقل قبل موته إلا أنه سقط ثم أغمض عينيه ! وأنت تحس من خلال الحديث بان موت فاسور لم يكن موتاً طبيعياً وان فى الامر شيئاً . . .

ويتحدث هوساك الى بول إينار فتفهم أن هوساك عند ماعلم بان إدارة البيت ربما آلت اليه أخذ يتبين خطورة ذلك . فهو يرى أن الثقة المطلقة التى تمنح لشخص انما هي عبء ثقيل ، وان شعور الفرد بان هناك رقابة عليه تجعله أقل خوفاً من ارتكاب الخطأ مادام يعلم بان شخصاً آخر سيرى عمله ، وفى هـذا راحة ولا شك !

وتعرف بعد ذلك نية بول اينارعندما يتحدث الى أحد العملاء من التجار .

فهو يعتقد أن بقاء نفس الاشياء والاشخاص فى البيت التجارى مما يبعث اليـه الخول والهرم ! وانه من الواجب حـدوث تغيير بين وقت وآخر . وهو يرمى بذلك الى انموت فاسور لم يحدث أى خلل فى نظام العمل بالبيت ، بل بالعكس ربما كان فيه شيء من النفع على حد هذا الاعتبار الذى ذهب اليه !

ويخلو بول الى الفتاة هنرييت فتشعر بأنها تحبه وأنها تعـلم الكثير عن سبب موت فاسور . . . فهى تعيد الى بول حجراً من الاحجار الـكريمة التى يضعها فى طرف قميصه بينما تذكر له أنها عثرت عليه تحت المقعد الذى كان جالساً عليه فاسور عند ما ضربه بول . .

كما أنه لاتكاد مدام إينار تخلو الى هوساك حتى تذكرله ماذهب اليه التحقيق من أن موت فاسور كان موتاً جنائياً وهى تعتقد أنه قد مات اثر ضربة لانه كان حائزاً على ثقتها . وتكاد تحس بانها تميل الى اتهام هوساك إذ أنه هو الشخص الذى كان يحقد على فاسور ويتمنى أن يحل محله فى ادارة البيت وهو ينكر ذلك ويذكر لها أنه وان لم يكن يحب فاسور إلا أنه كان بينهما على الدوام شيء واحد يتفقان فيه ويحبانه معاً ، ذلك هو البيت الذى يعملان فيه . ويرجومنها ألا تجهد نفسها فى البحث عمن تسبب فى موت فاسور ففى ذلك مايلوث سمعة البيت . ولـكنها تلح فى الميل إلى إتهامه والرغبة فى معرفة سر ذلك الموت . وعندئذ يلمح لها من بعيد الى ان ابنها بول كان مختلياً بفاسور فى مكتبه قبل الحادثة ، وتنكر مدام إينار ذلك فيستدعى هنرييت وكلير ويسألها أمامها فيوافقانه على أنهمارأيا بول مع فاسور من خلال النافذة وعندئذ تنظر مدام إينار اليهما واليه وتقول :

— وإذن ؟

فيجيبها :

— وإذن فعلينا أن نلتفت الى العمل إذ أنه لا يجب أن تختل الاعمال .

البيت قبل كل شيء . الى ملفاتكن أيتها الآنستان ! ولا تتمالك مدام إينار نفسها بعد ذلك من أن تعطى هوساك توكيلا عاماً بان ينوب عنها فى ادارة البيت وأن يحل محل فاسور فى ذلك

ويقبل بول ولا يكاد يعلم أن والدته قد وكلت هوساك حتى يثور و يهددها قائلا :

ــ الويل له اذا أطاعك ! والويل لك اذا حاولت إذلالى !

ولكن مدام اينار لا تزال شديدة التصلب فى حرمانه من ادارة البيت ويشعر هوساك بجرح مركزه ولكنها تأمره بأن يبقى فى عمله الذى وكلت اليه ادارته حتى تعلم كيف مات فاسور فيقول بول لها :

ــ سأقول لك سر موته إذا كان فى ذلك ما يجعلنى أستأثر بالسلطة

فاذا قالت له :

ــ تكلم

اسرع هوساك فصاح به :

ــ اسكت

فيخرج بول ويخلو هوساك الى مدام اينار فيذكر لها أنه لا بد ان يسلم واحد منهما ويذعن . الام أو الابن . يجب أن يضحى أحدهما خلقه من أجل البيت فتسأله :

ــ وأن يحكمنى ابنى ؟

فيجيبها :

ــ أجل

وعندئذ ترفض ذلك فى اباء وأنفة ، وتتهمه بأنه يخشى ان يقبل الثقة التى وضعتها فيه لئلا يؤيد التهمة التى تحوم حوله بشأن موت فاسور . ويعود الى

التلميح بأنه يتمنى ان يكون اهتداؤها الى سر ذلك الموت فى الخفاء حتى لاتلوث سمعة البيت . وتفهم هي بأنه يقصد ابنها فتؤكد له بأنها لا تتردد فى تطبيق القانون حتى على ابنها وينتهى الفصل بهذا الحوار الرائع الموفق :

هوساك ــ هذا فرض يفتقر الى دليل . انما يقينى بأنه اذا كان فاسور قد قتل فان قاتله سيحكم عليه بالاشغال الشاقة مدى عشرين عاماً . . ! ! ما هي تعليماتك بشأن ادارة البيت ؟

مدام اينار ــ ان ينجح

☆☆☆

فاذا كان الفصل الثالث فنحن لا نزال حيث كنا . وبول اينار لا يزال يطالب بحقه فى الاستئثار بسلطة ادارة بيت والده التجارى . وأنت تدهش لمجرد سماع الحديث الذى يدور بينه وبين هوساك فى بداءة هذا الفصل . إذ أن هوساك قد تغير تغيراً تاماً بعــد ان ذاق طعم السلطة والسيطرة . فلم يعد ذلك الشاب المرح الطروب الذى عرفناه فيما سبق ، بل أصبح صورة من فاسور وهو يأبى على بول ان يغير شيئاً فى نظام البيت ، ويذكر له ان بيتاً قديماً كهذا البيت انما يقوم على قبور ! قبور جده وأبيه والموظفين الق[illegible]اء الذين ك[illegible] يعاونونهما ثم يقول له : [illegible]يتاً . سوف لا تعارضى

ــ انك ظهرت فجأة فى أفق هذا النظام القد[illegible]

تغير كل شيء . انك بذلك ستقتل الموتى الذين عملوا[illegible]ها فى نهاية الفص[illegible] مقبرتهم الحيــة ! أنت أيضاً ستكون سلفاً لآخرين[illegible]خير ويصيح صور هؤلاء [illegible]ـدئذ يشير هو[illegible]

ثم يشير الى مجموعة الصور المعلقة ومن بينهـا [illegible] ويشحب لون بول اذ ذاك ، ويلحظ هوساك ذلك [illegible] قد مات !

